

# من أعلام السلف

تأليف

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثاني

دار الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

إسكندرية ٥٤٥٧٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

رقم الإيداع

٩٧/٤٩١٦

الترقيم الدولي

I.S.B.N - 977-5191-34 -3

الناشر

دار الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع  
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل  
إسكندرية ٥٤٥٧٦٩ ©





من أعلام السلف

٢١

الأمام المبارك  
عبد الله بن المبارك



## ١ - اسمه ومولده وموطنه رحمه الله

**اسمه :** عبد الله بن المبارك بن واضح الخنظلي التميمي مولا هم أبو عبد الرحمن المروزي الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته .

**عن العباس بن مصعب قال :** « كانت أم عبد الله بن المبارك خوارزية أبوه تركي ، وكان عبداً لرجل من التجار من همذان من بني حنظلة <sup>(١)</sup> » .

**عن الحسن قال :** « كانت أم ابن المبارك تركية ، وكان الشبه لهم بينا فيه ، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعر <sup>(٢)</sup> » .

**مولده :** قال أحمد بن حنبل : ولد ابن مبارك سنة ثمان عشرة ومائة .

**وقال خليفة :** وفيها - يعني ثمان عشرة ومائة - ولد عبد الله بن المبارك .

**وقال بشر بن أبي الأزهر :** قال ابن المبارك ذاكرني عبد الله بن إدريس السنه فقال : ابن كم أنت فقال : إن العجم لا يكادون يحفظون ذلك ولكن أذكر أنني لبست السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم قال : فقال لي : قد ابتليت بلبس السواد قلت : إنني كنت أصغر من ذلك ، كان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار <sup>(٣)</sup> .

**وكان أبو مسلم في بداية الدولة العباسية قد ألزم الرعية كباراً وصغاراً بلبس السواد ، وكان ذلك شعارهم إلى آخر أيامهم .**

**موطنه :** مرور وهي من مدن خراسان .

**عن عبد العزيز بن أبي رزمة قال :** قال لي شعبة : من أين أنت ؟ قال :

(١) تاريخ بغداد ( ١٥٣ / ١٠ ) للخطيب البغدادي .

(٢) صفة الصفوة ( ١٣٤ / ٤ ) مكتبة التوعية الإسلامية .

(٣) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٠٥ ) لابن عساكر .

قلت من أهل مرو قال : تعرف عبد الله بن المبارك قال : قلت نعم قال : ما قدم علينا مثله .

وفى رواية : ما قدم علينا من ناحيتكم مثله <sup>(١)</sup> .

وعن أحمد بن سنان قال : بلغني أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد في أول الأمر قال له من أين أنت ؟ قال : من أهل خرسان قال : من أي خرسان ؟ قال : من مرور . قال : تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك ؟ قال : نعم قال : ما فعل ؟ قال : هو الذي يخاطبك قال : فسلم عليه ، ورجب به ، وحسن الذين بينهم <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٢٠ ) .

(٢) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٢٤ ) .

## ٢ - اجتماع خصال الخير فيه

عن الحسن بن عيسى قال : إجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى ، ومخلد بن حسين ، ومحمد بن النضر فقالوا : تعالوا حتى نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصاف ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزو ، والشجاعة ، والفروسية ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام في مالا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه ، وكان كثيراً ما يتمثل :

وَإِذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ صَاحِبًا      ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمٍ  
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ ، لَا إِنْ قُلْتَ لَا      وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ قَالَ نَعَمْ <sup>(١)</sup>

وقال ابن حبان : كان فيه خصال الخير مجتمعة ، ولم يجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه في الدنيا كلها <sup>(٢)</sup> .

وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم محبوبوه من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم <sup>(٣)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ١٦ / ١٨ ) للمحافظ المزي بتحقيق د . بشار عواد معروف ط الرسالة وانظر أيضاً سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٩٧ ) للذهبي ط الرسالة وتاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٣٥ ) لابن عساكر .

(٢) الثقات ( ٧ / ٧ ) لابن حبان .

(٣) صفة الصفوة ( ٤ / ١٤٤ ) وتاريخ بغداد ( ١٠ / ١٥٧ ) للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٣٢ ) ، ( ١٦ / ٢٠ ) تهذيب الكمال .

وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأيت مثل ابن المبارك قال فقال له يحيى بن سعيد القطان ، ولا سفيان ولا شعبة قال : ولا سفيان ولا شعبة ، كان ابن المبارك فقيهاً في علمه ، حافظاً ، زاهداً ، عابداً ، غنياً ، حجاجاً ، غزاًء ، نحويّاً ، شاعراً ، ما رأيت مثله <sup>(١)</sup> .

وعن عبد العزيز بن أبي رزمة قال : لم تكن خصلة من خصال الخير إلا جمعت في عبد الله بن المبارك ؛ حياء ، وتكرم ، وحسن خلق ، وحسن صفة ، وحسن مجالسة ، والزهد والورع ، وكل شيء <sup>(٢)</sup> .

وقال النسائي : لا نعلم في عصر ابن المبارك أجلاً من ابن المبارك ، ولا أعلى منه ، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه <sup>(٣)</sup> .

وقال الحافظ : ثقة ، ثبت ، فقيه ، عالم ، جواد ، مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير <sup>(٤)</sup> .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٢٧ ) لابن عساكر .

(٢) السابق ( ٣٨ / ٣٣٥ ) .

(٣) تهذيب التهذيب ( ٥ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ) .

(٤) تهذيب التهذيب ( ٣٢٠ ) .

## ٣ - طلبه للعلم ونباهة فاطرة

قال أحمد بن حنبل رحمه الله :

لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه ، رحل إلى اليمن ، وإلى مصر ، وإلى الشام ، والبصرة ، والكوفة ، وكان من رواة العلم . وأهل ذلك . كتب عن الصغار والكبار ، كتب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعن الفزاري ، وجمع أمراً عظيماً ، ما كان أحد أقل سقطاً من ابن المبارك ، كان رجلاً يحدث من كتاب ، ومن حدث من كتاب لا يكاد يكون له سقط ، وكان وكيع يحدث من حفظه ، ولم يكن ينظر في كتاب ، فكان يكون له سقط ، كم يكون حفظ الرجل <sup>(١)</sup> .

سأل أبو خراش بالمصيصة عبد الله بن المبارك يا أبا عبد الله إلى متى تطلب العلم قال : لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أسمعها بعد <sup>(٢)</sup> .

عن محمد بن النضر بن مساور قال : قال أبي قلت لعبد الله - يعني ابن المبارك - يا أبا عبد الرحمن هل تحفظ الحديث ؟ قال فتغير لونه وقال ما تحفظت حديثاً قط إنما آخذ الكتاب فأنظر منه فما أشتيهه علق بقلبي <sup>(٣)</sup> .

وعن الحسين بن عيسى قال : أخبرني صخر - صديق ابن المبارك - قال : كنا غلمان في الكتاب فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب خطبة طويلة ، فلما فرغ قال لي ابن المبارك : قد حفظتها ، فسمعه رجل من القوم فقال : هاتها فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حفظها <sup>(٤)</sup> .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣١١ ) .

(٢) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣١٢ ) وصفة الصفوة ( ٤ / ١٣٨ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٥ ) وسير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٩٢ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٦ ) وسير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٩٣ ) .

وعن نعيم بن حماد قال : سمعت عبد الله بن المبارك قال : قال لي أبي :  
لئن وجدت كتبك لأحرقنها قال : فقلت له : وما علي من ذلك وهي في  
صدري <sup>(١)</sup>

قال شقيق بن إبراهيم : قيل لابن المبارك : إذا صليت معنا لم تجلس  
معنا ؟ قال : أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين . قلنا له : ومن أين الصحابة  
والتابعون ؟ قال : أذهب أنظر في علمي ، فأدرك آثارهم وأعمالهم ، ما أصنع  
معكم أنتم تغتابون الناس <sup>(٢)</sup>

وروى نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يكثّر الجلوس في بيته  
فقليل له : ألا تستوحش ؟ قال : كيف استوحش وأنا مع النبي ﷺ <sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٦ ) وسير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٩٣ ) وفيه ( وهي في صدري ) ولعل ما

في تاريخ بغداد خطأ مطبعي .

(٢) صفة الصفوة ( ٤ / ١٣٧ ) .

(٣) صفة الصفوة ( ٤ / ١٣٦ ) .



## ٤ - عبادته وخشيته

قال محمد بن الوزير وصي ابن المبارك - كنت مع عبد الله في المحمل<sup>(١)</sup> . فانتبهنا إلى موضع بالليل وكان ثم خوف ، قال : فنزل ابن المبارك وركب دابته حتى جاوزنا الموضع فانتبهنا إلى نهر فنزل عن دابته وأخذت أنا مقوده ، واضجعت ، فجعل يتوضأ ويصلي حتى طلع الفجر ، وأنا أنظر إليه ، فلما طلع الفجر ناداني ، قال : قم فتوضأ قال : قلت إني على وضوء فركبه الحزن حيث علمت أنا بقيامه ، فلم يكلمني حتى انتصف النهار وبلغت المنزل معه<sup>(٢)</sup> .

وعن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي : بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة إن كان يصلي إنا لنصلي ، ولئن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو إنا لنغزو وإن كان يحج إنا لنحج .

قال فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت ، إذا طفئ السراج ، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح ، فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج ، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت بالدموع . فقلت في نفسي : بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة .

قال المروزي : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : مارفع الله ابن المبارك إلا غيبة كانت له<sup>(٣)</sup> .

(١) المحمل : الذي يركب عليه . قال ابن سيده : المحمل شقان على البعير يحمل فيها العبدلان .

(٢) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٤٠ ) .

(٣) صفة الصفوة ( ٤ / ١٤٥ / ١٤٦ ) وقوله : « غيبة » أي شيء مغيب من خصال الخير لا نعرفه .

قال الخليل أبو محمد : كان ابن المبارك إذا خرج إلى مكة يقول :  
 بَغِضُ الْحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي      وَيَبِيعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنًا  
 إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدَلَهُ      مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا أَثَرْنَا <sup>(١)</sup>

وقال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق كأنه ثور منحور  
 أبو بقرة منحورة من البكاء ، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء إلا  
 دفعه <sup>(٢)</sup>

وقال أبو اسحق إبراهيم بن الأشعث : مرض ابن المبارك مرضة فجزع حتى  
 رآوه جزعاً فقليل له : إنك ليس بك كل ذلك وأنت تجزع هذا الجزع قال :  
 مرضت وأنا بحال لا أرضاه .

قال أبو اسحق : وقال الفضيل يوماً وذكر عبد الله فقال : أما إني أخبه لأنه  
 يخشى الله .

قال أبو اسحق : قيل لآل ابن المبارك رجلان أحدهما أخوف والآخر قتل في  
 سبيل الله فقال : أحبها إلي أخوفهما <sup>(٣)</sup>

قال أبو خزيمة العابد : دخلت على عبد الله وهو مريض فجعل يتقلب على  
 فراشه من الغم فقلت له يا أبا عبد الرحمن ما هذا ؟ فاصبر قال : من يصبر في  
 أخذ الله ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [ هود : ١٠٢ ] <sup>(٤)</sup>

قال أبو روح قال ابن المبارك : إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال :  
 ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب فيه ، وعمر قد بقى لا يدرى ماذا فيه  
 من المهلكات وفضل قد أعطى لعله مكر واستدراج ، وضلالة قد زينت له فيراها

(١) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٦ )

(٢) السابق ( ١٦٧ / ١٤ ) وتاريخ دمشق ( ٣٨ / ٢٤٣ )

(٣) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٢٤٣ )

(٤) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٢٢٤ )

هدى ، ومن زيغ القلب ساعة ساعة أسرع من طرفة عين ، قد يسلب دينه وهو لا يشعر <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الله بن عاصم الهروي : أن شيخاً دخل على عبد الله بن المبارك فرآه على وسادة خَشْنَةٍ مرتفعة قال : فأردت أن أقول له فرأيت به من الخشية حتي رحمته ، فإذا هو يقول : قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] قال : لم يرض الله أن ينظر إلى محاسن المرأة فكيف بمن يزني بها . وقال الله عز وجل : ﴿ وَيَلْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] في الكيل والوزن فكيف بمن يأخذ المال كله ؟ وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] ونحو هذا فكيف بمن يقتله ؟ قال : فرحمته وما رأيته فيه فلم أقل له شيئاً <sup>(٢)</sup> .

(١) السابق ( ٣٨ / ٣٤٤ ) .

(٢) السابق ( ٣٨ / ٣٤٤ ) .

## ٥ - زهده وورعه

وأصل الزهد هو خلو القلب من الدنيا وليس خلو اليد منها ، فقد كان ابن المبارك تاجراً ولكنه كان ينوى بذلك أن يستعين بالمال على مساعدة الإخوان والحج والجهاد وغير ذلك من المكرمات .

عن علي بن الفضيل قال : سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتقليل والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد الخرسان إلى البلد الحرام ، كيف ذلك ؟ فقال ابن المبارك : يا أبا علي إنما أفعل ذلك لأصون به وجهي ، وأكرم به عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا إذا تم ذا (١)

وسوف يظهر إن شاء الله في باب أدبه وكرمه كيف أنه كان ينفق الأموال في طاعة الكبير المتعال ، بما يدل على خلو قلبه منها ، وإنما المال كما قال السلف : وسائل للمكارم .

أما عن ورعه رحمه الله فقد قال الحسن : ورأيت في منزل ابن المبارك حماماً طيارة فقال ابن المبارك : قد كنا نتنفع بفراخ هذه الحمام فليس نتنفع بها اليوم . قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمام غيرها فتزواجت بها ، فنحن نكره أن نتنفع بشيء من أجل ذلك (٢)

وعن الحسن بن عرفة قال : قال لي ابن المبارك : استعمرت قلماً بأرض الشام فذهب عليّ أن أردّه إلى صاحبه فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي

(١) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٦١) وتاريخ بغداد (١٠ / ١٦٠) .

(٢) صفة الصفوة (١٣٦) .

فرجعت يا أبا علي « الحسن بن عرفة » إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه <sup>(١)</sup>.

وعن علي بن الحسن بن شقيق : قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول :  
لأن أرد درهماً من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى  
بلغ ستمائة ألف <sup>(٢)</sup>.

وعن عياش بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلاً أتقى  
مائة شيء ولم يتق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين ، ولو تورع عن مائة شيء ولم  
يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً ، ومن كان فيه خلعة من الجهل كان من  
الجاهلين ، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال : ﴿ إِنَّ ابْنِي  
مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود : ٤٥] فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ  
الْجَاهِلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> [هود : ٤٦] .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٢٤٠ ) .

(٢) صفة الصفوة ( ١٣٩ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٩٩ ) .

## ٦ - أدبه وكرمه رحمه الله

قال إسماعيل الخطبي بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد فقال أصحاب الحديث لحماد : سل أبا عبد الرحمن يحدثنا . فقال : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ، فإنهم قد سألوني قال : سبحان الله يا أبا إسماعيل أحدث وأنت حاضر ؟ فقال : أقسمت عليك لتفعلن فقال : خذوا . حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد ، فما حدث بحرف إلا عن حماد <sup>(١)</sup> .

وقال أبو العباس بن مسروق : حدثنا ابن حميد قال : عطس رجل عند ابن المبارك فقال له ابن المبارك : إيش يقول الرجل إذا عطس ؟ قال : الحمد لله فقال له : يرحمك الله . قال فعجبنا كلنا من حسن أدبه <sup>(٢)</sup> .

وكان رحمه الله يحث على تعليم الأدب وييسر للناس خطره .

قال أبو نعيم عبيد بن هشام سمعت ابن المبارك يقول لأصحاب الحديث : أنتم إلى قليل من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم . وكان يقول : طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون <sup>(٣)</sup> .

قال يحيى بن يحيى الأندلسي : كنا في مجلس مالك فاستؤذن لابن المبارك فأذن فرأينا مالكا ترحز له في مجلسه ثم أقعده بلصقه ، ولم أره ترحز لأحد في مجلسه غيره ، فكان القارئ يقرأ على مالك ، فربما مر بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا ؟ فكان عبد الله يجيبه بالخفاء ثم قام فخرج ، فأعجب مالك بأدبه ثم قال لنا : هذا ابن المبارك فقيه خراسان <sup>(٤)</sup> .

وكما كان رحمه الله كريم الخلق ، حسن السجايا ، كان كذلك من

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨١ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ ) وتاريخ بغداد ( ١٠ / ١٥٥ ) .

(٢) السابق ( ٨١ / ٣٨٣ ) ، وحلية الأولياء ( ٢ / ١٧٠ ) وتاريخ بغداد ( ١٠ / ١٥٥ ) .

(٣) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٥٠ ) .

(٤) تهذيب التهذيب ( ٥ / ٣٣٧ ) .

أسخى الناس يداً ، وأكثرهم بذلاً وإنفاقاً وقصصه في ذلك كثيرة شهيرة ، ولكن نشير إلى بعضها فمن ذلك ما رواه الخطيب بسنده عن حيان بن موسى قال : عوتب ابن مبارك فيما يفرق المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده قال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، وطلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث ، بحاجة الناس إليهم احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عليهم ، وإن أعانهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم<sup>(١)</sup> .

عن علي بن خشرم قال : حدثني سلمة بن سليمان قال : جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضى ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدين الذي سألكه قضاءه قال سبع مائة درهم ، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم ، فراجعه الوكيل وقال : إن الغلات قد فنيت ، فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضاً قد فنى فأجز له ما سبق به قلمي<sup>(٢)</sup> .

وقال محمد بن عيسى : كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرقة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث ، فقدم عبد الله مرة فلم يره ، فخرج في النفير مستعجلاً فلما رجع سأل عن الشاب ف قيل له : محبوس على عشرة آلاف درهم ، فاستدل على الغريم ووزن له عشرة آلاف وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش ، فأخرج الرجل ، وسرى ابن المبارك فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة فقال له : يا فتى أين كنت ؟ لم أرك . قال : يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين قال : وكيف خلصت ؟ قال جاء رجل فقضى ديني ولم أدر . قال : فاحمد الله . ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله<sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٠ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٨٦ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ) ، تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٩ ) ، وصفة الصفوة ( ٤ / ١٤٢ ) .

وعن عمر بن حفص الصوفي بمنّج قال : خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة فصحبه الصوفية <sup>(١)</sup> . فقال لهم : أنتم لكم أنفس تحتمسون أن يتفق عليكم ، يا غلام هات الطست فألقى عليه منديلاً ، ثم قال : يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه ، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم ، والرجل يلقي عشرين ، فأنفق عليهم إلى المصيصة ، ثم قال : هذه بلاد فقير . فنقسم ما بقى ، فجعل يعطي الرجل عشرين ديناراً فيقول : يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهماً فيقول : وما تنكر أن يبارك الله للغزى في نفقته <sup>(٢)</sup> .

وقال محمد بن علي بن شقيق عن أبيه : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو ، فيقولون نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، ولا يزال يتفق عليهم ويطعمهم الطعام وأطيب الحلوى ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها ؟ فيقول : كذا . ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم من مكة قال : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا فيشتري لهم ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال يتفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فإذا صاروا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة ، وكساهم ، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ، ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه <sup>(٣)</sup> .

(١) المراد أهل الزهد والعبادة لا أصحاب المناهج المتدعة ، والمقائد الباطلة كوحدة الوجود .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٨٥ ) ، تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٥٧ ، ١٥٨ ) .

(٣) تهذيب الكمال ( ١٦ / ٢١ ) ، وتاريخ دمشق ( ٣٨ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ) .



## ٧ - تواضعه رحمه الله وفراره من الشهرة

ومع أنه رحمه الله اجتمعت فيه خصال الخير ، وجمع الفضائل ، فقد زينه الله عز وجل بالتواضع ، وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله .

قال الحسن : وبينما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك انتهى إلى حديث وفيه : قال عبد الله : وبه نأخذ . فقال : من كتب هذا من قولي ؟ قلت : الكاتب الذي كتبه ، فلم يزل يحكه بيده حتى درس . ثم قال : ومن أنا حتى يكتب قولي <sup>(١)</sup> .

وفى هذا أدب حسن للذين يزاحمون العلماء والأعلام بأقوالهم ويوهمونهم ، وهم بعد لم يحصلوا القدر الواجب من العلوم الشرعية .

قال الحسن : وزوج النضر بن محمد ولده ودعى ابن المبارك ، فلما جاء قيام ابن المبارك ليعخدم الناس ، فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس <sup>(٢)</sup> .

وقال الحسن أيضاً : وكانت دار ابن المبارك بمرور كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً ، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة ، أو رجلاً له مروءة وقدر بمرور إلا رأيته في داره ، يجتمعون في كل يوم حلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه ، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة ، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ، ولا يأتيه كثير أحد . فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرور ؟ فقال : إنما

(١) صفة الصفوة ( ٤ / ١٣٥ ) .

(٢) السابقة ( ٤ / ١٣٦ ) .

فررت من مرو من الذي تراك تحبه ، وأحببت ما بها هنا للذي أراك تكرهه لي ،  
فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتوني فيه ، ولا مسألة إلا قالوا أسألوا ابن المبارك ،  
وأنا ها هنا في عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها ،  
فدنا منها ليشرب ، ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه ، فلما خرج قال لي : ما  
العيش إلا هكذا ، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر<sup>(١)</sup> .

## ٨ - جهاده وشجاعته

ومع علمه وزهده وكرمه وعبادته كان من مشهور سجاياه جهاده وشجاعته .

روى الخطيب بسنده عن عبدة بن سليمان - يعنى المروزي - قال : كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله ، ثم آخر فقتله ، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة فطعنه فقتله ، فازدحم إليه الناس فكنت فيمن ازدحم إليه ، فإذا هو يلثم وجهه بكفمه ، فأخذت بطرف كفه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك . فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الله بن سنان قال : كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطرسوس ، فصاح الناس النفير النفير ، قال فخرج ابن المبارك والمعتمر وخرج الناس ، فلما اصطف المسلمون والعدو خرج رجل من الروم يطلب البراز فخرج إليه مسلم فشده العليج على المسلم فقتل المسلم حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة فجعل يتبختر بين الصفيين يطلب المبارزة ، لا يخرج إليه أحد . قال : فالتفت إلى ابن المبارك فقال : يا عبد الله إن حدث لى حدث الموت فافعل كذا ، قال : وحرك دابته ، وخرج العليج فعالج معه ساعة فقتل العليج ، وطلب المبارزة فخرج إليه عليج آخر فقتله ، حتى قتل ستة من العلوج مبارزة ، وطلب البراز فكأنهم كاعوا عنه ، فضرب دابته ونظر بين الصفيين وغاب . فلم أشعر بشئ إذا أنا بابن المبارك فى الموضع الذى كان فقال لى : يا عبد الله لئن

(١) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٧ ) ، وصفه الصفرة ( ١٤٤ ) .

حدثت بهذا أحداً وأنا حي - فذكر كلمة - قال : فما حدثت به أحداً وهو حي<sup>(١)</sup>

وكما اشتهر بالشجاعة والمرؤة والمشاركة في الجهاد فقد كان يدعو إليه أيضاً بأقواله وأشعاره

وعن محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه قال : أُملى على عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج ، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة - وفي حديث أبي الغنائم سنة سبع وسبعين .

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا	لَعَلَّمْتَ أَتَكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ	فَنَحُورُنَا بِدُمَائِنَا تَخْضِبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ حَيْلُهُ فِي بَاطِلٍ	فَنَحْيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَابِرُنَا	رَهْجُ السَّنَابِكِ <sup>(٢)</sup> وَالْغَبَارِ الْأَطْيَبِ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا	قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
لَا يَسْتَوِي غِبَارُ حَيْلِ اللَّهِ فِي	أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارِ تَلْهَبِ <sup>(٣)</sup>
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا	لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ <sup>(٤)</sup>

فلقيت الفضيل بن عياض في مسجد الحرام بكتابه فلما قرأه ذرفت عيناه ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحتي ، ثم قال : أنت ممن يكتب

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٥٣ ) ، ( ٣٥٤ ) وقوله : كاعوا ، أي جنوا .  
 (٢) قوله : رهج السنباك : رهج الغبار ، والسنباك جميع منبك ، وهو طرف حافر الخيل .  
 (٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد ( ٢ / ٢٥٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ) والنسائي ( ٦٠ / ١٢ ، ١٣ ) والحاكم ( ٢ / ٧٢ ) والبيهقي ( ٩ / ١٦١ ) من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في خوف عبد أبداً ، وصححه الألباني .  
 (٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ ] .

الحديث ؟ قلت : نعم يا أبا علي . قال : فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا ، وأملئ عليّ الفضيل أخبرنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن رجلاً قال : يا رسول الله علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيله فقال له النبي ﷺ : هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر : يا نبي الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك . ثم قال النبي ﷺ : « فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله ، أما علمت أن فرس المجاهدين ليستن في طوله فتكتب بذلك حسناته » (١)

(١) رواه البخاري (٤ / ٦) الجهاد ، ومسلم (١٣ / ٢٤ ، ٢٥) الإمارة .

## ٩ - ثناء العلماء عليه

ومن عاجل بشرى المؤمن ثناء الخلق ، ومحبة الخلق ، قيل للنبي ﷺ :  
الرجل يعمل العمل يرجو به وجه الله فيحبه الخلق ، وفي رواية فيثني عليه  
الخلق ، فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمنين » <sup>(١)</sup> . وقد نال عالمنا وعالم  
الدنيا عبد الله بن المبارك أوفر الحظ من ذلك ، وقد تقدم قول الفضيل : أما إني  
أحبه لأنه يخشى الله .

وقال الذهبي : والله إني لأحبه في الله ، وأرجو الخير بحبه ، لما منحه الله  
من التقوى ، والعبادة ، والإخلاص ، والجهاد ، وسعة العلم ، والإتقان ،  
والمواساة ، والفتوة ، والصفات الحميدة <sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن هذه المحبة رزق من الله عز وجل والله عز وجل : ﴿ يَسْطُرُ  
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [ الرعد : ٢٦ ] وهي التي وعد بها عباده الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [ مريم ٩٦ ] وهي كذلك المقصودة بالحديث :  
« إذا أحبَّ الله عبدًا قال لجبريل . أحببت فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم  
ينادي في أهل السماء إن الله قد أحبَّ فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم  
يوضع له القبول في الأرض ... » <sup>(٣)</sup> .

أما حظ الإمام من ثناء الخلق فأوفر الحظ وأطيبه . فلا يكاد يذكر حتى  
يثني عليه بأحسن الثناء ، وهذا طرف من أقوال العلماء ﷺ سبيل الإشارة ليس  
الحصر .

(١) رواه مسلم ( ١٦ / ١٨٩ ) ، البر الصلة وفي رواية - مسلم : « ويحبه الناس » .

(٢) تذكرة الحافظ ( ١ / ٢٧٥ ) .

(٣) رواه مسلم ( ١٦ / ١٨٣ ، ١٨٤ ) ، البر والصلة ، والبخاري ( ١٠ / ٤٦١ ) الأدب ومالك في  
الموطأ ( ٢ / ٩٥٣ ) .

عن شعيب بن حرب قال : ما لقي ابن المبارك رجلاً إلا وابن المبارك أفضل منه (١)

وقال المعتمر بن سليمان : ما رأيت مثل عبد الله بن المبارك نصيب عنده الشيء الذي لا يصاب عند أحد (٢)

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال : لما مات ابن المبارك بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال : مات سيد العلماء (٣)

وقال عبد الرحمن بن زيد الجهمي : قال الأوزاعي : رأيت ابن المبارك ؟ قلت : لا قال : لو رأيته لقرت عينك (٤)

عن عبيد بن جناد قال : قال عطاء بن مسلم : يا عبيد رأيت عبد الله بن المبارك ؟ قلت نعم قال : ما رأيت مثله ولا يرى مثله (٥)

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت عيناى أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك (٦)

وقال يحيى بن معين وذكر عنده ابن المبارك فقال : سيد من سادات المسلمين (٧)

وعن أحمد بن عتبة قال : كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوساً في المسجد الحرام فطلع ابن المبارك من الثنية فقال سفيان : هذا رجل أهل المشرق . فقال الفضيل : هذا رجل أهل المشرق وأهل المغرب وما بينهما (٨)

وعن شفيع بن إسحاق قال : قلت لسعيد بن منصور : مالك لم

(٥) صفة الصفوة (٤ / ١٣٦)

(٦) صفة الصفوة (٤ / ١٢٦)

(٧) تاريخ بغداد (١٠ / ١٦٥)

(٨) السابق (١٠ / ١٦٢)

(١) تهذيب الكمال (١٦ / ١٥)

(٢) السابق (١٦ / ١٧)

(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٠)

(٤) السابق (٨ / ٣٨٤)

تكتب حديث شعبة وسفيان فقال : إني لقيت ابن المبارك . فلما رأيته هان على الناس <sup>(١)</sup> .

وقال علي بن المديني : انتهى العلم إلى رجلين ؛ إلى عبد الله بن المبارك ، ومن بعده يحيى بن معين <sup>(٢)</sup> .

وقال بخارجه لإخوانه : من شاء متكم أن ينظر إلى رجل كأنه من الصحابة فليتنظر إلى عبد الله بن المبارك <sup>(٣)</sup> .

وقال عبد الله بن الحسين :  
 إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً      فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا  
 إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      فَهُمْ أَنْجَمٌ فِيهَا وَأَنْتَ هِلَالُهَا <sup>(٤)</sup>

وقال إبراهيم بن موسى : كنت عند يحيى بن معين فجاءه رجل فقال : يا أبا زكريا من كان أثبت في معمر عبد الرزاق أو عبد الله بن المبارك ؟ وكان متكئاً فاستوى جالساً : فقال : كان ابن المبارك خيراً من عبد الرزاق ومن أهل بيته <sup>(٥)</sup> .

وقال شعيب بن حرب : قال سفيان : إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ، ولا ثلاثة أيام <sup>(٦)</sup> .

وقال يحيى بن آدم : كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك أيسر <sup>(٧)</sup> .

وقال أسود بن سالم : كان ابن المبارك إمام يقتدى به كان من أثبت الناس في السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام <sup>(٨)</sup> .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٣٦ ) .  
 (٢) السابق ( ٣٨ / ٣٣٦ ) .  
 (٣) السابق ( ٣٨ / ٣٣٥ ) .  
 (٤) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٩١ ) .  
 (٥) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٥ ) .  
 (٦) تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٦٢ ) .  
 (٧) تهذيب الكمال ( ١٦ / ١٥ ) .  
 (٨) سير أعلام النبلاء ( ١٨ / ٣٩٥ ) .



## ١٠ - من أقواله وأشعاره

وهذه درر من أقواله ، ونتف من أشعاره ، تدل على كمال عقله وارتفاع رتبته ، فإن العبد إذا تهذبت نفسه ، واكتملت مروءته ، نطق بالحكمة وفصل الخطاب .

فمن ماثور أقواله :

من بخل بالعلم ابتلى بثلاث : إما بموت ، أو نسيان ، أو لحق بسلطان <sup>(١)</sup> .

قال أبو وهب المروزي سألت ابن المبارك عن الكبير فقال : أن تزدرى الناس ، وسألته عن العجب فقال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عندك غيرك <sup>(٢)</sup> .

عن رسته الطلقاني قال : قام رجل إلى ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن في أى شيء أجعل فضل يومى ؟ فى تعلم القرآن أو فى طلب العلم . فقال : هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك . قال : نعم قال : فاجعله فى طلب العلم الذى يعرف به القرآن <sup>(٣)</sup> .

قال بشر بن الحارث : سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشى قال : ليس هذا من توقير العلم ، قال بشر : فاستحسنته جداً <sup>(٤)</sup> .

وعن إبراهيم بن شماس قال : قال ابن المبارك : إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من الكلب <sup>(٥)</sup> .

(٤) السابق ( ٨ / ١٦٦ ) .

(٥) السابق ( ٨ / ١٦٦ ) .

(١) تهذيب الكمال ( ٨ / ٢٢ ، ٢٣ ) .

(٢) تذكرة الحفاظ ( ١ / ٢٧٨ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ١٦٥ ) .

وعن عبد الله بن خبيق قال : قيل لابن المبارك : ما التواضع ؟ قال :  
التكبر على الأغنياء <sup>(١)</sup>

وعن عبد الله بن عمر السرخسي قال : قال لي ابن المبارك : ما أعياني شيء  
كما أعياني أني لا أجد أحاً في الله عز وجل <sup>(٢)</sup>

وعن سعيد بن يعقوب الطلقاني قال : قال رجل لابن المبارك : هل بقي  
من ينصح ؟ فقال : وهل تعرف من يقبل <sup>(٣)</sup>

قال أبو بكر بن عبد الله بن حسن : قال ابن المبارك : طلبنا العلم للدينا  
فدلنا على ترك الدنيا <sup>(٤)</sup>

وقال أحمد بن الزبرقان : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : إن الصالحين  
فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا  
إلا على كره ، فينبغي لنا أن نكرها <sup>(٥)</sup>

ومن أشعاره :

وَمِنَ الْبَلَاءِ وَلِلْبَلَاءِ عِلَامَةٌ      أَنْ لَا يَرَى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نَزْوَعُ  
الْعَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا      وَالْحُرُّ يَشْبَعُ مَرَّةً وَيَجْوَعُ <sup>(٦)</sup>  
ومن أشعاره :

كَيْفَ الْفِرَارُ وَكَيْفَ يَهْدَأُ مُسْلِمٌ      وَالْمُسْلِمَاتُ مَعَ الْعَدُوِّ الْمُعْتَدِي  
الضَّارِبَاتُ خُدُودَهُنَّ بِرَنَّةٍ      الدَّاعِيَاتُ نَبِيهِنَّ مُحَمَّدُ  
الْقَائِلَاتُ إِذَا خَشَيْنَ فَضِيحَةً      جَهْدَ الْمَقَالَةِ لَيْتَنَّا لَمْ نُؤَلِدْ  
مَا تَسْتَطِيعُ وَمَالَهَا مِنْ حِيلَةٍ      إِلَّا التَّسْتُرُ مِنْ أَخِيهَا بِالْيَدِ <sup>(٧)</sup>

(١) صفة الصفوة ( ٤ / ١٣٩ )  
(٢) السابق ( ٤ / ١٣٩ )  
(٣) السابق ( ٤ / ١٤٤ )  
(٤) السابق ( ٤ / ١٤٥ )  
(٥) السابق ( ٤ / ١٤٥ )  
(٦) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤١٧ )  
(٧) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤١٧ )

وعن أبي أمية الأسود قال : سمعت ابن المبارك يقول : أحبُّ الصالحين  
ولست منهم وأبغض الطالحين وأنا شرُّ منهم ثم أنشأ يقول :

الصُّمْتُ أَزَيْنُ بِالْفَتَى	مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
وَالصُّدُقُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى	فِي الْقَوْلِ عِنْدِي مِنْ يَمِينِهِ
وَعَلَى الْفَتَى بِوَقَارِهِ	سِمَةٌ تَلُوحِفُ عَلَى جِيبِيهِ
فَمَنْ الَّذِي يَخْفَى عِلْمُ	يَكُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى قَرِينِهِ
رَبِّ أَمْرِي مُسْتَبْقِينَ	غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى يَقِينِهِ
فَأَزَالُهُ عَنْ رَأْيِهِ	فَأَبْتَاعَ دُنْيَاهُ بِدِينِهِ <sup>(١)</sup>

وأنشد سلم الخواص عن ابن المبارك :

رَأَيْتُ الذُّنُوبُ تُمَيِّتُ الْقُلُوبَ	وَيَتْبَعُهَا الدُّلُ إِذْ مَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ	وَحَيْرَ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا
وَبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا	وَفِي الْبَيْعِ لَمْ تَغْلُ أَثْمَانُهَا
لَقَدْ وَقَعَ الْقِسْمُ فِي جِيفَةٍ	يَسِينُ لِذِي الْعَقْلِ إِنْتَانُهَا <sup>(٢)</sup>

وقال محمد بن حاتم المروزي أنشدنا سويد بن نصر لعبد الله بن  
المبارك :

أَيَّارَبُ يَا ذَا الْعَرْشِ أَنْتَ رَحِيمٌ	وَأَنْتَ بَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ عَلِيمٌ
فَيَّارَبُ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنِّي	أَرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمٌ

(١) السابق (٤١٦ / ٨)

(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٦٦ ، ٣٦٧)

ومن أشعاره :

وَيَارَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْماً عَلَى  
أَلَّا إِن تَقْوَى اللَّهَ أَكْرَمُ نَسَبَةً  
إِذَا أَنْتَ نَافَسْتَ الرِّجَالَ عَلَى التَّقَى  
أَرَاكَ أَمْرَءاً تَرْجُو مِنَ اللَّهِ عَفْوَ  
وَإِنْ أَمْرَءاً لَا يَرْجُو النَّاسَ عَفْوَ  
فَحَتَّى مَتَى تَعْصِي الْإِلَهَ إِلَى مَتَى  
وَلَقَدْ تَوَسَّدْتَ الشَّرَى وَأَفْشَرْتَهُ

التَّقَى أَتَمُّ بِهِ فِي النَّاسِ حَيْثُ أَتَمُّ  
يَسَامِي بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمُ  
خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ سَلِيمُ  
وَأَنْتَ عَلَى مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمُ  
وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ الْأَذَى لِلْكُفَّيْمِ  
تَبَارَزَ رَبِّي إِنَّهُ لِرَحِيمِ  
لَقَدْ صِرْتُ لَا يَلُومُ عَلَيْكَ حَنِيمُ<sup>(١)</sup>

وقال صالح الفراء : سمعت ابن المبارك يقول :

المرء مثل هلالٍ عند رؤيته  
حَتَّى إِذَا مَا تَرَاهُ ثُمَّ أُعْقِبَهُ

يَبْدُو ضَيْئَالاً تَرَاهُ ثُمَّ يَنْسَقُ<sup>(٢)</sup>  
كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصَانُ ثُمَّ يَمْحَقُ<sup>(١)</sup>

(١) السابق ( ٣٨ / ٣٧٨ ) .

(٢) من أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٠ ) .

## ١١ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

## شيوخه :

قال الذهبي : أقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخرساني ، تحل ودخل إليه إلى السجن فسمع منه نحواً من أربعين حديثاً ، ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومائة وأخذ عن بقايا التابعين ، وأكثر من الترحال والتطواف<sup>(١)</sup> .

## وقال ابن الجوزي :

أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم : هشام بن عروة ، وإسماعيل ابن أبي خالد والأعمش ، سليمان التيمي ، وحמיד الطويل ، وعبد الله بن عون ، وخالد الحذاء ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة في آخرين<sup>(٢)</sup> .

## وقال ابن عساكر :

قدم دمشق وسمع من : الأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، وأبي عبد ربّ الزاهد ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وهشام بن الغاز ، وعتبة بن أبي الحكم الهمداني ، وإبراهيم بن أبي عبّله ، وأبي المعلّى صخر بن جندل البيروتي ، وصفوان بن عمر ، وعمر بن محمد بن زيد العسقلاني ، والحكم بن عبد الله الأيلي ، ويحيى بن أبي أيوب ، وحرمله بن عمران وأبي شجاع إسحاق ، ومجالد بن سعيد ، وهشام بن عروة وزائدة بن قدامة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ويحيى بن عبيد الله بن موهب ، وأسامة بن زيد الليثي ، وابن

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٣٧٩ ) .

(٢) صفة الصفوة ( ٤ / ١٤٦ ) .

عجلان ، وابن جريح ، ومَعمر ، ويونس بن يزيد ، وموسى بن عقبة ، وهشام ابن سعد ، ومحمد بن إسحاق ، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وحمام بن زيد ، والمبارك بن فضالة ، وسليمان التيمي ، وحميد الطويل وعوف الأعرابي ، وشعبة ، وهشام بن حسان ، وعاصم بن سليمان الأحوال ، وعبد الله بن عون ، وخالد الحذاء وغيرهم<sup>(١)</sup> .

وانظر شيوخه في تهذيب الكمال للحافظ المزي ( ١٦٦ / من ٦ إلى ١٠ ) ، واقتصرنا على ما ذكرناه خشية الإطالة ، وما ذكره المزي من شيوخه على كثرته ليس حصراً لجميع شيوخه ، فقد ذكر الذهبي عن إبراهيم بن إسحق عن ابن المبارك قال : حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم ، قال العباس ابن مصعب في تاريخه : وقع لي من شيوخه ثمان مائة<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر المزي مئتين وسبعة وعشرين من شيوخه في التهذيب .

**تلاميذه :** قال الذهبي : حدث عن خلق لا يحصون من أهل الأقاليم فإنه من صباه ما فتر عن السفر<sup>(٣)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر : وعنه - أى روى عنه - الثوري ، ومعمّر بن راشد ، وأبو إسحاق الفزاري ، وجعفر بن سليمان الضبعي ، وبقية بن الوليد ، ودأود بن عبد الرحمن العطار ، وابن عيينة ، وأبو الأحوص ، وفضيل بن عياض ، ومعمّر بن سليمان ، والوليد بن مسلم ، وأبو بكر بن عياش ، وغيرهم من شيوخه وأقرانه .

ومسلم بن إبراهيم ، وأبو أسامة ، وأبو سلمة التيوذكي ، ونعيم بن حماد ، وابن المهدي ، والقطان ، وإسحاق بن راهوية ، ويحيى بن معين ، وإبراهيم بن

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٠١ ) .

(٢) تذكرة الحفاظ ( ١ / ٢٧٦ ) .

(٣) تذكرة الحفاظ ( ١ / ٢٧٥ ) .

إسحاق الطالقاني ، وأحمد بن محمد مردوية ، وإسماعيل بن أبان الوراق ،  
 وبشر بن محمد السخيتاني ، وحبان بن موسى ، والحكم بن موسى ، وزكريا  
 ابن عبد الملك المروزي ، وسلمة بنت سليمان المروزي ، وسليمان بن صالح  
 سلمويه ، وعبد الله بن عثمان عبدان ، وأبو بكر وعثمان إبن أبي شيبة ، وعبد  
 الله بن عمر بن أبان الجعفي ، وعلى بن الحسن بن شقيق ، وعمرو بن عون ،  
 وعلى بن حجر ، ومحمد بن الصلت الأسدي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن  
 سهم الأنطاكي ، وأبو كريب ، وأبو بكر بن أصرم ، ومنصور بن أبي مزاحم ،  
 ومحمد بن مقاتل المروزي ، ويحيى بن أيوب ، وخلق كثير آخرهم الحسين بن  
 داود البلخي <sup>(١)</sup> .

وانظر كذلك ما ذكره المزني من تلامذة هذا الإمام في تهذيب الكمال  
 (١٦ / من ١٠ إلى ١٤) فقد ذكر مائة وثلاثة وأربعين من تلامذته .

وقد ذكر جماعة في شيوخه وتلامذته ممن روى عنهم ابن المبارك ورووا  
 عنه ، وهو الذي يسمى في علم المصطلح بالمدبج ، مأخوذ من ديباجتي الوجه ،  
 منهم السفينان ، وأبو بكر بن عياش ، وداود بن عبد الرحمن العطار ، ومعمّر  
 ابن راشد ، كما ذكر جماعة في تلامذته وهم من أقرانه منهم بقرية بن  
 الوليد ، ومعمّر بن سليمان ، والوليد بن مسلم ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد  
 الفزاري .

(١) تهذيب التهذيب ( ٥ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ ) .

## ١٢ - مؤلفاته رحمه الله

- ١ - التفسير : ذكره الداودي في طبقات المفسرين ( ١ / ٢٥٠ ) ط . دار الكتب العلمية .
- ٢ - المسند : برواية الحسن بن سفيان بن عامر النسوي ( ت ٣٠٣ هـ ) وتوجد منه مخطوطة في الظاهرية ، مجموع ٥ / ١٨ ( الأقسام ٣٢ من ١٠٧-١٢٤ ب في القرن السابع الهجري ) كما في تاريخ التراث ( ١٣٨ / ١ ) لفؤاد سزكين .
- ٣ - كتاب الجهاد : مطبوع بتحقيق الدكتور نزيه حماد الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة سلسلة البحوث الإسلامية .
- ٤ - كتاب البر والصلة : ذكره ابن النديم والبغدادي وفؤاد سزكين في تاريخ التراث ( ١٣٨ / ١ ) وتوجد منه اقتباسات في الإصابة ( ١ / ٧٦٤ ) و ( ٣٦٢ / ٤ ) .
- ٥ - السنن : ذكره الداودي ( ١ / ٢٥٠ ) وذكره ابن النديم والبغدادي باسم السنن في الفقه ، وانظر مقدمة الدكتور نزيه ضيف لكتاب الجهاد لابن المبارك ص ( ١٤ ) .
- ٦ - كتاب التاريخ : ذكره ابن النديم والبغدادي .
- ٧ - أربعين في الحديث : ذكره البغدادي وحاجي خليفة باسم الأربعين .
- ٨ - رقايع الفتاوى : ذكره حاجي خليفة والبغدادي .
- ٩ - كتاب الزهد ويليهِ كتاب الرقائق : مطبوع بتحقيق وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي برواية المروزي ، وأضاف في نهاية النسخة ما رواه نعيم ابن حماد زائداً على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد طبعته دار الكتب العلمية ببيروت .



## ١٣ - وفاته رحمه الله

روى ابن عساكر بسنده عن ابن المديني قال : مات خيار الأرض جميعاً في سنة واحدة مالك ، وحمام ، وخالد ، وسلام بن سليم أبو الأحوص ، وعبد الله بن المبارك سنة تسع وسبعين ومائة .

وَوَهَّمْ هذا القول ثم قال : والمحفوظ ما ذكره عبدان بن عثمان قال : خرج عبد الله إلى العراق أبل ما خرج سنة إحدى وأربعين ومائة ، ومات بهيت وعانات ، لثلاثة عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة .

وقال الحسن بن الربيع : شهدت موت ابن المبارك ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة ، في رمضان لعشر مضين منه ، مات سحرأ ودفناه بهيت <sup>(١)</sup> .

وهيت ناحية في العراق ( لواء الديلم ) عندما كانت القوافل تقطع الفرات في طريقها بين بغداد وحلب ، وبالقرب منها ينابيع النفط .

وعانات أوعانه بلد مشهور بين الرملة وهيت .

وقال الحسن : وسألت ابن المبارك قبل أن يموت قال أنا ابن ثلاث وستين <sup>(٢)</sup> . وقال صالح بن أحمد حدثني أبي عبد الله قال : لما حضر ابن المبارك جعل رجل يلقيه : قل لا إله إلا الله ، فقال له : إنه ليس تحسن ، أخاف أن تؤذي رجلاً مسلماً بعدى ، إذا لقتني فقلت : لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلاماً ما بعدها فدعني ، فإذا أحدثت كلاماً بعدها فلقني حتى تكون آخر كلامي .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨٠ / ٣٨ ) باختصار .

(٢) تاريخ دمشق ( ٣٨٠ / ٣٨ ) باختصار .

وقيل : فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة فضحك وقال : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [ الصافات : ٦١ ] .

وقال محمد بن سعد : مات بهيت منصرفاً من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة ، ولد سنة ثمانى عشرة ومائة ، وطلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة فى أبواب العلم وصنوفه ، حملها عنه قوم ، وكتبها الناس عنهم ، وقال الشعر فى الزهد والحث على الجهاد ، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن ، وسمع علماً كثيراً ، وكان ثقة مأموناً إماماً حجة كثير الحديث <sup>(١)</sup> .

وغابت بذلك هذه الشمس الطيبة ، بعد أن أضاءت الدنيا بضياءها الباهر ووارى التراب هذا الجسد الطاهر الذى تحرك دائماً فى فلك الطاعات ، بين طلب العلم ، والتعليم ، والجهاد ، والبذل والإحسان والحج والعمرة ، وقضاء حاجات المسلمين ، وبقي الذكر الحسن والمحبة التى تملأ قلوب المسلمين لما أسداه للإسلام وأهله من معروفه العظيم .

(١) تاريخ دمشق ( ٣٨ / ٣٧٩ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ١٦ / ٢٤ ) .



من أعلام السلف

٢٢

عابد الحرمين  
الفضيل بن عياض

## بين يدي الترجمة :

فمع السلسلة الطيبة « من أعلام السلف » ... وعلم من أعلام الزهد ،  
والورع ، والخوف ، والعبادة ، إنه الملقب بعباد الحرمين فضيل بن عياض  
رحمه الله ، تهذبت نفسه فنطق بالحكمة وفصل الخطاب ، إنه قرين مالك ،  
وسفيان ، وابن المبارك من هذه الطبقة المباركة طبقة كبار أتباع التابعين ، فرحم  
الله أئمتنا الكرام ، وجمعنا بهم في دار السلام .

### ١ - اسمه ومولده

**اسمه :** فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي  
أبو علي .

**مولده :** ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد - مدينة بين سرخس ونسا - وكتب  
الحديث بالكوفة وتحول إلى مكة .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

- قال ابن سعد : وكان ثقة ثباتاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث <sup>(١)</sup> .
- وقال ابن حبان : نشأ بالكوفة ، وبها كتب الحديث ، ثم انتقل إلى مكة ، وأقام بها مجاوراً للبيت الحرام ، مع الجهد الشديد ، والورع الدائم ، والخوف الوافر ، والبكاء الكثير ، والتخلي بالوحدة ، ورفض الناس وماعليه أسباب الدنيا إلى أن توفي بها سنة سبع وثمانين ومائة <sup>(٢)</sup> .
- وقال الذهبي : فضيل بن عياض الزاهد شيخ الحرم ، وأحد الأثبات ، مجمع على ثقته وجلالته ، ولا عبرة بما رواه أحمد بن أبي خيثمة قال : سمعت قطبة بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى فيها على عثمان رضي الله عنه ، عن قطبة ! وما قطبة حتى يجرح وهو هالك <sup>(٣)</sup> .
- قال إبراهيم بن محمد الشافعي : سمعت سفيان بن عيينة يقول : فضيل ثقة <sup>(٤)</sup> .
- وقال العجلي : كوفي ثقة متعبد رجل صالح سكن مكة <sup>(٥)</sup> .
- وروى إبراهيم بن شماس عن ابن المبارك قال : ما بقي على ظهر الأرض عندى أفضل من فضيل بن عياض <sup>(٦)</sup> .
- وعن نصر بن المغيرة البخاري : سمعت إبراهيم بن شماس يقول رأيت ألقه

(١) طبقات ابن سعد ( ٦ / ٥٠٠ ) .

(٢) ثقات ابن حبان ( ٧ / ٣١٥ ) .

(٣) ميزان الاعتدال ( ٤ / رقم ٦٧٦٨ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٣ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٤ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٤ ) .

الناس ، وأورع الناس ، وأحفظ الناس ، وكيعاً ، والفضيل وابن المبارك<sup>(١)</sup>

وعن عبد الصمد مردويه الصائغ : قال لى ابن المبارك : إن الفضيل بن عياض صدق الله ، فأجرى الحكمة على لسانه ، فالفضيل ممن نفعه علمه<sup>(٢)</sup>

وقال أبو نعيم : ومنهم الراحل من المقاوز والقفار إلى الحصون والحياض ، والناقل من المهالك والسياب إلى الحصون والرياض ، أبو على الفضيل بن عياض .

كان من الخوف نحيفاً وللطواف أليفاً<sup>(٣)</sup>

قال الذهبي : وأما قول ابن مهدي : لم يكن بالحافظ فمعناه : لم يكن فى علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البحور كشعبة ، ومالك ، وسفيان وحماد وابن المبارك ونظرائهم ، لكنه ثبت قِيم بما نقل ، ما أخذ عليه فى حديث كما علمت .

وهل يراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيل رحمة الله عليه<sup>(٤)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٥ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ٨٤ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٤٨ ) .



## ٢ - عبادته وخشيته رحمه الله

عن إسحاق بن إبراهيم الطبري قال : ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ، ولا أرجى للناس من الفضيل كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة ، كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة ويردد فيها ، ويسأل ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً يلقي له الحصر ، في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة ثم تغلبه عينه ، فيلقى نفسه على الحصر فينام قليلاً ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ، ثم يقوم هكذا حتى يصبح ، وكان دأبه إذا نعس أن ينام . ويقال : أشد العباد ما كان هكذا .

وكان صحيح الحديث ، صدوق اللسان ، شديد الهيبة للحديث إذا حدث ، وكان يثقل عليه الحديث جداً وربما قال لي : لو أنك طلبت مني الدنانير كان أيسر عليّ من أن تطلب مني الحديث . فقلت : لو حدثني بأحاديث فوائد ليست عندي كان أحب إليّ من أن تهب لي عددها دنائير قال : إنك مفتون : أما والله لو عملت بما سمعت لكان لك في ذلك شغل عما لم تسمع . سمعت سليمان بن مهران يقول : إذا كان بين يديك طعام تأكله فتأخذ اللقمة فترمي بها خلف ظهرك متى تشبع <sup>(١)</sup> .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل بن عياض ، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن ، وفاضت عيناه حتى يرحمه من بحضرته ، وكان دائم الحزن ، شديد الفكرة ، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ، ومنعه وبذله ، وبغضه ، وحبه ، وخصاله كلها غيره ، وقال أيضاً عنه : كنا إذا خرجنا

مع الفضيل فى جنازة لا يزال يعظُ ويذكر ، ويسكى كأنه مُودَّع أصحابه ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر فيجلس فكأنه بين الموتى ، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه يرجع من الآخرة يخبر عنها <sup>(١)</sup>

وعن سفيان بن عيينة قال : ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وأبيه <sup>(٢)</sup> .  
وعن إسحاق بن إبراهيم قال : قال عبد الله بن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن <sup>(٣)</sup>

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري : قال لى المأمون ، قال لى الرشيد ما رأيت عيناى مثل فضيل بن عياض ، دخلت عليه فقال لى : فرغ قلبك للحزن وللخوف حتى يسكناه فيقطعاك عن المعاصى ، ويباعدك من النار <sup>(٤)</sup>

وعن ابن أبى عمر قال : ما رأيت بعد الفضيل أعبد من وكيع <sup>(٥)</sup> .  
وعن ابن المبارك قال : إذا نظرت إلى الفضيل ، جدَّد لى الحزن ومَمَّتْ نفسى ثم بكى <sup>(٦)</sup>

(١) تهذيب الكمال ( ٢٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ) . (٤) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٣٨ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٨ / ٨٥ ) . (٥) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٣٨ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ٨٧ ) . (٦) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٣٨ ) .

## ٤ - اتباعه للسنة وذمه للبدع والمبتدعين

عن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإسلام من قلبه <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الصمد قال : سمعت قال : إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر <sup>(٢)</sup> .

وقال الفضيل : لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عز وجل عمل <sup>(٣)</sup> .

وعن الفضيل قال : من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام <sup>(٤)</sup> .

وعن حسين بن زياد قال سمعت فضيلاً يقول : ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال : إذا لم يكن صاحب هوى ولا يشتم السلف ولا يخالط السلطان <sup>(٥)</sup> .

وعن عبد الصمد بن يزيد الصائغ قال : ذكر عن الفضيل - وأنا أسمع - الصحابة فقال : اتبعوا فقد كفيتم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم <sup>(٦)</sup> .

قال الذهبي : فالرجل صاحب سنة واتباع <sup>(٧)</sup> .

(٥) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٤ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٤٨ ) .

(٧) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٤٨ ) .

(١) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٣ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٣ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٣ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٣ ) .

## ٥ - شيوخه وتلامذته

### لشيوخه :

قال الحافظ : روى عن الأعمش ، ومنصور ، وعبيد الله بن عمر ، وهشام ابن حسان ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ومحمد بن إسحاق ، وليث بن أبي سليم ، ومحمد بن عجلان ، وحصين بن عبد الرحمن وسليمان التيمي ، وحميد الطويل وفطر بن خليفة ، وصفوان بن سليم ، وجعفر بن محمد الصادق ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وبيان بن بشر ، وزيايد بن أبي زياد ، وعوف الأعرابي في آخرين<sup>(١)</sup>

### تلامذته :

قال الحافظ : وعنه الثوري - وهو من شيوخه - وابن عيينة - وهو من أقرانه - وابن المبارك ومات قبل ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، وحسين بن علي الجعفي ، وعبد الرزاق ، وإسحاق بن منصور السلولي ، والأصمعي ، وابن وهب والشافعي ، ومروان بن محمد ، ومؤمل بن إسماعيل ، وهريم بن سفيان ، ويوسف بن مروان ، ويحيى بن يحيى التيمي ، والقعنبي ، وأحمد بن عبد الله بن يونس ، ومسدد ، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر ، والحميدي ، وإبراهيم بن محمد الشافعي ، وداود بن عمرو ، وأبو عمار الحثيني ابن خريث المروزي والحصين بن الربيع البوراني ، والحسن بن إسماعيل المجالدي ، وأحمد ابن عبدة الضبي ، وقتيبة بن سعيد ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، وعبدة بن عبد الرحيم المروزي ، ومحمد بن زنبور المكي ، ومحمد بن سليمان لوين ، وآخرون<sup>(٢)</sup>

(١) تهذيب التهذيب (٨ / ٢٦٤)

(٢) تهذيب التهذيب (٨ / ٢٦٤ ، ٢٦٥)

## ٦ - درر من أقواله

عن أبي الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : أصلح ما أكون أفقر ما أكون ، وإنني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادمى<sup>(١)</sup> .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم ، مكبل كبلتك خطيئتك<sup>(٢)</sup> .

قال فيض بن إسحاق : سمعت الفضيل بن عياض وسأله عبد الله بن مالك : يا أبا على مال الخلاص مما نحن فيه ؟ قال : أخبرنى ، من أطاع الله هل تضره معصية أحد ؟ قال : لا . قال : فمن يعصى الله هلى تنفعه طاعة أحد ؟ قال : لا . قال : هو الخلاص إن أردت الخلاص<sup>(٣)</sup> .

وعن إبراهيم بن الأشعث : سمعت الفضيل يقول : أكذب الناس العائد فى ذنبه ، وأجهل الناس المدلل بحسناته ، وأعلم الناس بالله أخوفهم منه ، لن يكمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه<sup>(٤)</sup> .

وقال إبراهيم بن الأشعث : سمعت الفضيل يقول : من أحب أن يذكر لم يذكر ، من كره أن يذكر ذكر<sup>(٥)</sup> .

قال الذهبي : وقيل له ما الزهد ؟ قال القنوع ، قيل : ما الورع ؟ ، قال : اجتناب المحارم . قيل : ما العبادة ؟ قال : أداء الفرائض . قيل : ما التواضع ؟

(١) صفة الصفوة ( ٢ / ٢٣٨ ) .

(٢) صفة الصفوة ( ٢ / ٢٣٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٢٦ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٤٢٧ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٣٢ ) .

قال : أن تخضع للحق . وقال : أشد الورع في اللسان .

قال الذهبي : هكذا هو فقد ترى الرجل ورعاً في مأكله وملبسه ومعاملته ، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه ، فيما أن يتحرى الصدق لا يكمل الصدق ، وإما أن يصدق فينمق حديثه ليمدح على الفصاحة ، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليُعظم ، وأما أن يسكت في موضع الكلام ليثنى عليه ، وذواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة <sup>(١)</sup> .

وعنه قال : يامسكين أنت مسيء وترى أنك محسن وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل ، قال الذهبي إى والله صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وأكل للحرام ، وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا ، وترى أنك تطلبه الله <sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الصمد قال : سمعت الفضيل يقول : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل : يا أخى اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال : لا يحتمل قلب العفو ، ولكن انتضر كما أمرني الله عز وجل ، قل : فإن كنت تحسن تنتضر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو ، فإنه باب أوسع .

فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور <sup>(٣)</sup> .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما يؤمنك تكون بارزت الله بعمل ، مقتك عليه ، فأغلق دونك أبواب المغفرة ،

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٣٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٤٠ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ١١٢ ) .

وأنت تضحك ، كيف ترى أن يكون حالك <sup>(١)</sup> .

وعن محمد بن طفيل قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : حزن الدنيا  
يذهب بهم الآخرة ، وفرح الدنيا يذهب بحلاوة العبادة <sup>(٢)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٠ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٨ / ١٠٠ ) .

## ٧ - وفاته رحمه الله

قال بعضهم كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض فقلنا له : كم سنك فقال :

بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ أَوْ جُزَّتْهَا      فَمَازَا أُوْمِلُ أَوْ أُتَنْظَرُ  
عَلَّتْنِي السُّنُونُ فَأَبْلِيْنِي      فَدَقَّ الْعِظَامُ وَكَلَّ الْبَصَرُ

قال الذهبي : هو من أقران سفيان بن عيينة في المولد ولكنه مات قبله بسنوات (١)

قال مجاهد بن موسى : مات الفضيل سنة ست وثمانين ومائة . وقال أبو عبيد وابن المدني وابن معين وابن غير والبخاري وآخرون مات سنة سبع بمكة ، وزاد بعضهم في أول الحرم .

قال الذهبي : وله نيف وثمانون سنة (٢)

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٤٢ )

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٤٨ )



من أعلام السلف

٢٣

وكيع بن الجراح



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** وكيع بن الجراح بن مَليح الدُّؤاسي ، أبو سفيان الكوفي من قيس عيلان .

**مولده :** ولد سنة تسع وعشرين ومائة قال أحمد بن حنبل : وقال خليفة وهارون بن حاتم : ولد سنة ثمان وعشرين <sup>(١)</sup> . وروى عنه أنه قال : ولدت بأبنة قرية من قرى أصبهان <sup>(٢)</sup> .

**صفته :** قال : الشاذكوني : قال لنا أبو نعيم يوماً : مادام هذا التنين حياً ما يفلح أحد معه .

قال الذهبي : كان وكيع أسمر ضخماً سميناً <sup>(٣)</sup> .  
وقال أبو داود : كان أعور <sup>(٤)</sup> .

وقال سعيد منصور : قدم وكيع مكة وكان سميناً ، فقال له الفضيل ابن عياض : ماهذا السمن وأنت راهب العراق ؟ قال : هذا من فرحي بالإسلام <sup>(٥)</sup> .

وعن أبي جعفر الجمال قال : أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة ، فلما بصرنا به فزغنا من النور الذي رأيناه يتلألاً من وجهه ، فقال رجل بجنبى : أهذا ملك ؟ فتعجبنا من ذلك النور <sup>(٦)</sup> .

(٤) تهذيب الكمال ( ٤٦٣ / ٣٠ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١٥٦ / ٩ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ١٥٧ / ٩ ) .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤١ / ٩ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٤٦٣ / ٣٠ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٤٦ / ٩ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال محمد بن سعد : كان ثقة مأموناً عالماً رفيعاً كثير الحديث  
(١) حجة

عن يحيى بن يمان قال : نظر سفيان إلى عيني وكيع فقال : ترون هذا  
الرؤاسي ؟ لا يضوت حتى يكون له شأن

قال يحيى بن يمان : مات سفيان الثوري فجلس وكيع بن الجراح في  
موضعه (٢)

وعن القعنبي قال : كنا عند حماد بن زيد سنة سبعين ، وكان عنده  
وكيع ، فلما قام قالوا : هذا رأوية سفيان . فقال : هذا - إن شئتم أرجع من  
سفيان (٣)

عن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت مروان يقول : ما وصف لي أحد  
إلا رأيته دون الصفة إلا وكيع ، فإنه فوق ما وصف لي (٤)

وعن يحيى بن معين قال : والله ما رأيت أحداً يحدث لله غير وكيع ،  
وما رأيت رجلاً أحفظ من وكيع ، ووكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه (٥)

وعن جرير الرازي قال : قدم ابن المبارك فقلت له : يا أبا عبد الرحمن من  
خلفك بالمراق : قال : وكيع ، قلت : ثم من قال : ثم وكيع (٦)

وقال محمد بن عامر المصيصي : سألت أحمد : وكيع أحب إليك أو  
يحيى بن سعيد ، فقال : وكيع ، فقلت : كيف فضلته على يحيى ، ويحيى

(٤) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ )

(٥) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧ )

(٦) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧١ )

(١) طبقات ابن سعد ( ٦ / ٣٩٤ )

(٢) تاريخ بغداد ( ١٣ / ٤٦٩ )

(٣) تاريخ بغداد ( ١٣ / ٤٦٩ )

ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمت ؟ قال : وكيع كان صديقاً لحفص ابن غياث ، فلما ولي القضاء هجره ، وإن يحيى كان صديقاً لمعاذ بن معاذ فلما ولي القضاء لم يهجره يحيى <sup>(١)</sup>

وعن عبد الرزاق قال : رأيت الثوري ، وابن عينية ، ومعمراً ، ومالكاً ورأيت ورأيت ، فما رأيت عيناى قط مثل وكيع <sup>(٢)</sup>

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : كان وكيع حافظاً حافظاً ، ما رأيت مثله <sup>(٣)</sup>

وقال بشر بن موسى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما رأيت قط مثل وكيع فى العلم والحفظ ، والإسناد والأبواب مع خشوع وورع .

قال الذهبي يقول : هذا أحمد مع تحريه وورعه ، وقد شاهد الكبار مثل هشيم ، وابن عينة ، ويحيى القطان ، وأبى يوسف القاضى وأمثلهم <sup>(٤)</sup>

وقال الترمذى : سمعت أحمد بن الحسن : سئل أحمد بن حنبل عن وكيع وابن مهدي فقال : وكيع أكبر فى القلب ، وعبد الرحمن إمام <sup>(٥)</sup>

وعن جرير قال : جاءنى ابن المبارك فقلت له : يا أبا عبد الرحمن من رجل الكوفة اليوم : فسكت عني ثم قال : رجل المصرين وكيع <sup>(٦)</sup>

وقال عباس الدوري : ذاكرت أحمد بن حنبل يحدث من حديث شعبة فقال لي : من حدثك بهذا ؟ فقلت شبابه بن سوار . قال : لكن حدثني من لم تر عيناك مثله وكيع بن الجراح <sup>(٧)</sup>

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١٤٨ / ٩ )

(٦) سير أعلام النبلاء ( ١٤٨ / ٩ )

(٧) تهذيب الكمال ( ٤٧٢ / ٣٠ )

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤٤ / ٩ )

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٤٦ / ٩ ، ١٤٧ )

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٤٧ / ٩ )

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٤٧ / ٩ )

وقال علي بن عثمان النفيلي : قلت لأحمد بن حنبل : إن أبا قتادة يتكلم في وكيع بن الجراح ، وعيسى بن يونس ، وابن المبارك فقال : من كَذَبَ أهل الصدق فهو الكذاب <sup>(١)</sup>

وقال أحمد العجلي : وكيع كوفي ثقة عابد صالح أديب من حُفَاطِ الحديث وكان مفتياً <sup>(٢)</sup>

(١) تهذيب الكمال ( ٤٧٢ / ٣٠ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ١٥٢ / ٩ ) .

## ٢ - عبادته رحمه الله

عن يحيى بن أكثم قال : صحبت وكيعاً في الحضر والسفر ، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة <sup>(١)</sup> .

قال الذهبي : هذه عبارة يخضع لها ، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة ، فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر ، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، والدين يسر ومتابعة السنة أولى ، فرضى الله عن وكيع وأين مثل وكيع <sup>(٢)</sup> .

وعن يحيى بن أيرب حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه أن وكيعاً كان لا ينام حتى يقرأ جزءاً من كل ليلة ثلث القرآن ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر .  
وعن أحمد بن سنان قال : رأيت وكيعاً إذا قام في الصلاة ليس يتحرك منه شيء ، لا يزول ، ولا يميل على رجلي دون الأخرى .

وعن سفيان بن وكيع قال : كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار ، ثم ينصرف فيقيل ، ثم يصلي الظهر ، ويقصد الطريق إلى المشرعة التي يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرائض إلى حدود العصر ، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر ، ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار ، ثم يدخل منزله فيقدم إليه إفطار ، وكان يفطر على نحو عشرة أرطال من الطعام ثم تقدم إليه قرابة فيها نحو من عشرة أرطال من نبيذ فيشرب منها ما طاب له على طعامه ، يجعلها بين يديه ، يم يقوم فيصلي ورده من الليل كلما صلى شيئاً شرب منها حتى ينفذها ثم ينام <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤٢ / ٩ ) . (٢) سير أعلام النبلاء ( ١٤٣ / ٩ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٤٨ ، ١٤٩ ) . (٤) سير أعلام النبلاء ( ١٥٧ / ٩ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١٤٩ / ٩ ) والمشرعة المواضع التي ينحدر إلى الماء منها والروايا جمع رواية الزيادة فيها الماء .

#### ٤ - حفظه رحمه الله

عن إبراهيم بن الشماس قال : لو تمنيت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه ، وزهد ابن فضيل ورقته ، وعبادة وكيع وحفظه ، وخشوع عيسى بن يونس ، وصبر حسين الجعفي ، لم يتزوج ولم يدخل في شيء من أمر الدنيا <sup>(١)</sup> .  
وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي وذكر وكيعاً فقال : ما رأيت أحداً أوعى للعلم منه ولا أحفظ <sup>(٢)</sup> .

وعن بشر بن موسى قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول : ما رأيت رجلاً قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب ، مع خشوع وورع <sup>(٣)</sup> .

وعن علي بن خشرم : ما رأيت بيد وكيع كتاباً قط ، إنما هو حفظ ، فسألته عن أدويه الحفظ فقال : إن علمتك الدواء استعملته ؟ قلت : إى والله . قال : ترك المعاصي ، ماجرت مثله للحفظ <sup>(٤)</sup> .

وعن يحيى بن معين قال : ما رأيت أحفظ من وكيع <sup>(٥)</sup> .

وقال أبو حاتم الرازي : وكيع أحفظ من ابن المبارك <sup>(٦)</sup> .

وقال إسحاق بن راهويه : حفظي وحفظ ابن المبارك تكلف ، وحفظ وكيع أصلي قام وكيع فاستند وحديث بسبع مائة حديث حفظاً <sup>(٧)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ١٣ / ٤٧٣ ) وصبر حسين الجعفي صبر مذموم فالزواج من سنة النبي ﷺ .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٣ / ٤٧٤ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٣ / ٤٧٤ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٥١ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٥٣ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٥٣ ) .

(٧) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٥٧ ) .



## ٥ - أدبه وكرمه رحمه الله

عن السائب سلم بن جنادة قال : جالست وكيع بن الجراح سبع سنين فما رأيته يزق ، وما رأيته مَسُّ والله حصاة بيده ، وما رأيته جلس مجلسه فتحرك ، وما رأيته إلا مستقبل القبلة ، وما رأيته يحلف بالله <sup>(١)</sup> .

وعن محمد بن أبي الصباح قال : كان وكيع بن الجراح إذا أراد أن يحدث احتبى ، فإذا احتبى سأله أصحاب الحديث ، فإذا تزع الحبة لم يسألوه ، وكان إذا حدث استقبل القبلة <sup>(٢)</sup> .

وروى عن وكيع أن رجلاً أغلظ له فدخل بيتاً فعفر وجهه ، ثم خرج إلى الرجل فقال : زد وكيعاً بذنبيه ، فلولا ما سلطت عليه <sup>(٣)</sup> .

عن سعيد بن عفير قال : أخبرني رجل من أهل هذا الشأن ثقة من أهل المروءة والأدب قال : جاء رجل إلى وكيع بن الجراح فقال له : إني أمت بحرمة قال : ما حرمتك ؟ قال : كنت تكتب من محبرتي في مجلس الأعمش : قال : فوثب وكيع فدخل منزله فأخرج له صرة فيها دنائير فقال : اعذرني فإني ما أملك غير هذا <sup>(٤)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ٣٦٩ / ٨ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٥٥ / ٩ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٣٦٩ / ٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٥٥ / ٩ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ٤٧٠ / ١٣ ) .

## ٦ - محنته رحمه الله

قال الذهبي : وهي غريبة تورط فيها ولم يرد إلا خيراً ، ولكن فاتته مكنته . وقد قال النبي ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع ، فليترك عبد ربه ولا يخافن إلا ذنبه » <sup>(١)</sup> .

قال علي حشرم : حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ بعد وفاته فأكب عليه فقبله وقال : « يا أباي وأمي ، ما أطيب حيائك وميتتك ثم قال البهي : وكان ترك يوماً وليلة حتى ربا بطنه وانشئت خنصره . وقال ابن حشرم : فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش ، وأرادوا صلب وكيع ، ونصبوا خشبةً لصلبه ، فجاء سفيان بن عيينة فقال لهم : الله الله ! هذا فقيه أهل العراق ، وابن فقيه وهذا حديث معروف .

قال سفيان : ولم أكن سمعته إلا أني أردتُ تخليص وكيع <sup>(٢)</sup> .

قال علي بن حشرم : سمعت الحديث من وكيع بعد ما أرادوا صلبه فتعجبت من جسارته ، وأخبرت أن وكيعاً أصبح فقال : إن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر ، قالوا : لم يمت رسول الله ﷺ ، فأراد الله أن يريهم آية الموت <sup>(٣)</sup> .

قال الذهبي : فهذه زلة عالم فما لو كيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد !! كادت نفسه أن تذهب غلطا والقائمون عليه معذورون بل مأجورون ،

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٥٩ ) والحديث رواه أبو داود و مسلم في مقدمة صحيحة من حديث أبي هريرة وعنده « كفى بالمرء كذبا » .  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٦٠ ) .  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٦٠ ) .

فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود غصاً ما لمنصب النبوة ، وهو في بادئ  
 الرأي يوهم ذلك ولكن إذا تأملته فلا بأس إن شاء الله بذلك ، فإن الحي قد يربو  
 جوفه وتسترخى مفاصله وذلك تفرع من الأمراض ، وأشد الناس بلاءً  
 الأنبياء <sup>(١)</sup> . وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين وراثتهم ،  
 وأكل الأرض لأجسادهم ، والنبى ﷺ مفارق لسائر أمتة في ذلك ، فلا يلى ،  
 ولا تأكل الأرض جسده ، ولا يتغير ريحه ، بل هو الآن ومازال أطيب ربما من  
 المسك وهو حي في لحده حياة مثله في البرزخ التى هى أكمل من حياة سائر  
 النبيين ، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهيد الذين هم بنص  
 الكتاب ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ ] .

(١) الحديث رواه الترمذى ( ٢٤٣ / ٩ ) الزهد وقال هذا حديث صحيح .

## ٧ - اتباعه لسنة رحمه الله

قال أبو حاتم الرازي : حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا وكيع يحدث في الكرسی قال : فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وقال : أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها <sup>(١)</sup>

وعن يحيى بن يحيى التميمي : سمعت وكيعاً يقول من شك أن القرآن كلام الله - يعني غير مخلوق - فهو كافر <sup>(٢)</sup>

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي : سمعت وكيعاً يقول : نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول كيف كذا ؟ ولا لم كذا « يعني حديث « يحمل السماوات على إصبع » <sup>(٣)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٦٥ / ٩ )

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٦٥ / ٩ )

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٦٥ / ٩ ) . والحديث رواه البخاري ( ٨٢٣ / ٨ ) التفسير ومسلم ( ٢٧٨٦ ) القيامة .

## ٨ - درر من أقواله

عن إبراهيم بن شماس قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : من لم يأخذ أهبه الصلاة قبل وقتها لم يكن قرها <sup>(١)</sup> .

وقال وكيع : من تهاون بالتكبير الأولى فاغسل يديك منه <sup>(٢)</sup> .

عن الفضل بن محمد البيهقي قال : سمعت وكيعاً يقول - وقد جاءه رجل يناظره في شيء من أمر المعاش أو الورع - فقال له وكيع : من أين تأكل ؟ قال : ميراثاً ورثته عن أبي ، قال : من أين هو لأبيك قال : ورثته عن أبيه قال : من أين هو كان لجذك ؟ قال : لا أدري فقال له وكيع : لو أن رجلاً نذر لا يأكل إلا حلالاً ولا يلبس إلا حلالاً ولا يمشي إلا في حلال لقلنا له اخلع ثيابك وارم بنفسك في الفرات ، ولكن لا تجدد إلا السعة <sup>(٣)</sup> .

ثم قال وكيع : لو أن رجلاً بلغ في ترك الدنيا مثل سلمان وأبي ذر وأبي الدرداء ما قلنا له زاهداً ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض ، والحلال المحض لا نعرفه اليوم ، فالدينا عندنا حلال وحرام وشبهات ، فالحلال حساب ، والشبهات عتاب ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة ، وخذ منها ما يقيمك ، فإن كانت حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كانت حراماً كنت قد أخذت منها ما يقيمك لأنه لا يحل من الميتة إلا قدر ما يقيمك ، وإن كانت شبهات كان فيها عتاب يسير <sup>(٤)</sup> .

وعن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت وكيعاً يقول : إنما العاقل من

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ ) .

(١) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ ) .

عقل عن الله أمره ، وليس من عقل أمر دنياه <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الله بن ضبيق قال : قال وكيع : هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق <sup>(٢)</sup> .

وعن علي بن خشرم قال سمعت وكيعاً يقول : لا يكمل الرجل حتى يكتب عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله و عمن هو دونه <sup>(٣)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ ) .  
(٢) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٧٠ ) .  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٥٩ ) .

## ٩ - شيوخه وتلامذته

## شيوخه :

روى عن أبيه ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وأيمن بن نابل ، وعكرمة بن عمار ، وهشام بن عروة ، والأعمش ، وتوبة أبي صدقة ، وجريز بن حازم ، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند ، ومعروف بن خربوذ ، وابن عون ، وعبد الرحمن بن الغسيل ، وأبي خلد خالده بن دينار ، وسلمة بن نبيط ، وعيسى بن طهمان ، ومصعب بن سليم ، ومسعر بن حبيب الجرمي ، وعبد المجيد بن وهب العقيلي ، وابن جزيج ، والأوزاعي ، ومالك ، وأسامة بن زيد الليثي ، وإسرائيل ، وإسماعيل بن مسلم العبدى ، والبخترى بن المختار ، وبدر بن عثمان ، وجعفر بن برقان و حاجب بن عمر ، وحريث بن أبى مطر ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والحسن وعلى ابني صالح بن حي ، وزكرياء بن أبي زائدة وسعيد بن عبيد الطاهي ، وسفيان الثوري ، وشعبة وطلحة بن يحيى بن طلحة ، وعبد الحميد بن جعفر ، والأوزاعي ، وعثمان الشحام ، وعزرة بن ثابت ، وعلى بن المبارك ، وعمر بن ذر ، وعمران بن جذير ومعاوية بن أبي مزرد ، ومعروف بن واصل ، ونافع بن عمر الجمحي ، وموسى بن على بن رباح ، وي زيد بن إبراهيم التستري ، وفضيل بن غزوات ، وكهمس بن الحسن ، ومالك بن مغول ، وابن أبي ذئب ، وابن أبي ليلى ومحمد بن قيس الأسدي ، ومساور الوراق ، وهشام الدستوائي ، وهشام بن سعد ، ويعلى بن الحارث ، وأبي سنان الشيباني الصغير ، وأفلح بن حميد ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن نجيح وزمعة بن صالح ، وسعد بن أوس العبسي ، وسعيد بن عبد العزيز الشوخي ، وسليمان بن المغيرة ، وصالح بن أبي الأخضر ، وعبد الله بن عمر العمرى ، وعبد العزيز بن أبي رواد وفضيل بن مرزوق ، وقرة بن خالد ، ومبارك بن

فضالة ، وموسى بن عبيدة الربذي ، ونافع بن عمر الجمحي وهمام بن يحيى ،  
 ويونس بن أبي إسحاق ، وأبي شهاب الجنّاط الأكبر ، وأبي هلال الراسبي ،  
 ويزيد بن زياد بن أبي الجعد وخلق كثير <sup>(١)</sup> .

### تلاميذه :

روى عنه أبنائوه سفيان ، ومليح ، وعبيد ، ومستحليه محمد بن أبان  
 البلخي ، وشيخه سفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد ، وعلي ،  
 ويحيى ، وإسحاق ، وإبنا أبي شيبة ، وأبو حنيفة ، والحميدي ، القعيني ،  
 والأشج ، وعلي بن خنصرم ، ومسدد ومحمد بن سلام ، وابن أبي عمر ،  
 ونصر بن علي ، ويحيى بن يحيى النيسابوري ، ومحمد بن الصباح الدولابي ،  
 وإبراهيم ابن سعد الجوهري ، ومحمد بن رافع وآخرون آخرهم إبراهيم بن عبد  
 الله العيسى القصار <sup>(٢)</sup> .

(١) تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٠٩ ، ١١٠ ) .

(٢) تهذيب التهذيب ( ١١ / ١١٠ ) .



## ١٠ - وفاته رحمه الله

قال علي بن عثام : مرض وكيع فدخلنا عليه فقال : إن سفيان أتاني فبشرني بجواره فأنا مبادر إليه <sup>(١)</sup>.

قال أبو هشام الرفاعي : مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء فدفن بفيد يعني راجعاً من الحج <sup>(٢)</sup>.

قال أحمد بن حنبل : حجَّ وكيع سنة سبع وتسعين ومات بفيد <sup>(٣)</sup>.

قال الذهبي : عاش ثمانياً وستين سنة سوى شهرٍ أو شهرين <sup>(٤)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٦٦ / ٩ ) .  
 (٢) سير أعلام النبلاء ( ١٦٦ / ٩ ) . وفيد : بلدة على النصف بين مكة والكوفة .  
 (٣) سير أعلام النبلاء ( ١٦٦ / ٩ ) .  
 (٤) سير أعلام النبلاء ( ١٦٦ / ٩ ) .



من أعلام السلف

٢٤

سفيان بن عيينه



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** سفيان بن عيينة بن أبي عمران واسمه ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ، مولى محمد بن مزاحم ، أخى الضحاك بن مزاحم<sup>(١)</sup> .

**مولده :** عن محمد بن عمر قال : أخبرني سفيان بن عيينة أنه ولد سنة سبع ومائة .

قال ابن سعد : وكان أصله من أهل الكوفة وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بن أبي عمران بمكة فنزلها<sup>(٢)</sup> .

**صفته :** قال المزني : وكان أعور<sup>(٣)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ١١ / ١٧٧ ، ١٧٨ ) .

(٢) طبقات ابن سعد ( ٥ / ٤٩٧ ) .

(٣) تهذيب الكمال ( ١١ / ١٧٨ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال أبو نعيم : ومنهم الإمام الأمين ، ذو العقل الرصين ، والرأى الراجح الركين ، المستنبط للمعاني ، والمرتبط للمباني ، أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي ، كان عالماً ناقداً ، وزاهداً عابداً ، علمه مشهور ، وزهده معمر<sup>(١)</sup>

قال الذهبي : طلب الحديث وهو حدث بل غلام ، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جمّاً ، وأتقن ، وجوّد ، وجمع ، وصنف ، وعمر دهرأ ، وازدحم الخلق عليه ، وانتهى إليه علو الإسناد ورحل إليه من البلاد وألحق الأحفاد بالأجداد<sup>(٢)</sup>

وقال علي بن المديني : ما من أصحاب الزهري أحد أنفق من سفيان بن عيينة<sup>(٣)</sup> . وقال أحمد بن عبد الله الجلي : كان ابن عيينة ثبّأ في الحديث ، وكان حديثه نحواً من سبعة آلاف ، ولم تكن له كتب<sup>(٤)</sup>

وقال بهز بن أسد : ما رأيت مثل سفيان بن عيينة فقيلاً له : ولا شعبة ؟ قال : ولا شعبة<sup>(٥)</sup>

وقال يحيى بن معين : وهو أثبت الناس في عمرو بن دينار<sup>(٦)</sup> . وقال ابن المديني : قال لي يحيى القطان : ما بقي من معلّم أحد غير سفيان بن عيينة وهو إمام منذ أربعين سنة<sup>(٧)</sup>

وقال ابن المبارك : سئل سفيان الثوري عن سفيان بن عيينة فقال : ذاك أحد الأحدثين ، ما أغريه<sup>(٨)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء ( ٤٥٥ / ٨ )  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ٤٥٥ / ٨ )  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ٤٦١ / ٨ )  
(٤) سير أعلام النبلاء ( ٤٦١ / ٨ )

(١) حلية الأولياء ( ٢٧٠ / ٧ )  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ٤٥٥ / ٨ )  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ٤٥٥ / ٨ )  
(٤) سير أعلام النبلاء ( ٤٥٥ / ٨ )

وقال أبو حاتم الرازي : سفيان بن عيينة إمام ثقة ، كان أعلم بحديث عمرو بن دينار من شعبة : قال : وأثبت أصحاب الزهري هو ومالك <sup>(١)</sup> .

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز <sup>(٢)</sup> .

وقال علي : وسمعت بشر بن المفضل يقول : ما بقي على وجه الأرض أحد يشبه سفيان بن عيينة <sup>(٣)</sup> .

وقال عثمان بن سعيد الدرامي : سألت يحيى بن معين قلت له : ابن عيينة أحب إليك في عمرو بن دينار أو الثوري ؟ فقال : ابن عيينة أعلم به ، قلت : فابن عيينة أحب إليك فيه أو حماد بن زيد ، قال : ابن عيينة أعلم به . قلت : فشعبة ؟ قال : وأيش روى عنه شعبه إنما روى عنه نحواً من مائة حديث <sup>(٤)</sup> .

وقال محمد بن إسحاق : وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث ، حجة ، توفي وهو ابن إحدى وتسعين سنة <sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٦٤ ) .  
 (٢) تهذيب الكمال ( ١١ / ١٨٩ ) .  
 (٣) تهذيب الكمال ( ١١ / ١٨٩ ) .  
 (٤) تهذيب الكمال ( ١١ / ١٩٠ ) .  
 (٥) طبقات ابن سعد ( ٥ / ٤٩٨ ) .

## ٣ - سعة علمه رحمه الله

قال حرمله بن يحيى : سمعت الشافعى يقول : ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما فى سفيان بن عيينة ، وما رأيت أحداً أكفأ فى الفتيا منه <sup>(١)</sup>

قال الشافعى رحمه الله : وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث ، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثاً .

قال الذهبى : فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان فى العلم ، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين . وارتحل ولقى خلقاً كثيراً ما لقيهم مالك وهما نظيران فى الإتقان ، ولكن مالكا أجمل وأعلى فعنده نافع وصعيد المقبرى <sup>(٢)</sup>

وقال عبد الرحمن بن مهدى : كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز <sup>(٣)</sup>

وقال ابن وهب : لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة <sup>(٤)</sup> وقال أحمد : ما رأيت أعلم بالسنن منه <sup>(٥)</sup>

(١) تهذيب الكمال ( ١١ / ١٩ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٥٧ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٥٨ ) .

(٤) تاريخ الإسلام ( ١٣ / ١٩٣ ) .

(٥) تاريخ الإسلام ( ١٣ / ١٩٣ ) .



## ٤ - اتباعه للسنة رحمه الله

قال الذهبي : كان سفيان رحمه الله صاحب سنة واتباع .

قال الحافظ ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الفضل بن موسى ، حدثنا محمد بن منصور الجواز قال : رأيت سفيان بن عيينة سأل رجلًا : ما تقول : في القرآن قال : كلام الله منه خرج وإليه يعود <sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن اسحاق الصّاعاني : حدثنا لوين قال : قيل لابن عيينة : هذه الأحاديث التي نروي في الرؤية ؟ قال : حق على ما سمعتها ممن نثق به ونرضاه <sup>(٢)</sup> .

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري : سمعت ابن عيينة يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٦٦ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٦٦ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٦٨ ) .

## ٥ - زهده رحمه الله وأقواله في الزهد

قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لسفيان بن عيينة : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : إذا أنعم عليه فشكر ، وإذا ابتليت بيلة فصبر فذلك الزهد <sup>(١)</sup> .

وقال المسيب بن واضح : سئل ابن عيينة عن الزهد قال : الزهد فيما حرم الله ، فأما ما أحل الله فقد أباحه الله ، فإن التبين قد نكحوا وركبوا ، ولبسوا ، وأكلوا ، لكن الله نهاهم عن شيء فانتهاوا عنه وكانوا به زهاداً <sup>(٢)</sup> .

وعن أحمد بن عبدة ثنا سفيان بن عيينة قال : الزهد في الدنيا : الصبر وارتقاب الموت <sup>(٣)</sup> .

وعن حرملة بن يحيى قال : أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية ، وأخرج من كفه رغيف شعير وقال لي : دع يا حرملة ما يقول الناس : هذا طعامي منذ ستين سنة <sup>(٤)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٦٨ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٤٦٩ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧٢ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧٢ ) .

## ٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

## شيوخه :

قال الحافظ : روى عن عبد الملك بن عمير ، وأبي إسحاق السبيعي وزيد بن علاقة ، والأسود بن قيس ، وأبان بن تغلب ، وإبراهيم وموسى ، ومحمد بن عقبة ، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وإسرائيل أبي موسى ، وإسماعيل ابن أبي خالد ، وإسماعيل بن أمية ، وأيوب بن موسى ، وأيوب بن أبي تميمة السختياني ، ويزيد بن أبي برده ، وبيان بن بشر ، وجعفر الصادق ، وجامع بن أبي راشد ، وحמיד الطويل ، وحמיד بن قيس الأعرج وزكرياء بن أبي زائدة ، وزيد بن أسلم ، وسالم أبي النضر ، وأبي حازم بن دينار ، وسليمان التيمي ، وسليمان الأحول ، وسمي وسهيل ، وشبيب بن غرقدة ، وصالح بن كيسان ، وصالح بن صالح بن حى ، وصفوان بن سليم ، وضمرة بن سعيد ، وعاصم الأحول ، وعاصم بن بهدلة بن كليب ، وعبد الله بن دينار ، وأبي الزناد ، وعبد الله بن طاووس ، وعبد الله بن أبي حسين ، وابن أبي نجیح ، وعبد ربه ، وسعد ويحيى أولاد سعيد بن قيس الأنصارى ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبد العزيز بن رفيع ، وعبد الكريم أبي أمية ، وعبد الكريم الجزرى وعبيد الله بن عمر ، وعبيد الله بن أبي بريد ، وعلى بن زيد بن جدعان ، وعبيد الله بن عبد الله بن الأصم ، وعمرو بن دينار ، والزهرى ، والعلاء بن عبد الرحمن ، وابن عجلان ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، ومطرف بن طريف ، والأعمش ، ومنصور ، والوليد بن كثير ، ويزيد بن خصيفة ، وأبي إسحاق الشيباني ، وأبي يعفور الكبير ، وأبي يعفور الصغير وخلق لا يحصون<sup>(١)</sup> .

## تلاميذته :

قال الحافظ : وعنه الأعمش ، وابن جزيج ، وشعبة ، والثوري ، ومسلم  
وهم من شيوخه ، وأبو إسحاق الفزاري ، وحماد بن زيد ، والحسن بن حي ،  
وهمام ، وأبو الأحوص ، وابن المبارك وقيس بن الربيع وأبو معاوية ، ووكيع ،  
ومعمر بن سليمان ويحيى بن أبي زائدة ، وهم من أقرانه وماتوا قبله ،  
ومحمد بن إدريس الشافعي ، وعبد الله بن وهب ويحيى القطان وابن مهدي ،  
وأبو أسامة ، وروح بن عباد ، والفريابي ، وأبو الوليد الطيالسي ، وعبد الرزاق ،  
وأبو نعيم ، وأبو غسان النهدي ، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن  
المديني ، وإسحاق بن راهوية وعمرو بن علي الفلاس ، وابنا أبي شعبة ، وأبو  
خيمثة ، وأحمد بن صالح المصري وأحمد بن منيع ، وأبو توبة الحلبي ، وأبو  
جعفر النفيلي ، وأبو بكر الحميدي ، وابن عمر العدني وعلي بن حجر ، وعلي  
ابن خشرم ، وقتيبة ، وأبو موسى العنزي ، وهارون الحمال ، وأحمد بن شيبان  
الرملي والحسن بن محمد الزعفراني ، والزيبر بن بكار ومحمد بن عيسى بن  
حبان ، ومحمد بن عاصم الأصبهاني وطوائف كثيرة <sup>(١)</sup>

## ٧ - درر من أقواله

عن محمد بن ميمون الخياط قال : سمعت سفيان بن عيينه يقول :  
إذا كان نهاري نهار سفيه ، وليلي ليل جاهل ، فما أصنع بالعلم الذي  
جمعت <sup>(١)</sup> .

وعن إبراهيم الجوهري قال : سمعت سفيان بن عيينه يقول : إنما أرباب  
العلم الذين هم أهلهم ، الذين يعملون به <sup>(٢)</sup> .

وعن علي بن الجعد قال : سمعت سفيان بن عيينه يقول : من زيد في  
عقله نقص من رزقه <sup>(٣)</sup> .

وعن سنيد بن داود عن بن عيينه قال : من كانت معصيته في الشهوة  
فارج له التوبة ، فإن آدم عليه السلام عصى مشتتياً فغفر له ، وإذا كانت  
معصيته في كبر فأخشى على صاحبه اللعنة ، فإن إبليس عصى مستكبراً  
فلعن <sup>(٤)</sup> .

وعن أبي معمر قال : حدثنا سفيان بن عيينه قال : ليس العالم الذي يعرف  
الخير والشر ، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه ، ويعرف الشر فيجتنبه <sup>(٥)</sup> .

وعن أحمد بن محمد بن أيوب قال : اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينه  
فقال : من أحوج الناس إلى هذا العلم ؟ فسكتوا ثم قالوا : تكلم يا أبا محمد  
قال أحوج الناس إلى العلم العلماء ، وذلك أن الجاهل بهم أقبح ، لأنهم غاية  
الناس ، وهم يسألون <sup>(٦)</sup> .

(٤) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧٢ ) .

(٥) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧٤ ) .

(٦) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٨١ ) .

(١) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧١ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧١ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧١ ) .

وعن سفيان بن عيينة قال : كان يقال جالس الحكماء فإن مجالستهم غنيمة ، وصحبتهم سليمة ، ومؤاخذتهم كريمة <sup>(١)</sup>

عن أبي موسى الأنصاري قال : من أבר البر كتمان المصائب قال : وسمعت سفيان يقول : لا تكن مثل العبد السوء لا يأتي حتى يدعى ، أت الصلاة قبل النداء ، قال : وسمعت سفيان يقول : قال رجل : من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة <sup>(٢)</sup>

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : كان يقال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عند فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه ، ورجل له مال فلم يتصدق منه ، فمات فوراً غيره فتصدق منه ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلمه غيره فانتفع به <sup>(٣)</sup>

وقال أبو أيوب سليمان بن داود عن سفيان بن عيينة : كان يقال : إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزد على الكثير منها إلا شراً <sup>(٤)</sup>

(١) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٨٤ )

(٢) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٨٥ )

(٣) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٨٨ )

(٤) حلية الأولياء ( ٧١ / ٢٧٧ )

## ٨ - وفاته رحمه الله

عن الحسن بن عمران بن عيينه بن أبي عمران ابن أخي سفيان قال : حججت مع عمي سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة ، فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشة ، ثم قال : وقد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً أقول في كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإنى قد استحيت الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفي في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون .  
رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .





من أعلام السلف

٢٥

عبد الرحمن بن مهدي



## ١ - اسمه ومولده

**اسمه** : عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري وقيل الأزدي ، مولا هم ، أبو سعيد البصري اللؤلؤي .

**مولده** : عن أبي الوليد الطيالسي قال : ولد عبد الرحمن بن مهدي في سنة خمس وثلاثين ومائة <sup>(١)</sup> .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ولد عبد الرحمن بن مهدي سنة خمس وثلاثين ومائة <sup>(٢)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ٧ / ٤٣٥ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٧ / ٤٣٥ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال أيوب بن المتوكل : كنا إذا أردنا أن ننظر إلى الدين والدنيا ذهبنا إلى دار عبد الرحمن بن مهدي <sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن أبي بكر المقدمي : ما رأيت أحداً أتقن لما سمع ، ولما لم يسمع ، ولحديث الناس من عبد الرحمن بن مهدي ، إمام ثبت أثبت من يحيى بن سعيد ، وأتقن من وكيع ، كان عرض حديثه على سفيان <sup>(٢)</sup>.

قال ابن حبان : وكان من الحفاظ المتقين ، وأهل الورع في الدين ، ممن حفظ ، وجمع ، وتفقه ، وصنف وحدث ، وأبى الرواية إلا عن الثقات <sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن سعد : وكان ثقة كثير الحديث <sup>(٤)</sup>.

وعن خالد بن يزيد المخرمي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كأن عبد الرحمن بن مهدي خلق للحديث <sup>(٥)</sup>.

وعن زياد بن أيوب قال : كنا في مجلس هشيم ، فلما قام أخذ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وخلف بن سالم بيد فتي أمنا ، فأدخلوه مسجداً وكتبوا عنه وكتبنا فإذا هو عبد الرحمن بن مهدي <sup>(٦)</sup>.

وعن الحسن بن محمد بن الصباح قال : أخبرني غير واحد أنهم كانوا عند حماد بن زيد فسئل عن مسألة فقال : أين ابن مهدي ؟ من لهذا إلا ابن

(١) تاريخ بغداد ( ٢٤٧ / ١٠ ) سير أعلام النبلاء ( ١٩٤ / ٩ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٩٤ / ١٩٥ ) .

(٣) الثقات لابن حبان ( ٣٧٣ / ٨ ) .

(٤) طبقات ابن سعد ( ٢٩٧ / ٧ ) .

(٥) حلية الأولياء ( ٣ / ٩ ) .

(٦) حلية الأولياء ( ٥ / ٩ ) .

مهدي ؟ قال : فأقبل عبد الرحمن فسأله عن ذلك فأجاب : فلما قام من عنده قال : هذا سيد - أو فتى - البصرة منذ ثلاثين سنة أو نحو هذا <sup>(١)</sup>.

وعن علي بن المديني قال غير مرة : والله لو أخذت فحلقت بين الركن والمقام لحلقت بالله أني لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي <sup>(٢)</sup>.

وقال أيوب بن المتوكل : كان حماد بن زيد إذا نظر إلى عبد الرحمن بن مهدي في مجلسه تهلل وجهه <sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن عبد الرحيم صاعقة : سمعت علياً يقول : - وذكر الفقهاء السبعة - فقال : كان أعلم الناس بقولهم وحديثهم ابن شهاب ثم بعده مالك ، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدي <sup>(٤)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي : وهو بصرى قدم بغداد وحدث بها وكان من الربانيين في العلم ، وأحد المذكورين بالحفظ ، ومن برع في معرفة الأثر وطرق الروايات ، وأحوال الشيوخ <sup>(٥)</sup>.

(١) حلية الأولياء ( ٥ / ٩ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٤٣٨ / ١٧ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٢٠١ / ٩ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٢ / ٩ ) .

(٥) تاريخ بغداد ( ٢٤٠ / ١٠ ) .

### ٣ - عبادته رحمه الله

قال ابن المديني : دخلت على امرأة عبد الرحمن بن مهدي ، وكنت أزورها بعد موته ، فرأيت سواداً في القبلة ، فقلت : ماهذا ؟ قالت : موضع استراحة عبد الرحمن ، كان يصلي بالليل فإذا غلبه النوم وضع جبهته عليه <sup>(١)</sup>

وقال علي : كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن <sup>(٢)</sup>  
قال رسته : وكان عبد الرحمن يحج كل عام ، فمات أخوه وأوصى إليه فأقام على أيتامه ، فسمعتة يقول : قد ابتليت بهؤلاء الأيتام فاستقرضت من يحيى بن سعيد أربع مائة دينار ، احتجت إليها في مصلحة أرضهم <sup>(٣)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٩٩ ) .  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٢٠٣ ) .  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ ) .

## ٤ - حفظه وضبطه وتثبته رحمه الله

تقدم قول الحافظ الخطيب البغدادي : كان من الريانيين في العلم وأحد المذكورين بالحفظ ومن برع في معرفة الأثر وطرق الروايات وأحوال الشيوخ <sup>(١)</sup>

وعن حنبل قال : قال أبو عبد الله : إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن فعبد الرحمن أثبت لأنه أقرب عهداً بالكتاب <sup>(٢)</sup>

وعن عبيد الله بن عمر القواريري : أملى عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً <sup>(٣)</sup>

وعن خالد بن يزيد الخواص المخرمي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كأن عبد الرحمن مهدي خلقٌ للحديث <sup>(٤)</sup>

وقال محمد بن عبد الرحيم صاعقة : سمعت علياً يقول ، وذكر الفقهاء السبعة فقال : كان أعلم الناس بقولهم وحديثهم ابن شهاب ثم بعده مالك ، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدي <sup>(٥)</sup>

وقال محمد بن يحيى الذهلي : ما رأيت في يد عبد الرحمن بن مهدي كتاباً قط - يعني كان يحدث حفظاً <sup>(٦)</sup>

وعن عمرو بن علي قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : حدثنا أبو خلدة ، فقال له رجل : أكان ثقة ؟ فقال : كان صدوقاً وكان خياراً ،

(٤) حلية الأولياء (٣ / ٩) .  
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠٢ / ٩) .  
(٦) سير أعلام النبلاء (٢٠٣ / ٩) .

(١) تاريخ بغداد (٢٤٠ / ١٠) .  
(٢) تاريخ بغداد (٢٤٣ / ١٠) .  
(٣) حلية الأولياء (٣ / ٩) .

وكان مأموناً الثقة سفيان وشعبة <sup>(١)</sup>.

وقال ابن حبان في صدر كتابه في « الضعفاء » إلا أن من أكثرهم تنقيراً عن شأن المحدثين ، وأتركهم للضعفاء والمتروكين ، حتى يجعله لهذا الشأن صناعة لهم ، لم يتعدوها مع لزوم الدين والورع الشديد والتفقه في السنن رجلين : يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي <sup>(٢)</sup>.

وقال سهل بن صالح : سمعت يزيد بن هارون يقول : وقعت بين أسدين : عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى القطان <sup>(٣)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٥ / ٩ ) .  
(٢) المجهرحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ( ٥٢ / ١ ) .  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٦ / ٩ ) .



## ٥ - اتباعه للسنة رحمه الله

عن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : كنا في جنازة فيها عبد الله بن الحسن العنبري ، وهو يومئذ قاضي البصرة ، وموضعه في قومه وقدره عند الناس فتكلم في شيء فأخطأ ، فقلت - وأنا يومئذ حدث - : ليس هكذا يا أبي عليك بالأثر فتزايد على الناس ، فقال عبيد الله : دعوه ، وكيف هو ، فأخبرته فقال : صدقت يا غلام إذا أرجع إلى قولك وأنا صاغر <sup>(١)</sup> .

وعن أبي موسى محمد بن المثنى قال : رأيت في حجر عبد الرحمن بن مهدي كتاباً <sup>(٢)</sup> .

وعن إبراهيم بن زياد - سبلان - قال : سألت عبد الرحمن بن مهدي : ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : لو كان لي سلطان لقمت على الجسر فكان لا يمر بي أحد إلا سألته ، فإذا قال لي : مخلوق . ضربت عنقه ، وألقيته في الماء <sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن عبد عمر قال : ذكر عن عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع واجتهادهم في العبادة فقال : لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة ، ثم قرأ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [ الحديد : ٢٧ ] فلم يقبل ذلك منهم ، ووبخهم عليه ، ثم قال : الزم الطريق والسنة .

وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يكره الجلوس إلى أصحاب الأهواء ويكره أن يجالسهم أو يماريهم . فقلت له : أترى للرجل إذا كانت له خصومة وأراد

(١) حلية الأولياء ( ٦ / ٩ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٦ / ٩ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٧ / ٩ ) .

أن يكتب عهده أن يأتيهم ؟ قال : لا مشيك إليهم توقيع ، وقد جاء فيمن وقر صاحب بدعة ما جاء <sup>(١)</sup> .

وقال رُسْتَه : سمعت ابن مهدي يقول : لفتى من ولد الأمير جعفر بن سليمان : بلغنى أنك تتكلم فى الرب وتصفه وتشبهه . قال : نعم ، نظرنا فلم نر من خلق الله شيئاً أحسن من الإنسان فأخذ يتكلم فى الصفة والقامة ، فقال له : رويدك يا بنى حتى تتكلم أول شئ فى المخلوق ، فإن عجزنا عنه ، فنحن عن الخالق أعجز ، أخبرنى عما حدثنى شعبة عن الشيبانى عن سعيد بن جبير عن عبد الله : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [ النجم : ١٨ ] قال : رأى جبريل له ستمائة جناح ، فبقى الغلام ينظر فقال : أنا أهون عليك ، صف لى خلقاً له ثلاثة أجنحة ، وركب الجناح الثالث منه موضعاً حتى أعلم قال : يا أبا سعيد عجزنا عن صفة المخلوق فاشهدك أن قد عجزت ورجعت <sup>(٢)</sup> .

وقال الذهبى : ونقل غير واحد عن عبد الرحمن بن مهدي قال : إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى ، وأن يكون ﴿ استوى ﴾ على العرش ، أرى أن يستأبوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم <sup>(٣)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ٩ / ٨ ، ٩ ) ولعله يقصد رحمه الله ما جاء فى الأثر من وقر صاحب بدعة فقد

أعان على هدم الدين .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٩٦ ، ١٩٧ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ) .

## ٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

## شيوخه :

قال الحافظ : روى عن أيمن بن نابل ، وجريز بن حازم ، وعكرمة بن عمار ، وأبي خلدة خالد بن دينار ، ومهدي بن ميمون ، ومالك ، وشعبة ، والسفيانين ، والحمدادين ، واسرائيل ، وحرب بن شداد ، ومحمد بن راشد ، ومالك بن مغول ، ووهيب ، وهشام بن سعد ، وهمام بن يحيى ، والمثنى بن سعيد الضبعي ، وسليم بن حيان ، وسلام بن أبي مطيع ، وإبراهيم بن نافع المكي ، وأبان العطار ، وصخر بن جويرية ، وعمران القطان ، ومنصور بن سعد وخلق كثير <sup>(١)</sup>.

## تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابن المبارك وهو من شيوخه ، وابن وهب وهو أكبر منه ، وابنه موسى ، وأحمد ، وإسحاق ، وعلي ، ويحيى بن معين ، ويحيى بن يحيى ، وأبو ثور ، وأبو خيثمة ، وأبو عبيد ، وأحمد بن سنان القطان ، وإبراهيم بن محمد بن عررة ، وابنا أبي شيبه ، وعبد الله بن هاشم الطويل ، وعبد الرحمن بن عمر رسته ، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي وآخرون <sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب ( ٦ / ٢٥٠ ، ٢٥١ ) .

(٢) تهذيب التهذيب ( ٦ / ٢٥١ ) .

## ٧ - درر من أقواله

عن عبید الله بن سعید قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول :  
احفظ لا يجوز أن يكون الرجل إماماً حتى يعلم ما يصح مما لا يصح ، وحتى لا  
يحتج بكل شيء ، وحتى يعلم بمخارج العلم <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول :  
يحرم على الرجل أن يقول في أمر الدين إلا شيئاً سمعه من ثقه <sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول :  
إذا لقي الرجل الرجل فوقعه في العلم كان يوم غنيمة ، وإذا لقي من هو مثله  
دارسه وتعلم منه ، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه ، ولا يكون إماماً في  
العلم من يحدث بكل ما سمع ، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث عن  
كل أحد ، ولا يكون إماماً في العلم من يحدث بالشاذ من العلم ، والحفظ  
والإنفاق <sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول :  
لولا أنني أكره أن يعصى الله لتمنيت أن لا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع في  
واغتابني ، وأى شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم  
يعملها ولم يعلم بها ؟ <sup>(٤)</sup>

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت ابن مهدي يقول : لزمتم ملكاً حتى  
ملئني فقلت يوماً : قد غبت عن أهلي هذه الغيبة الطويلة ولا أعلم ما حدث

(١) حلية الأولياء ( ٩ / ٣ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٩ / ٣ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٩ / ٤ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٩ / ١١ ) .

بهم بعدى . قال : يا بنى وأنا بالقرب من أهلى ولا أدرى ما حدث بهم منذ خرجت <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن عمر قال سمعت ابن مهدي يقول : فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو قدامة : سمعت ابن مهدي يقول : لأن أعرف علة حديث أحب إلى من أن أستفيد عشرة أحاديث <sup>(٣)</sup> .

وقال رُسْتَه : قام ابن مهدي من المجلس وتبعه الناس فقال : يا قوم لا تَطَوُّنْ عقيبى ولا تَمْشُنْ خَلْفِي ، حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال عمران : خفق النعال خلف الأحمق قَلْ ما ، يبقى من دينه <sup>(٤)</sup> .

قال رُسْتَه : سألت ابن مهدي عن الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه قال : ما أرى بذلك بأساً ، لكن لا يتمناه من ضرِّه أو فاقة ، تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما <sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٥ / ٩ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٦ / ٩ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٦ / ٩ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٧ / ٩ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٢٠٧ / ٩ ) .

## ٨ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي : توفي ابن مهدي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة <sup>(١)</sup>.

وقال الخطيب البغدادي : ومات عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة .

وعن أحمد بن سفيان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي سئل عن سنّه سنة خمس وتسعين فقال : هذه السنة تتم لي ستين ومات عبد الرحمن في رجب سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وستين <sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٢٠٦ ) .  
(٢) تاريخ بغداد ( ١٠ / ٢٤٨ ) .

من أعلام السلف

٢٦

يحيى بن سعيد القطان





## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي أبو سعيد البصري  
 الأحوال الحافظ ، يقال : مولى بنى تميم ، ويقال : ليس لأحد عليه ولاء <sup>(١)</sup> .  
**مولده :** قال الذهبي : ولد في أول سنة عشرين ومائة <sup>(٢)</sup> .  
**صفته :** قال الحافظ ابن عمار : كنت إذا نظرت إلى يحيى القطان ظننت  
 أنه لا يحسن شيئاً ، بزى التجار ، فإذا تكلم أنصت له الفقهاء <sup>(٣)</sup> .  
 وقال أحمد بن محمد بن يحيى القطان : لم يكن جدى يمزح ولا  
 يضحك إلا تبسماً ، ولا دخل حماماً وكان يخضب <sup>(٤)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ٣١٠ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٧١ / ٩ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٧٩ / ٩ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٧٩ / ٩ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

عن بُندار قال : حدثنا يحيى بن سعيد إمام أهل زمانه <sup>(١)</sup> .

وقال إسحاق بن إبراهيم الشهيدى : كنت أرى يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجدة فيقف بين يديه على بن المدينى ، والشاذكونى ، وعمرو بن على ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث ، وهم قيام على أرجلهم ، إلى أن تحين صلاة المغرب ، لا يقول لواحد منهم اجلس ، ولا يجلسون هيبة له وإعظاماً <sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبى يقول : حدثنى يحيى القطان : وما رأيت عيناى مثله <sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الله بن بشر الطالقانى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : يحيى بن سعيد أثبت الناس ، قال : أحمد : وما كتبت عن مثل يحيى بن سعيد <sup>(٤)</sup> .

وعن أبى عوانة قال : إن كنتم تريدون الحديث فعليكم بيحيى القطان فقال : له رجل : فأين حماد بن زيد ؟ قال : يحيى بن سعيد معلماً <sup>(٥)</sup> .

قال عبد الرحمن بن مهدى : اختلفوا يوماً عند شعبة فقالوا له : اجعل بيننا وبينك حكماً قال : قد رضيت بالأحول - يعنى القطان - فجاء فقضى على شعبة ، فقال شعبة : ومن يطيق نقدك يا أحول <sup>(٦)</sup> .

وقال محمد بن بُندار الجرجانى : قلت لابن المدينى : من أنفع من رأيت

(٤) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٣٩ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٨ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٠ ) .

(١) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٣٣٩ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٣٣٩ ) .

(٣) صفة الصفوة ( ٣ / ٣٦٥ ) .

- للإسلام وأهله ؟ قال : يحيى بن سعيد القطان <sup>(١)</sup> .
- وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان يحيى بن سعيد نقى الحديث ، لا يحدث إلا عن ثقة <sup>(٢)</sup> .
- وعن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أحمد بن حنبل - ولقيته بجمص - يقول : المثبت عندنا بالعراق ثلاثة : يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، ووكيع بن الجراح <sup>(٣)</sup> .
- وعن علي بن المديني قال : سنع لي ليلة خالد بن الحارث فقلت له : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي إن الأمر شديد .
- قلت فما فعل يحيى بن سعيد القطان ؟ قال : نراه كما ترون الكوكب الدرى في أفق السماء <sup>(٤)</sup> .
- وقال محمد بن سعد : وكان ثقة مأمونا رفيعا حجة <sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٨١ / ٩ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٨١ / ٩ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٣٨١ / ٨ ) .

(٤) صفة الصفوة ( ٣٦٧ / ٣ ) .

(٥) طبقات ابن سعد ( ٢٩٣ / ٧ ) .

### ٣ - عبادته رحمه الله

عن يحيى بن معين قال : أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة ، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة ، وما رأى يطلب جماعة قط <sup>(١)</sup>

عن عمرو بن علي قال : كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة ، يدعو لألف إنسان ، ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس <sup>(٢)</sup>

وقال ابن خزيمة : سمعت بنداراً يقول : اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنة ما أظنه عصى الله ، هذه قط <sup>(٣)</sup>

وقال محمد بن يحيى بن سعيد : قال أبي : كنت أخرج من البيت أطلب الحديث فلا أرجع إلا بعد العتمة <sup>(٤)</sup>

(١) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٤١ ) وقوله يختم كل ليلة يعتذر عنه ولا يقتدى به فيه فلم يرخص النبي ﷺ أن يختم في أقل من ثلاثة أيام .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٨ )

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٨ )

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٣ )

## ٤ - تشدده في نقد الرجال

قال الذهبي رحمه الله : كان يحيى بن سعيد متمتعاً في نقد الرجال ، فإذا رأيته قد وثق شيخاً فاعتمد عليه ، أما إذا لين أحداً فتأن في أمره حتى ترى قول غيره ، فقد لين مثل : إسرائيل وهمام ، وجماعة احتج بهم الشيخان ، وله كتاب في الضعفاء لم أقف عليه ، ينقل منه ابن حزم وغيره ، ويقع كلامه في سؤالات على وأبي حفص الصيرفي وابن معين له <sup>(١)</sup> .

عن علي بن المديني قال : ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد القطان ، ولا رأيت أعلم بصواب الحديث والخطأ من عبد الرحمن بن مهدي ، فإذا اجتمع يحيى وعبد الرحمن بن مهدي على ترك حديث زجل تركت حديثه وإذا حدث عنه أحدهما حدثت عنه <sup>(٢)</sup> .

وعن يحيى قال : قال لي يحيى القطان : لو لم أرو إلا عمن أَرْضَى لم أرو إلا عن خمسة <sup>(٣)</sup> .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان يحيى بن سعيد نقي الحديث لا يحدث إلا عن ثقة <sup>(٤)</sup> .

قال عبد الرحمن بن مهدي : اختلفوا يوماً عن شعبة فقالوا له : اجعل بيننا وبينك حكماً قال : قد رضيت بالأحول يعني القطان فجاء فقضى على شعبة فقال شعبة : ومن يطيق نقدك يا أحول <sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٣ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٣٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٨ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨١ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٠ ) .

## ٥ - حفظه وثبته رحمه الله

قال الذهبي : عني بهذا الشأن أتم عناية ، ورحل فيه ، وساد الأقران ، وانتهى إليه الحفظ ، وتكلم في العلل والرجال ، وتخرج به الحفاظ كمسدد والفلاس ، وكان في الفروع على مذهب أبي حنيفة فيما بلغنا إذا لم يجد النص<sup>(١)</sup> .

قال علي بن المديني : لم أر أحداً أثبت من يحيى بن سعيد القطان<sup>(٢)</sup> .

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي : من رأيت في هذا الشأن يعني الحديث ؟ قال : ما رأيت مثل يحيى بن سعيد : قلت : فهشيم قال : هشيم شيخ ما رأيت مثل يحيى . قلت : وعبد الرحمن ابن مهدي ؟ قال : لم نر مثل يحيى في كل أحواله<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو داود : قلت : لأحمد بن حنبل : كان يحيى يحدثكم من حفظه قال : ما رأينا كتاباً كان يحدثنا من حفظه ويقرأ علينا الطوال من كتابنا<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي عوانة قال : إذا كنتم تريدون الحديث ، فعليكم يحيى القطان ، فقال له رجل : فأين حماد بن زيد قال : يحيى بن سعيد معلنا<sup>(٥)</sup> .

وقال عبد الله بن بشر الطالقاني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : يحيى بن سعيد أثبت الناس<sup>(٦)</sup> .

(٤) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٢٣٨ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٨ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٨ ) .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٧٦ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٢٣٦ ) .

(٣) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٢٣٧ ) .

## ٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

**شيوخه :** قال الحافظ : روى عن سليمان التيمي ، وحميد الطويل ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعبيد الله بن عمر ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وهشام بن عروة وعكرمة بن عمار ، يزيد بن أبي عبيد ، وأبان بن صمعة ، وبهز بن حكيم ، وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، وجعفر بن ميمون ، والأعمش ، وحسين المعلم ، ابن جريج ، والأوزاعي ، ومالك ، وابن عجلان ، وأبي صخر حميد بن زياد ، والحسن بن زكوان ، وحاتم بن أبي صغيرة ، وخيثم بن عراك ، وسليم بن حيان ، وشعبة ، وسفيان الثوري ، وابن أبي عروبة ، وسيف بن سليمان ، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الملك بن أبي سليمان ، وعثمان بن غياث ، وعثمان بن الأسود ، وعبيد الله بن الأحنس ، وعوف الأعرابي ، وعمران القصير ، وقرة بن خالد ، وفضيل ابن غزوان ، ويزيد بن كيسان ، والمثنى بن سعيد الضبعي ، وخلق كثير <sup>(١)</sup> .

**تلامذته :** ابنه محمد بن يحيى بن سعيد ، وحفيده أحمد بن محمد ، وأحمد ، وإسحاق ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وعمرو بن علي الفلاس ، ومسدد وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو خيثمة ، وبشر بن الحكم ، وصدقة بن الفضل ، وأبو قدامة السرخسي ، وعبد الله بن عمر القواريري ، ويندار وأبو موسى ، ويعقوب الدورقي ومحمد بن أبي بكر المقدمي ، وأبو كامل الجحدري ، وخلق كثير آخرهم موتاً أبو يعلى بن شداد المسمعي ، وحدث عنه من شيوخه شعبة ، والسفيانان ، ومن أقرانه معتمر بن سليمان وعبد الرحمن بن مهدي <sup>(٢)</sup> .

(١) تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٩٠ ) .

(٢) تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٩٠ ) .

## ٧ - درر من أقواله

عن عمرو بن علي قال : قلت ليحيى في مرضه الذي مات فيه : يعافيك الله فقال : أحبه إليَّ أحبه إلى الله عز وجل <sup>(١)</sup>.

قال محمد بن عبد الله بن عمار قال يحيى بن سعيد : لا تنظروا إلى الحديث ولكن انظروا إلى الإسناد ، فإن صح الإسناد وإلا فلا تفتروا بالحديث ، إذا لم يصح الإسناد <sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن عبد الله قال : سمعت يحيى بن سعيد يقول : القدر والعلم والكتاب عندنا واحد ، وسمعته - وسأله - ابنه محمد - فقال : يا أبت المعاصي بقدر ؟ فقال : المعاصي تقدر <sup>(٣)</sup>.

وعن شاذى بن يحيى قال : قال يحيى بن سعيد القطان : من زعم أن قل هو الله مخلوق فهو زنديق ، والله الذي لا إله إلا هو <sup>(٤)</sup>.

(١) صفة الصفوة ( ٣ / ٣٦٦ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٨ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٨١ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٨١ ) .



## ٨ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي :

قالوا : توفي يحيى بن سعيد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة قبل موت ابن مهدي وابن عيينة بأربعة أشهر رحمهم الله تعالى <sup>(١)</sup>.

وعن علي بن المديني قال : رأيت خالد بن الحارث في النوم فقلت ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي على أن الأمر شديد . قلت : فما فعل يحيى القطان قال : نراه كما يرى الكوكب الدرّى في أفق السماء <sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٧ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ١٨٧ ) .



من أعلام السلف

٢٧

ناصر الحق والسُّنة  
محمد بن إدريس الشافعي



## ١ - اسمه ونسبه ومولده ونشأته وصفته رحمه الله

### اسمه ونسبه وكنيته :

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة كعب بن لؤي بن غالب .

### وكنيته : أبو عبد الله .

وهو ابن عم رسول الله ﷺ يلتقي معه في جده عبد مناف ، فرسول الله ﷺ من بني هاشم بن عبد مناف ، وإمامنا الشافعي من بني عبد المطلب بن عبد مناف ، وقد قال النبي ﷺ : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » <sup>(١)</sup> .

قال النووي رحمه الله : اعلم أنه - ﷺ - كان من أنواع المحاسن بالحل الأعلى ، والمقام الأسنى ، لما جمعه الله له من أنواع المكرمات ، فمن ذلك شرف النسب الطاهر ، والعنصر الباهر ، واجتماعه هو ورسول الله ﷺ في النسب ، وذلك غاية الشرف ، ونهاية الحسب ، ومن ذلك شرف المولد والمنشأ ، فإنه ولد بالأرض المقدسة ونشأ بمكة <sup>(٢)</sup> .

### مولده ونشأته :

قال الذهبي - رحمه الله - : اتفق مولد مولد الإمام رحمه الله بغزة ، ومات أبوه إدريس شاباً ، فنشأ محمد يتيماً في حجر أمه ، فخافت عليه الضيعة ، فتحولت إلى محتده وهو ابن عامين ، فنشأ بمكة ، وأقبل على الرمي ، حتى فاق الأقران ، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة ، ثم أقبل على العربية والشعر فبرع في ذلك وتقدم ، ثم حبب إليه الفقه ،

(١) رواه البخاري ( ٦١٦ / ٦ ) المتأنيب ، وأبو داود ( ٢٩٦٢ ) الخرج والإمارة ، والنسائي ( ١٣٠ / ٧ ) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ( ١ / ٤٩ ) - دار الكتب العلمية .

فساد أهل زمانه <sup>(١)</sup> .

وقال العليمي :

أبو عبد الله الشافعي الإمام الأعظم والحبر المكرم أحد الأئمة المجتهدين الأعلام ، إمام أهل السنة ، ركن الإسلام ، لقي جده شافع رسول الله ﷺ وهو مترعرع ، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر فأسر ، وفدى نفسه ثم أسلم .

ف قيل له : لمَ لمَ تسلم قبل أن تفدى نفسك ؟ فقال : ما كنت أحرم المسلمين طعاماً لهم في .

ولد بغزة من بلاد الشام ، على الأصح ، في سنة خمسين ومائة ، وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة رحمه الله ، وقيل في اليوم الذي مات فيه . وقيل كان مولده بعسقلان . وقيل : باليمن ، ونشأ بمكة ، وكتب العلم بها وبمدينة رسول الله ﷺ ، وقدم بغداد مرتين وخرج إلى مصر فنزلها ، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة . وقيل : سنة إحدى ومائتين ولم يزل بها إلى حين وفاته <sup>(٢)</sup> .

**صفته ورحمة الله :**

وروى أبو نعيم بسنده عند إبراهيم بن مراد قال : وكان الشافعي طويلاً ، نبيلاً ، جسيماً .

وقال الزعفراني : كان الشافعي يخضب بالحناء ، خفيف العارضين .

وقال المزني : ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي ، وكان ربما قبض على لحيته فلا تفضل عن قبضته <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٦/١٠ ) للإمام الذهبي أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط ط دار الرسالة .

(٢) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد لأبي اليمن العليمي ( ٦٣ ) بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط مطبعة المدني .

(٣) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي بتحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، حوادث ووفيات ( ٢٠١ - ٢٠١ ) صفحة ( ٣١٠ ) الناشر دار الكتاب العربي .

## ٢ - ابتداء طلبه للعلم ونبوغه فيه

روى أبو نعيم بسنده عن أبي بكر بن إدريس - وراق الحميدى - عن الشافعي قال : كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطى المعلم ، وكان المعلم قد رضى مني أن أخلفه إذا قام . فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف ، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة ، وكانت لنا جرة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة <sup>(١)</sup> .

وروى البيهقي بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : كان الشافعي في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام الناس والأدب ، ثم أخذ في الفقه بعد .

قال : وكان سبب أخذه في الفقه أنه كان يوماً يسير على دابة له ، خلفه كاتب أبي ، فتمثل الشافعي ببيت شعر فقرعه كاتب أبي بسوط ثم قال له : مثلك تذهب مروءته في مثل هذا أين أنت عن الفقه ؟ قال : فهزأ ذلك ، فقصد مجالسة الزنجي بن خالد - وكان مفتي مكة ثم قدم علينا فلزم مالك بن أنس <sup>(٢)</sup> .

وروى البيهقي كذلك عن أبي بكر الحميدى قال : قال الشافعي : خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد فقال : يافتي ! من أين أنت ؟ قلت : من أهل مكة . قال : وأين منزلك بها ؟ قلت :

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ( ٧٣ / ٩ ) مطبعة السعادة وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ( ٢٠١ - ٢١٠ ) عن الحميدى عن الشافعي كذلك وفي مناقب الشافعي للبيهقي ( ٩٢ / ١ ) عن وراق الحميدى عن الحميدى .  
(٢) مناقب الشافعي ( ٩٦ / ١ ) بتحقيق السيد أحمد صقر .

بشعب الخيف . قال : من أى قبيلة أنت ؟ قلت : من ولد عبد مناف قال :  
يغ بنغ لقد شرفك الله فى الدنيا والآخرة ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه  
كان أحسن بك !<sup>(١)</sup>

قال الذهبي : وعن الشافعى قال : أتيت مالكا وأنا ابن ثلاث عشرة سنة  
- كذا قال والظاهر أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة - قال : فأتيت ابن عم لى  
والى المدينة فكلّم مالكا فقال : اطلب من يقرأ لك . قلت : أنا أقرأ ، فقرأت  
عليه ، فكان ربما قال لى لشيء قد مر أعده فأعيده حفظاً فكأنه أعجبه ثم سألته  
عن مسألة فأجابنى ، ثم أخرى فقال : أنت تحب أن تكون قاضياً<sup>(٢)</sup>  
وقال النووى رحمه الله ما ملخصه :

أخذ الشافعى - رحمه الله - فى الفقه ، وحصل منه على مسلم بن  
خالد الزنجى وغيره من أئمة مكة ما حصل ورحل إلى المدينة قاصداً الأخذ  
عن أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه وأكرمه مالك - رحمه الله -  
وعامله لنسبه وعلمه وفهمه وعقله وأدبه بما هو اللائق بهما ، وقرأ الموطأ على  
مالك حفظاً فأعجبتة قراءته ، فكان مالك يستزيده من القراءة لإعجابه من  
قراءته ، ولازم مالكا فقال له : اتق الله ، فإنه سيكون لك شأن وفى رواية : أنه  
قال له : إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية . ثم ولى  
اليمن واشتهر من حسن سيرته ، وحمله الناس على السنة والطرائق الجمالية  
أشياء كثيرة معروفة ، ثم رحل إلى العراق فى الاشتغال بالعلم وناظر محمد بن  
الحسن وغيره ، ونشر علم الحديث ، وأقام مذهب أهله ، ونصر السنة ،  
وشاع ذكره وفضله وتزايد تزايداً ملاً البقاع .

(١) مناقب الشافعى للبيهقى ( ١ / ٩٧ ) .

(٢) مناقب الشافعى للبيهقى ( ١ / ٩٧ ) .



وأذعن بفضلله الموافقون والمخالفون ، واعترف به العلماء أجمعون ، وعظمت عند الخلائق وولاة الأمور مرتبته ، وظهر من فضله في مناظراته أهل العراق وغيرهم ما لم يظهر لسواه ، عكف للاستفادة منه الصغار والكبار ، والأئمة الأخيار من أهل الحديث والفقهاء وغيرهم ، ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه ، وتمسكوا بطريقته ، وصنف في العراق كتابه القديم المسمى « كتاب الحجة » ثم خرج الشافعي - رحمه الله - إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر ، وسار ذكره في البلدان ، وقصده الناس من الشام واليمن والعراق <sup>(١)</sup> .

(١) تهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٤٧ - ٤٨ ) باختصار .

## ٣ - ثناء العلماء عليه

قال الحافظ أبو نعيم :

ومنهم الإمام الكامل ، العالم العامل ، ذو الشرف المنيف ، والخلق الظريف ، له السخاء والكرم ، وهو الضياء فى الظلم ، أوضح المشكلات ، وأفصح عن المعضلات ، المنتشر علمه شرقاً وغرباً ، المستفيض مذهبه براً وبحراً ، المتبع للسنن والآثار المقتدى بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، اقتبس عن الأئمة الأخيار ، فحدث عنه الأئمة الأحبار ، الحجازى المطلبى أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى - رحمته الله وأرضاه - حاز المرتبة العالية ، وفاز بالمنقبة السامية إذ المناقب والمراتب يستحقها من له الدين والحسب وقد ظفر الشافعى بهما جميعاً .

شرف العلم والعمل به ، وشرف الحسب قربه من رسول الله ﷺ ، فشرفه فى العلم ما خصه الله تعالى به من تصرفه فى وجوه العلم ، وتبسطه فى فنون الحكم ، فاستنبط خفيات المعانى ، وشرح بفهمه الأصول والمباني ، ونال ذلك بما يخص الله تعالى به قريشاً من نبل الرأى <sup>(١)</sup> .

وروى الخطيب بسنده إلى إسحاق بن راهويه قال : أخذ أحمد بن حنبل بيدي وقال : تعالى حتى أذهب بك إلى من لم تر عيناك مثله ، فذهب بي إلى الشافعى <sup>(٢)</sup> .

وبسنده أيضاً إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبى : يا أبة أى شئ كان الشافعى ؟ فإنى سمعتك تكثر من الدعاء له : فقال لى :

(١) حلية الأولياء ( ٩ / ٦٣ ، ٦٤ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٦٦ ) .

يأبى الشافعي كالشمس للدينا وكالعافية للناس ، انظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض <sup>(١)</sup> .

وعن أيوب بن سويد قال : ما ظننت أنى أعيش حتى أرى مثل الشافعي <sup>(٢)</sup> .

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال : ركب الشافعي حماره ، فجعل أبي يساره يمشى ، والشافعي راكب وهو يذاكره فبلغ ذلك يحيى بن معين ، فبعث إلى أبي في ذلك فبعث إليك أنك لو كنت في الجانب الآخر من الحمار كان خيراً لك . هذا أو معناه <sup>(٣)</sup> .

وعن حميد بن زنجويه قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول ، يروى الحديث عن النبي ﷺ قال : « إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم ، وإنى نظرت في سنة مائة فإذا رجل من آل رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز ، ونظرت في رأس المائة الثانية فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ محمد بن إدريس <sup>(٤)</sup> .

وعن محمد بن الفضل البزاز قال : سمعت أبي يقول : حججت مع أحمد بن حنبل فنزلنا في مكان واحد أو في دار « يعنى بمكة » ، وخرج أبو عبد الله - يعنى أحمد بن حنبل - باكراً وخرجت أنا معه فلما صلينا الصبح درت المجالس ، فجلست مجلس سفيان بن عيينة ، وكانت أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله ، حتى وجدته عن شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة ، وعلى رأسه جمعة ، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل . فقلت : يا أبا

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٦٦ ) وذكره المزى في تهذيب الكمال ( ٢٤ / ٣٧١ ) .

(٢) رواه مسند البيهقي في مناقب الشافعي ( ٢١ / ) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ( ٢٠١ - ٢١٠ ) صفحة ٣١٥ .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ( ٢ / ٢٥٣ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٩ / ٩٨ ) .

عبد الله تركت ابن عيينة وعنده الزهري وعمرو بن دينار وزباد بن علاقة ، ومن التابعين ما الله به عليم ؟ ! فقال : اسكت فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول فلا يضرك في دينك ، ولا في عقلك ، أو في فقهك ، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ، ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله تعالى من هذا الفتى القرشي . قلت : من هذا ؟ قال : محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - <sup>(١)</sup> .

وعن سويد بن سعيد قال : كنا عند سفيان بن عيينة فجاء محمد بن إدريس فجلس فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً فغشي على الشافعي فقيل : يا أبا محمد مات محمد بن إدريس ، فقال ابن عيينة : إن كان قد مات محمد ابن إدريس فقد مات أفضل أهل زمانه <sup>(٢)</sup> .

قال الرازي - رحمه الله - : إن ثناء العلماء على الإمام الشافعي أكثر من أن يحيط به الحصر ، ونحن نذكر السبب في محبتهم له وثنائهم عليه فنقول : الناس كلهم كانوا قبل زمان الشافعي فريقين : أصحاب الحديث وأصحاب الرأي .

أما أصحاب الحديث : فكانوا حافظين لأخبار رسول الله ﷺ إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل ، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأي سؤالاً أو إشكالاً بقوا على ما في أيديهم عاجزين متحيرين .

وأما أصحاب الرأي فكانوا أصحاب الجدل والنظر إلا أنهم كانوا فارغين من معرفة الآثار والسنن .

وأما الشافعي : فإنه كان عارفاً بسنة النبي ﷺ محيطاً بقوانينها وكان

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ) ورواه أبو نعيم في الحلية ( ٩ / ٩٨ ، ٩٩ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٩ / ٩٥٦ ) وذكره الرازي في مناقب الشافعي ( ٥٨ / ٥٩ ) .

عارفاً بأداب النظر والجدل ، وقوياً فيه ، وكان فصيح اللسان قادراً على قهر الخصوم فأخذ في نصره أحاديث رسول الله ﷺ ، وكان كل من أورد عليه سؤالاً أو إشكالاً أجاب عنه بأجوبة شافية كافية ، فانقطع بسببه استيلاء أهل الرأي على أصحاب الحديث وسقط فقههم وتخلص بسببه أصحاب الحديث من شبهات أصحاب الرأي ، فلهذا السبب انطلقت الألسن بمدحه والثناء عليه ، وانقاد له علماء الدين وأكابر السلف وبه التوفيق <sup>(١)</sup> .

(١) مناقب الإمام الشافعي لفخر الدين الرازي بتحقيق أحمد حجازي السقا (٦٦) الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

#### ٤ - عبادته وزهده وورعه رحمه الله

قال بحر بن نصر : ما رأيت ولا سمعت كان في عصر الشافعي أنقى لله ولا أروع من الشافعي ، ولا أحسن صوتاً منه بالقرآن <sup>(١)</sup> .

وعن الحسين الكرابيسي قال : بت مع الشافعي ثمانين ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل وما رأيته يزيد عن خمسين آية فإذا أكثر فمأثمة وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكانما جمع له الرجاء والرهبة معاً <sup>(٢)</sup> .

وعن بحر بن نصر قال : كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبى تقرأ القرآن ، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى تتساقط الناس بين يديه ، ويكثر عجيجهم بالبكاء ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته <sup>(٣)</sup> .

وعن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول يكتب ، والثلث الثاني يصلي ، والثلث الثالث ينام <sup>(٤)</sup> .  
وعن حرمة قال : قال الشافعي ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً <sup>(٥)</sup> .

قال الحارث بن مسكين : أراد الشافعي الخروج إلى مكة فأسلم إلى قصاب ثياباً بغدادية مرتفعة ، فوقع الحريق فاحترق دكان القصار والثياب ، فجاء القصار

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١٥٨ / ٢ ) .

(٢) السابق ( ١٥٨ / ٢ ) وتاريخ بغداد ( ٦٣ / ٢٠ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٦٤ / ٢ ) تهذيب الكمال ( ٣٦٨ / ٢٤ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ١٣٥ / ٩ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٣٦ / ١٠ ) .

ومعه قوم فتحمل بهم على الشافعي في تأخيريه ليدفع إليه قيمة الثياب . فقال له الشافعي : قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار ، ولم أثبت أن الضمان يجب ، فلمست أضمنك شيئاً <sup>(١)</sup> .

وعن الحارث بن شريح : قال : دخلت مع الشافعي على خادم للرشد وهو في بيت قد فرش بالديساج ، فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصره فرجع ، ولم يدخل . فقال له الخادم : ادخل فقال : لا يحل افتراش هذا ، فقام الخادم فتبسم حتى دخل بيتاً قد فرش بالأرض ، فدخل الشافعي ، ثم أقبل عليه فقال : هذا حلال وهذا حرام . وهذا أحسن من ذلك ، وأكثر ثمناً ، فتبسم الخادم وسكت <sup>(٢)</sup> .

وعن الربيع قال : قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي : إن عزمتم أن تسكن البلد - يعني مصر - فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال له الشافعي : يا أبا محمد من لم تُعزّه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة وما بتنا جيعاً <sup>(٣)</sup> .

وقيل للشافعي : مالك تدمن إمساك العصي ولست بضعيف ؟ قال : لأذكر أنني مسافر يعني في الدنيا <sup>(٤)</sup> .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : قال لي الشافعي : يا أبا موسى أنست بالفقر حتى صرت لا أستوحش منه <sup>(٥)</sup> .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١٦٣ / ٢ ) .

(٢) السابق ( ١٦٥ / ٢ ) .

(٣) السابق ( ١٦٨ / ٢ ) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ( ٥٥ / ١ ) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١٧٠ / ٢ ) .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ( ١٦٨ / ٢ ) .

وعن الربيع بن سليمان قال : قال لى الشافعى : يا ربيع عليك بالزهد ،  
فللزهد على الزاهد أحسن من الحلوى على المرأة الناهد <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الله بن محمد البلوى قال : جلسنا ذات يوم نتذاكر الزهاد والعباد  
والعلماء وما بلغ من زهدهم ، وفصاحتهم ، وعلمهم فبينما نحن كذلك إذا  
دخل علينا عمر بن نياته فقال : فيماذا تتحاورون ؟ قلنا : نتذاكر الزهاد .  
والعباد والعلماء ، وما بلغ من فصاحتهم فقال عمر بن نياته : والله ما  
رأيت رجلاً قط أروع ولا أخشع ، ولا أفصح ، ولا أصبح ، ولا أسمع ، ولا  
أعلم ، ولا أكرم ، ولا أجمل ، ولا أنبل ولا أفضل ، من محمد بن إدريس  
الشافعى <sup>(٢)</sup> .

(١) السابق ( ٢ / ١٧١ ) .

(٢) السابق ( ٢ / ١٧٧ ) .



## ٥ - سخاؤه وجوده رحمه الله

عن الحميدى قال : قدم الشافعي رضى الله عنه من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فى منديل ، فضرب خبائه فى موضع خارجاً من مكة فكان الناس يأتونه ، فما يرح حتى ذهبت كلها <sup>(١)</sup> .

وعن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعي راكب حماراً فمر على سوق الحذائين ، فسقط سوطه من يده ، فوثب غلام من الحذائين فأخذ السوط ومسحه بكفه وتناوله إياه ، فقال الشافعي لعلامه : ادفع تلك الدنانير التى معك إلى هذا الفتى قال الربيع : فلست أدري كانت تسعة دنانير أو ستة <sup>(٢)</sup> .

وعن الربيع بن سليمان قال : تزوجت فسألنى الشافعي : كم أصدقتهما فقلت : ثلاثين ديناراً . قال كم أعطيتها ؟ فقلت : ستة دنانير . فصعد داره وأرسل إلى بصره فيها أربعة وعشرين ديناراً <sup>(٣)</sup> .

قال ابن عبد الحكم : كان الشافعي أسخى الناس بما يجد ، وكان يمر بنا فإن وجدنى وإلا قال : قولوا لمحمد إذا جاء يأتى المنزل فإنى لا أتغدى حتى يجىء فربما جئته فإذا قعدت معه على الغذاء قال : يا جارية أنضجى لنا فالودج ، فلا تزال المائدة بين يديه حتى تفرغ منه ويتغذى <sup>(٤)</sup> .

وعن الربيع قال : أخذ رجل بركاب الشافعي فقال : يا ربيع أعطه أربعة دنانير ، واعدرنى عنده <sup>(٥)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ٩ / ١٣٠ ) والمناقب للبيهقى ( ٢ / ٢٢٠ ) ومناقب الرازى ( ١٢٨ ) .

(٢) المناقب للبيهقى ( ٢ / ٢٢١ ) والمناقب للرازى ( ١٢٨ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٩ / ١٣٢ ) والمناقب للبيهقى ( ٢ / ٢٢٣ ) .

(٤) حلية الأولياء ( ٢ / ٢٢٢ ) روى فى ( ١٠٠ / ٣٩ ) .

(٥) حلية الأولياء ( ٢ / ٢٢٢ ) روى فى ( ١٠٠ / ٣٩ ) .

وعن الربيع قال : كنا مع الشافعي رضي الله عنه وقد خرج من مسجد مصر ، فانقطع شمع نعله ، فأصلح له رجل شبعه ودفع إليه فقال يا ربيع معك من نفقتنا شيء ؟ قلت : نعم . قال : كم ؟ قلت : سبعة دنانير قال : ادفعها إليه <sup>(١)</sup> .

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : جاءنا الشافعي إلى منزلنا قال : فقال لي أركب دابتي هذه قال : فركبتها قال : فقال لي : أقبل بها وأدبر ففعلت فقال : إنني أراك بها لبقاً فخذها فهي لك . قال : وكان من أسخى الناس ، ثم ذكر قصة التمر <sup>(٢)</sup> .

وقصة التمر رواها أيضاً البيهقي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : كان الشافعي رحمه الله من أسخى الناس قال : وكنت أكل مع الشافعي تمرأ ملوزاً من هذه الجرار ، فجاء رجل فقعده وأكل وكان يجلس إليه .

فلما فرغ من الأكل قال الرجل للشافعي : ما تقوله في أكل الفجأة ؟ قال : فلولي الشافعي عنقه إلى وقال : هلا كان سؤاله قبل أن يأكل <sup>(٣)</sup> .

وقال الشافعي - رحمه الله - : السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقهما بدعة <sup>(٤)</sup> .

وعن إبراهيم بن محمد قال : كنت في مجلس أحمد بن يوسف النقلي صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام ، فجرى ذكر الشافعي وأخلاقه ، وفقهه ، وسماحته فقالوا : ما شبهناه إلا بأبيات أنشدها حفص بن عمر الأزدي المقرعي لبعض الأعراب :

(٢) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٢١ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٣٢٣ ) ، والمناقب للرازي ( ١٢٨ ) .

(٣) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٢٣ ) .

(٤) حلية الأولياء ٩ / ٣٤ ) والمناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٢٧ ) .

إن زرت ساحته ترجو سماحته      بلك راحتته بالجد والكرم  
أخلاقه كرم وقوله نعم      يقولها بفم بحبحت فاحتكم  
ما ضر زائره يرجو أنامله      إن كان ذا رحم أو غير ذا رحم  
الجد غرته والمجد غايته      يقولها بفم قد لج في نعم<sup>(١)</sup>

وعن الربيع بن سليمان قال : دفع إلى الشافعي دراهم لأشترى له حملا، وأمرني أن أشوى ذلك . قال : فنسيت واشتريت سمكتين وشويتهما فأتيته بهما، فنظر فقال : يا أبا محمد كلهما فقد اشتھيتهما<sup>(٢)</sup> .

(١) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ ) .

(٢) السابق ( ٢ / ٣٣٤ ) .

## ٦ - اتباعه للسنة وذمه لأهل الأهواء

عن ميمون بن مهران قال : قال لى أحمد بن حنبل : مالك لا تنظر فى كتب الشافعى ؟ فما من أحد وضع الكتب أتبع للسنة من الشافعى <sup>(١)</sup> .

وعن أبى جعفر الترمذى قال : أردت أن أكتب كتب الرأى فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت : يا رسول الله ؟ فأكتب رأى الشافعى فقال النبى ﷺ : « إنه ليس برأى إنه رد على من خالف سنتى » <sup>(٢)</sup> .

وعن أحمد بن حنبل قال : قدم علينا نعيم بن حماد وحشنا على طلب المسند فلما قدم علينا الشافعى وضعنا على المحجة البيضاء <sup>(٣)</sup> .

قال الربيع : سمعت الشافعى يقول : إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلته .

وقال : سمعته يقول وقال له رجل : يا أبا عبد الله نأخذ بهذا الحديث ؟ فقال : متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا ولم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب <sup>(٤)</sup> .

وقال الحميدى : روى الشافعى يوما حديثا فقلت أتأخذ به ؟

فقال : رأيته خرجت من كنيسة أو على زناراً ، حتى إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثا لا أقول به .

وقال الشافعى : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

(١) حلية الأولياء ( ٩ / ١٠٠ )

(٢) السابق ( ٩ / ١٠٠ )

(٣) السابق ( ٩ / ١٠١ )

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ( ٣٢١ ) وفيات ( ٢٠١ - ٢١٠ )

وقال : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط <sup>(١)</sup> .

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لأن يلقى الله العبد كل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من الهوى <sup>(١)</sup> .

وعن أبي ثور قال : سمعت الشافعي يقول : حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وعن أبي ثور قال : سمعت الشافعي يقول : من ارتدى بالكلام لم يفلح .

قال البيهقي : وإنما يعنى - والله أعلم - كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة وجعلوا معولهم عقولهم وأخذوا في تسوية الكتاب عليها ، وحين حملت إليهم السنة بزيادة بيان لنقض أقاويلهم اتهموا رواتها ، وأعرضوا عنها <sup>(٢)</sup> .

فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبنى على الكتاب والسنة وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل إبطالا لمذهب من زعم أنه غير مستقيم في العقل <sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ الإسلام ( ٣٢١ ) وفيات ( ٢٠١ - ٢١٠ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٤٥٢ ) .

(٣) السابق ( ٢ / ٤٦٢ ) .

(٤) السابق ( ٢ / ٤٦٣ ) .

## ٧ - فقهه رحمه الله

عن عبيد بن محمد بن خلف البزاز قال : سئل أبو ثور فقيل له : أيما أفقه الشافعي أو محمد بن الحسن ؟ فقال أبو ثور : الشافعي أفقه من محمد وأبي يوسف وأبي حنيفة وحماد وإبراهيم وعلقمة والأسود<sup>(١)</sup>.

وعن أحمد بن يحيى قال : سمعت الحميدى يقول : سمعت سيد الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي<sup>(٢)</sup>.

عن الربيع قال : سمعت الحميدى يقول : « عن مسلم بن خالد » أنه قال للشافعي : أفت يا أبا عبد الله فقد - والله - أن لك أن تفتى . وهو ابن خمس عشرة سنة<sup>(٣)</sup>.

وعن حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول فى رجل قال لامرأته وفى فيها تمر : إن أكلتها فأنت طالق ، وإن طرحتها فأنت طالق . قال : تأكل نصفها وتطرح نصفها<sup>(٤)</sup>.

وعن المزنى قال : سئل الشافعي عن نعمة ابتلعت جوهرة لرجل آخر؟ فقال : لست آمرة بشيء ، ولكن إن كان صاحب الجوهرة كيسا غدا على النعمة فذبحها واستخرج جوهرة ثم ضمن لصاحب النعمة ما بين قيمتها حية ومذبوحة<sup>(٥)</sup>.

وعن معمر بن شبيب قال : سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٦٩ ) .

(٢) حلية الأولياء ( ٩ / ٩٤ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٣ / ٩٣ ) ، المناقب للبيهقى ( ١ / ٣٣٨ ) .

(٤) المناقب للبيهقى ( ٢ / ٣٤٠ ) .

(٥) السابق ( ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ ) .

الشافعي يا محمد لأي علة خلق الله الذباب ؟ قال : فأطرق ثم قال له :  
مذلة للملوك يا أمير المؤمنين . قال فضحك المأمون وقال : يا محمد رأيت الذابة  
قد سقطت على خدي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ولقد سألتني وما عندي  
جواب فأخذني من ذلك الزممع فلما رأيت الذابة قد سقطت بموضع لا يناله  
أحد انفتح فيه الجواب . فقال : لله درك يا محمد <sup>(١)</sup> .

قال إبراهيم بن أبي طالب الحافظ : سألت أبا قدامة السرخسي عن  
الشافعي وأحمد ، وأبي عبيد ، وابن راهويه ، فقال : الشافعي أفقههم <sup>(٢)</sup> .  
وعن الربيع قال : كنت يوما عند الشافعي فجاءه رجل فقال : أيها  
العالم : ما تقول في حالف حلف إن كان في كمي دراهم أكثر من ثلاثة  
فعبدي حر ؟ وكان في كمي أربعة دراهم فقال : لم يعتق عبده . قال : لم ؟  
قال : لأنه استثنى من جملة ما في كمي دراهم والدرهم لا يكون دراهم  
فقال : آمنت بالذي فوهك هذا العلم <sup>(٣)</sup> .

(١) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٣٦٣ ) .

(٢) ميز أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٤ ) .

(٣) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٦١ ، ٦٢ ) .

## ٨ - براعته في التصنيف وبركة مصنفاته

الشافعي رحمه الله أول من صنف في أصول الفقه وأحكام القرآن وقد تسابق العلماء والأكابر على اقتناء مصنفاته والاستفادة منها وأعظم كتبه كتابه ( الرسالة ) فهو على سهولة لفظه كثير المعاني عظيم المباني شاهد برجاجة عقله وكمال بصيرته وعذوبة لفظه .

عن أبي ثور قال : كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع والناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة . فوضع له : « كتاب الرسالة » . قال « عبد الرحمن بن مهدي » ما أصلى صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها <sup>(١)</sup> .

وعن المزني قال : قرأت « كتاب الرسالة » للشافعي خمسمائة مرة ما من مرة منها إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى <sup>(٢)</sup> .

وعن محمد بن مسلم بن وارة قال : قدمت من مصر فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه قال : كتبت كتب الشافعي ؟ قلت : لا . قال : فرطت ، ما علمنا المجمل من المفصل ، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي قال : فحملني ذلك إلى أن رجعت إلى مصر وكتبتها ثم قدمت <sup>(٣)</sup> .

وعن أحمد بن مسلمة النيسابوري قال : تزوج إسحاق بن زاهويه بمرو

(١) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٣٠ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٣٦ ) .

(٣) حلية الأولياء ( ٩ / ٩٧ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٥ ) .



بامرأة رجل عنده كتب الشافعي فتوفى لم يتزوج إلا لحال كتب الشافعي ،  
فوضع جامعه الكبير على كتاب الشافعي ، ووضع جامعه الصغير على جامع  
الثوري الصغير <sup>(١)</sup> .

وقال أبو بكر الصومعي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : صاحب  
حديث لا يشبع من كتب الشافعي <sup>(٢)</sup> .

وقال الجاحظ : نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم فلم  
أر أحسن تأليفا من المطليبي ، كأن لسانه ينظم الدرر .

قال العلامة أحمد شاكر : فكتبه كلها مثل رائعة من الأدب العربي  
النقي ، في الذروة العليا من البلاغة يكتب على سجيته وعلى فطرته ، ولا  
يتكلف ولا يتصنع ، أفصح نثر تقرأه بعد القرآن والحديث ولا يساميه قائل ،  
ولا يدانيه كاتب <sup>(٣)</sup> .

وعن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : أريت في المنام  
كأن أت أثنائي فحمل كتبي وبثها في الهواء فتطايرت فاستعبرت بعض  
المعبرين فقال : إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلدان الإسلام إلا ودخله  
علمك <sup>(٤)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ١٠٣ / ٩ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٥٧ / ١٠ ) .

(٣) مقدمة العلامة أحمد شاكر للرسالة الشافعية ( ١٤ ) .

(٤) المناقب للبيهقي ( ٢٥٩ / ١ ) .

## ٩ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

### شيوخه :

قال الحافظ : روى عن مسلم بن خالد الزنجي ، ومالك بن أنس ، وإبراهيم بن سعد ، وسعيد بن سالم القداح ، والداروردي وعبد الوهاب الثقفي ، وابن علية ، وابن عيينه ، وأبي ضمرة ، وحاتم بن إسماعيل ، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى وإسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن خالد الجندی وعمر بن محمد بن علي بن شافع ، وعطاف بن خالد الجندی ، وعمر بن محمد بن علي بن شافع الصنعاني وعطاف بن خالد المخزومي ، وهشام بن يوسف الصنعاني وجماعة<sup>(١)</sup> .

### تلامذته :

قال الحافظ : وعنه سليمان بن داود الهاشمي ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد ، وأحمد بن حنبل ، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وحرمة وأبو الطاهر ابن السرح وأبو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن المزني والربيع بن سليمان المرادي والربيع بن سليمان الجنزي وعمر بن سواد العامري والحسن ابن محمد بن الصباح الزعفراني ، وأبو الوليد موسى بن أبي الجارود المكي ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأبو يحيى محمد بن سعد بن غالب العطار ، وآخرون<sup>(٢)</sup> .

(١) تهذيب التهذيب ( ٢٣ / ٩ ) وانظر أيضاً تهذيب الكمال في جملة أخرى من شيوخه ( ٣٥٦ / ٢٤ ) ، ( ٣٥٧ )

(٢) تهذيب التهذيب ( ٢٣ / ٩ ) ، ( ٢٤ ) وانظر أيضاً لمزيد القائد تهذيب الكمال ( ٣٥٧ / ٢٤ ) ، ( ٣٥٨ )

## ١٠ - كتبه رحمه الله

ذكر البيهقي في مناقبه مائة ونيف وأربعين كتاباً في الأصول والفروع<sup>(١)</sup>.

قال فؤاد سزكين ما ملخصه :

تبلغ كتب الشافعي حوالي (١١٣ - ١٤٠) ذكر منها ابن النديم في الفهرست (١٠٩) كتاباً ، كما أن هناك قائمة أخرى في كتاب (توالى التأسيس) لابن حجر (٧٨) وترجع هذه القائمة إلى البيهقي .

ولقد قسم تلاميذه مؤلفاته إلى قديمة وحديثة : فالقديمة هي التي كتبها في بغداد ومكة والحديثة هي التي كتبها في مصر .

أولاً : كتاب الأم : بعد موت الشافعي جمع تلاميذه عدداً من دراساته في كتاب واحد ، وأغلب الظن أن تسمية هذا الكتاب باسم كتاب الأم إنما يرجع إلى الجيل الثاني ، ولقد دار البحث منذ وقت طويل حول شخصية من قام بتحرير هذه الرسالة وجمعها في كتاب ، وقد ذكر أبو طالب المكي أن يوسف ابن يحيى البويطي هو من قام بهذا العمل ، ويقال بأن تلميذاً آخر للشافعي وهو الربيع بن سليمان .

ثانياً : السنن المأثورة : برواية إسماعيل بن يحيى المزني ، وطبع بحيدر آباد والقاهرة ١٣١٥ هـ .

ثالثاً : «الرسالة في أصول الفقه» : وسمى هذا الكتاب « بالرسالة » لأن الشافعي ألفه ليجيب على بعض أسئلة لعبد الرحمن بن مهدي أرسلها إليه ، وحققه أحمد شاكر بالقاهرة ١٩٤٠ .

(١) انظر المناقب للبيهقي ( ١ / ٢٤٦ : ٢٥٤ ) .

- رابعاً : « مسند » يضم الأحاديث التي جمعها أبو العباس بن محمد بن يعقوب الأصم من مؤلفات مختلفة وطبع على هامش كتاب الأم .
- خامساً : « اختلاف الحديث » وطبع على هامش كتاب الأم .
- سادساً : العقيدة .
- سابعاً : « أصول الدين ومسائل السنة » .
- ثامناً : « أحكام القرآن » وحققه العطار في جزأين .
- تاسعاً : « مسائل في الفقه سألها أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني الشافعي وأجوبتها » .
- عاشراً : « كتاب السبق والرمي » .
- حادى عشر : « وصية » .
- ثانى عشر : « الفقه الأكبر » وطبع في القاهرة ١٩٠٠ م<sup>(١)</sup>
- ونختم هذا الفصل بكلمتين أحدهما للشافعي - رحمه الله - مما يدل على صدقه وإخلاصه في هذه المصنفات والثانية لإسحاق بن راهويه أما الأولى فقد روى البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : وددت أن الناس ، أو الخلق تعلموا هذا ( يعنى كتبه ) على أن لا ينسب إلى منه شيء<sup>(٢)</sup> .
- والثانية عن محمد بن إسحاق بن راهويه قال : سمعت أبي وسئل كيف وضع الشافعي هذه الكتب كلها ولم يكن بكبير السن ؟ فقال : عجل الله له عقله لقلة عمره<sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين ( ٢ / ١٦٨ إلى ١٧٥ ) باختصار .

(٢) المتأقب للبيهقي ( ١ / ٢٥٨ ) .

(٣) السابق ( ١ / ٢٥٨ ) .

## ١١ - درر من أقواله وتنتف من أشعاره

- قال الشافعي رحمه الله :
- طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .
  - زينة العلم الورع والحلم .
  - لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبتهم فيه .
  - ليس العلم ما حفظ العلم ما نفع .
  - من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها .
  - ومن رضى بالقنوع زال عنه الخضوع .
  - ولو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي لما شربته ، ولو كنت اليوم ممن يقول الشعر لرثيت المروءة .
  - للمروءة أربعة أركان : حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك .
  - المروءة : عفة الجوارح عما لا يعينها .
  - ليس بأخيك من احتجت إلى مدارته .
  - من صدق في أخوة أخيه قبل علله وسد خلله وغفر زلله .
  - ليس سرور يعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم .
  - الشفاعات زكاة المروءات .
  - من صدق الله بنجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله تعالى غدا .
  - وقال لأخ له في الله تعالى يعظه ويخوفه : يا أخى إن الدنيا دحض مزلة ، ودار مذلة ، عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها للقبور زائر ، شملها

على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعمار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله تعالى ، ولا تستلف من دار بقائك في دار فنائك ، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك ، وقصر من أملك <sup>(١)</sup> .

وقال رحمه الله : الشعر كلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام غير أنه كلام باق سائر فذلك فضله على سائر الكلام <sup>(٢)</sup> .  
دخل رجل على الشافعي وهو مستلق على ظهره فقال : إن أصحاب أبي حنيفة الفصحاء قال فاستوى الشافعي جالسا وأنشأ يقول :

فلولا الشعر بالعلماء يزرى      لكنت اليوم أشعر من لبيد  
وأشجع في الوغى من كل ليث      وآل مهلب وأبي يزيد  
ولولا خشية الرحمن ربي      حشرت الناس كلهم عبيدي <sup>(٣)</sup>

فمن أشعاره رحمه الله  
لا تأس في الدنيا على فائت  
إن قلت أمر كنت تسعى له  
ومنها :

أمت مطامعي وأرحت نفسي  
فإن النفس ما طمعت تهون  
وأحييت القنوع وكان ميتا  
ففى إحيائه عرض مصون <sup>(٥)</sup>

(١) باختصار من تهذيب الأسماء ( ١ / ٥٣ إلى ٥٧ ) وهي في مناقب البيهقي كذلك ( ٢ / ١٦٨ إلى ٢١٤ ) .

(٢) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٦٢ ) .

(٣) السابق ( ٢ / ٦٦ ) .

(٤) السابق ( ٢ / ٦٦ ) .

(٤) السابق ( ٢ / ٦٧ ) .

ومنها :

يا راكبا قف بالمحصب من منى      واهتف بقاعد خيفها والناهض  
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى      فيضاً كملتطم الفرات الفائض  
إن كان رفضاً حب آل محمد      فليشهد الثقلان أني رافضي  
وإنما قال هذه الأبيات حين نسبة الخوارج إلى الرفض حسدا وبغيا .

وقال البيهقي : وقد روينا عن يونس بن عبد الأعلى أن الشافعي كان إذا ذكر  
الرافضة عابهم أشد العيب ويقول : شر عصابة <sup>(١)</sup> .

وعن الربيع قال : لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه الناس .  
فلم يجلسوا إليه . فقال له بعض من قدم معه : لو قلت شيئا يجتمع إليك به  
الناس قال : فقال : إليك وقال :

أنثر درا بين سارحة النعم      وأنظّم منشور لدائمة الغنم  
لعمري لئن ضيعت في شر بلدة      فلست مضيعا بينهم غرر الكلم  
فإن فرج الله الكريم بلطفه      وصادفت أهلا للعلوم وللحكم  
بثت مفيدا واستفدت ودادهم      وإلا فمخزون لدى ومكتم  
ومن منح الجهال علما أضاعه      ومن منع المستوجبين فقد ظلم <sup>(٢)</sup>  
ومن أشعاره :

الناس بالناس ما دام الحياة بهم      والسعد لاشك تارات وهبات  
وأفضل الناس ما بين الوري رجل      تقضى على يده للناس حاجات  
لا تمنعن يد المعروف عن أحد      ما دمت مقتدرا فالسعد تارات

(١) السابق (٧١ / ٢) .

(٢) المنهج الأحمد (٦٨ ، ٦٩) .

واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت  
قد مات قوم ما ماتت مكارمهم  
ومن أشعاره :

إن الطبيب بطبته ودوائه  
ما للطبيب يموت بالداء الذى  
هلك المداوى والمداوى والذى  
لا يستطيع دفاع مقدور القضا  
قد كان يرى مثله فيما مضى  
جلب الدواء وباعه ومن اشترى<sup>(١)</sup>



## ١٢- وصيته رحمه الله

قال الربيع بن سليمان : قرىء على محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله وأنا حاضر هذا الكتاب

كتبه محمد بن إدريس بن العباس الشافعي في شعبان سنة ثلاث ومائتين ، وأشهد الله عالم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وكفى به جل ثناؤه شهيدا ، ثم من سمعه : أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ لم يزل يدين بذلك ، وبه يدين حتى يتوفاه الله تعالى ، ويغثه عليه إن شاء الله تعالى ، وإنه يوصي نفسه وجماعة من سمع وصيته بإحلال ما أحل الله تبارك وتعالى في كتابه ، ثم على لسان نبيه ﷺ وتحريم ما حرم الله في الكتاب ثم في السنة ، ولا يجاوزوا من ذلك إلى غيره ، فإن مجاوزته ترك فرض الله وترك ما خالف الكتاب والسنة وهما من المحدثات والمحافظة على أداء فرائض الله في القول والعمل والكف عن محارمه خوفا لله عز وجل وكثرة ذكر الوقوف بين يدي ربه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وأن ينزل الدنيا حيث أنزلها الله عز وجل فإنه لم يجعلها دار مقام ، إلا مقام مدة عاجلة الانقطاع وإنما جعلها دار عمل وجعل الآخرة دار قرار وجزاء بما عمل في الدنيا من خير أو شر ، إن لم يعف الله جل ثناؤه ، وأن لا نخالل أحدا إلا أحدا نخالله لله ممن يعقل الخلّة لله تبارك وتعالى ويرجى منه إفادة علم في دين وحسن أدب في دنيا وأن يعرف المرء زمانه ويرغب إلى الله تعالى في الخلاص من شر نفسه فيه ويمسك عن الإسراف بقول أو فعل في أمر لا يلزمه وأن يخلص النية لله تعالى فيما قال وعمل فإن الله يكفى مما سواه ولا

يكفى منه شيء غيره ، وأوصى متى حدث به حدث الموت الذي كتب الله عز وجل على خلقه ، الذي أسأل الله العون عليه وعلى ما بعده وكفاية كل هم لي دون الجنة برحمته .  
ولم يغير وصيته هذه .

فذكر الوصية في أمور ممتلكاته وأولاده وصفته وغيرها ، وقال في آخرها .  
ومحمد بن إدريس يسأل الله القادر على ما يشاء أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، وأن يرحمه فإنه فقير إلى رحمته ، وأن يجيره من النار فإنه غني عن عذابه ، وأن يخلفه في جميع ما خلف بأفضل ما خلف به أحدا من المؤمنين ، وأن يكفيهم فقداه ويجبر مصيبتهم من بعده وأن يقيهم معاصيه ، وإتيان ما قبح بهم ، والحاجة إلى أحد من خلقه بقدرته <sup>(١)</sup> .

## ١٣- مرضه رحمه الله ووفاته

قال الربيع بن سليمان : أقام الشافعي ها هنا أربع سنين فأملئ ألفاً وخمسمائة ورقة .

وخرج « كتاب الأم » ألفى ورقة .

وكتاب « السنه » وأشياء كثيرة كلها فى أربع سنين .

وكان عليلاً شديد العلة ، فكان ربما يخرج الدم منه وهو راكب حتى تمتلىء سراويله ومركبه وخفه <sup>(١)</sup> .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال : ما رأيت أحداً لقي من السقم ما لقي الشافعي فدخلت عليه يوماً فقال لى : يا أبا موسى اقرأ على ما بعد العشرين والمائة من آل عمران وأخف القراءة ولا تثقل فقرأت عليه ، فلما أردت القيام قال : لا تغفل عني فإني مكروب . قال يونس : عني الشافعي رضى الله عنه بقراءتي بعد العشرين والمائة ما لقي النبي ﷺ وأصحابه أو نحوه <sup>(٢)</sup> .

وعن الربيع قال : دخل المنزل على الشافعي فى مرضه الذى مات فيه فقال له : كيف أصبحت يا أستاذ ؟

فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وإخواني مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً ولسوء أعمالي ملاقياً ثم رمى بطرفه نحو السماء واستعبر ثم أنشأ يقول :

(١) المناقب للبيهقي ( ٢ / ٢٩١ ) .

(٢) السابق ( ٢ / ٢٩٣ ) .

إليك إله الخلق أرفع رغبتني ولما قسى قلبي وضافت مذهبني  
تعاظمتني ذنبي فلما قرنته وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل  
ولولاك لا يقوى إبليس عابد فإن تعف عني تعف عن متمرد  
وإن تنتقم مني فلست بآيس فجرمي عظيم من قديم وحادث  
وإن كنت يا ذا المن والجود مجرما جعلت الرجا مني لعفوك سلما  
بعفوك ربي كان عفوك أعظما تجود وتعفو منه وتكرما  
فكيف وقد أغوى صفيك آدميا ظلوم غشوم ما يزال مأثما  
ولو أدخلت نفسي بجرمي جهنما وعفوك يا ذا العفو أعلى وأجسما<sup>(١)</sup>

قال الربيع بن سليمان : لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعي قال له ابن عمه ابن يعقوب : تنزل نصلي ؟ قال : تجلسون تنتظرون خروج نفسي ؟ فنزلنا ثم صعدنا ، فقلنا : صلينا أصلحك الله . قال : نعم فاستسقى - وكان شتاء فقال له ابن عمه أمزجه بالماء المسخن ؟ فقال له الشافعي رحمه الله : لا بل برب السفرجل وتوفي مع العشاء الآخرة رحمة الله عليه<sup>(٢)</sup> .

قال الربيع بن سليمان : توفي الشافعي رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة - بعد المغرب وأنا عنده ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب وانصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين<sup>(٣)</sup> .

وهو ابن أربع وخمسين سنة

وعن أبي زكرياء - يعني الأعرج - قال : سمعت الربيع يقول رأيت في المنام أن آدم مات ﷺ ويريدون أن يخرجوا بجنازته ، فلما أصبحت سألت بعض

(١) مناقب البيهقي ( ٢ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ) .

(٢) السابق ( ٢ / ٢٩٦ ) .

(٣) السابق ( ٢ / ٢٩٨ ) .

أهل العلم عن ذلك فقال : هذا موت أعلم أهل الأرض إن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها فما كان إلا يسيرا حتى مات الشافعي رحمه الله <sup>(١)</sup>.

وغربت بذلك شمس حياته الدنيوية ولكن محبة هذا الإمام وبركة علمه ومصنفاته تملأ طباق الأرض فما من صاحب محبرة إلا وللشافعي عليه منة فنسأل الله أن يغفر لنا وله وأن يمن علينا وعليه بأعلى الدرجات والله عز وجل يغفر لنا تقصيرنا في ترجمته ويمتحننا في الآخرة بصحبته ويدخلنا وإياه في فسيح جنته .

وهذا أوان ترك القلم في ترجمة هذا العلم والقلوب يعد مشتاقة إلى صحبتته والتمتع بكمال عقله ووفور فطنته وبركة كلماته وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وآل بيته الطيبين وأصحابه الغر الميامين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



من أعلام السلف

٢٨

يزيد بن هارون الواسطي





## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** يزيد بن هارون بن زاذى ويقال ابن زاذان بن ثابت السلمى أبو خالد الواسطي ، وكان جده زاذان مولى لأم عاصم امرأة عتبة بن فرقد فأعتقته . قيل : إن أصله من بخارى <sup>(١)</sup> .

**مولده :** قال الذهبي : مولده سنة ثمان وعشرة ومائة <sup>(٢)</sup> .

**صفته :** كان يزيد يخضب خضاباً قانياً إلى الحمرة ما هو <sup>(٣)</sup> .

وعن الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى قال : رأيت يزيد بن هارون بواسط ، وهو من أحسن الناس عينين ، ثم رأيت بهمين واحدة ، ثم رأيت وقد ذهب عيناه . فقلت : يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان ؟ قال : ذهب بهما بكاء الأسحار <sup>(٤)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ٣٢ / ٢٦١ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٥٨ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٤ / ٢٣٨ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٤٢ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال الذهبي : وكان رأساً في العلم والعمل ثقة حجة كبيراً<sup>(١)</sup>  
وعن ابن زياد قال : سمعت أبا عبد الله وقيل له : يزيد بن هارون له فقه ؟  
قال : نعم ما كان أفطنه أذكاه ، وأفهمه ، قيل له : فابن علية ؟ فقال : كان  
له فقه إلا أنني لم أخبره خبر يزيد بن هارون ما كان أجمع أمر يزيد ، صاحب  
صلاة حافظ ، متقن للحديث ، صرامة وحسن مذهب<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن يزيد بن هارون فقال : ثقة إمام ،  
صدوق في الحديث ، لا يسأل عن مثله<sup>(٣)</sup>  
وعن هشيم قال : ما بالمصريين مثل يزيد بن هارون<sup>(٤)</sup>  
وقال يحيى بن أبي طالب : سمعت من يزيد ببغداد وكان يقال : إن في  
مجلسه سبعين ألف .

قال الذهبي : احتفل محدثوا بغداد وأهلها لقدوم يزيد وازدحموا عليه  
لجلالته وعلو إسناده<sup>(٥)</sup> .

وقال علي بن المديني : هو من الثقات<sup>(٦)</sup> .

وقال يحيى بن يحيى النسابوري : كان بالعراق من الحفاظ شيخان  
وكهلان فأما الشيخان فهشيم ويزيد بن زريع ، وأما الكهلان فوكيع ويزيد بن  
هارون ، ويزيد أحفظ الكهلين<sup>(٧)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٥٨ ) .  
(٢) تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٤٠ ) .  
(٣) الجرح والتعديل ( ٩ / ٢٩٥ ) .  
(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦٠ ) .  
(٥) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦١ ) .  
(٦) تهذيب الكمال ( ٢٢ / ٢٦٧ ) .  
(٧) تهذيب الكمال ( ٢٢ / ٢٦٨ ) .

وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، ولد سنة ثمان عشرة ومائة <sup>(١)</sup> .  
وامتدح بعضهم يزيد بن هارون فأنشأ يقول :

شفى العليل إذا ما قال حدثنا يحيى فيلك من ذى منطق حسن  
أو قال أخبرنا داود مبتدئاً والعلم والدر منظومان في قرن  
يعنى يحيى بن سعيد الأنصارى وداود بن أبي هند رحمهما الله <sup>(٢)</sup> .

(١) طبقات ابن سعد ( ٧ / ٣١٤ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٤٣ ) .

## ٢ - حفظه رحمه الله

قال علي بن المديني : ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون <sup>(١)</sup> .

وقال يحيى بن يحيى التميمي : هو أحفظ من وكيع <sup>(٢)</sup> .

وقال أحمد بن حنبل : كان يزيد حافظاً متقناً <sup>(٣)</sup> .

وقال زياد بن أيوب : ما رأيت ليزيد كتاباً قط ، ولا حدثنا إلا حفظاً <sup>(٤)</sup> .

قال علي بن شعيب : سمعت يزيد بن هارون يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل عنها .

قال الذهبي : لأنه أكثر إلى الغاية عن محدثي الشام : ابن عياش وبقيّة ، وإنما حسن سماع ذلك من أصحابهما في أيام أحمد بن حنبل ونحوه <sup>(٥)</sup> .

وقال أحمد بن زهير سمعت أبي يقول : كان يعاب علي يزيد بن هارون حيث ذهب بصره : أنه ربما سأل عن الحديث لا يعرفه ، فيأمر جارية له فتحفظه من كتابه .

قال الخطيب البغدادي : قد وصف غير واحد من الأئمة حفظ يزيد بن هارون لحديثه وضبطه له ، ولعله ساء حفظه لما كفّ بصره وعلت سنة فكان يستثبت جاريته فيما شك فيه ويأمرها بمطالعة كتابه لذلك <sup>(٦)</sup> .

وقال الذهبي : ما بهذا الفعل بأس مع أمانة من يلقيه وي زيد حجة

(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

(٦) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٣٨ ، ٣٣٩) .

(١) تاريخ بغداد ١٤٠ / ٣٣٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٩ / ٣٥٩) .

بلا مثنوية<sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن قدامة الجوهري<sup>٢</sup> : سمعت يزيد بن هارون : احفظ خمسة وعشرين ألف إسناد ولا فخر ، وأنا سيد من روى عن حماد بن سلمة ولا فخر<sup>(٢)</sup> .

وروى أبو طالب عن أحمد قال : كان يزيد حافظاً متقناً للحديث صحيح الحديث عن حجاج بن أرطاه ، قاهراً لها حافظاً<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو زرعة : سمعت أبا بكر بن أبي شيبة يقول : ما رأيت أتقن حفظاً من يزيد بن هارون . قال أبو زرعة : والإتقان أتقن من حفظ السرد<sup>(٤)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦٣ ) وقوله « بلا مثنوية » أي بلا استثناء .

(٢) تهذيب الكمال ( ٣٢ / ٢٦٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٧٠ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٧٠ ) .

#### ٤ - عبادته رحمه الله

عن أحمد بن سنان قال : ما رأيت عالماً أحسن صلاة من يزيد بن هارون يقوم كأنه إسطوانة يصلى بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار هو وهشيم معروفان بطول صلاة الليل والنهار<sup>(١)</sup>

وعن عاصم بن علي قال : كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس - يعني ابن الزبيع - سنة إحدى وستين ، فأما يزيد فكان إذا صلى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلى الغداة بذلك الوضوء نيفاً وأربعين سنة ، وأما قيس فكان يقوم ويصلى و ينام ويقوم وينام ، وأما أنا فكانت أصلي أربع ركعات وأقعد أسبح<sup>(٢)</sup>

وقال أحمد بن سنان : كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل<sup>(٣)</sup>  
وقال يعقوب بن شيبة : كان يزيد يعدُّ من الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر<sup>(٤)</sup>

(١) نهذيب الكمال ( ٣٢ / ٢٦٨ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٤١ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦١ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦١ ) .

## ٥ - اتباعه للستة رحمه الله

عن يحيى بن أكثم قال : قال لنا المأمون : لو لا مكان يزيد بن هارون لأظهرت القرآن مخلوق ، فقليل ومن يزيد حتى يتقى ؟ فقال : ويحك إني لأرتضيه ، لأن له سلطنة ولكن أخاف إن أظهرته فيرد عليّ ، فيختلف الناس ونكون فتنة <sup>(١)</sup> .

وعن شاذ بن يحيى سمع يزيد بن هارون يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو ذنديق <sup>(٢)</sup> .

قال الذهبي : وقد كان يزيد رأساً في السنة معادياً للجهمية منكرأ تأويلهم في مسألة الاستواء <sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال : كان المأمون يسأل عن يزيد بن هارون يقول : ما مات ، وما امتحن حتى مات يزيد <sup>(٤)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦٢ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦٢ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦٢ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٦٢ ) .

## ٦- نتف من أخباره رحمه الله

عن خلف بن سالم قال : كنا في مجلس يزيد بن هارون فمزح مع مستمليه فتنحج أحمد بن حنبل فقال يزيد : من المتنحج ؟ فقيل له : أحمد ابن حنبل فضرب يزيد على جبينه وقال : ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح <sup>(١)</sup> .

وعن يحيى بن أبي طالب قال : كنا في مجلس يزيد - يعني ابن هارون - فألحوا عليه من كل جانب يسألونه عن شيء وهو ساكت لا يجيب حتى إذا سكتوا قال يزيد : إنا واسطيون يعني ما قيل تغافل كأنك واسطي <sup>(٢)</sup> .

وعن يزيد بن هارون قال : لا ينبل أحد من أهل واسط بواسطة لأنهم حساء وقيل ولا أنت يا أبا خالد ؟ فقال : ما عرفت حتى خرجت من واسط <sup>(٣)</sup> .

وعن الحارث بن أبي أسامة قال : كان يزيد بن هارون إذا جاءه من فاته المجلس قال : يا غلام ، ناوله المنديل <sup>(٤)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٣٧١ / ٩ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٣٤٥ / ١٤ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٣٤٥ / ١٤ ، ٣٤٦ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٣٧١ / ٩ ) .



## ٧ - شيوخه وتلامذته

## شيوخه :

قال الخطيب : سمع يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسليمان اليتمى ، وعاصما الأحول ، وحميذا الطويل ، وداود بن أبي هند ، وعبد الله بن عون ، وحسينا المعلم ، وحجاج بن أبي زينب ، وعوام بن حوشب ، وحجاج بن أرطاة ، وبهز بن حكيم ، وهشام بن كيسان ، وأبا غسان محمد بن مطرف ، وشعبة بن الحجاج ، ومحمد بن عمرو الليثي ، والحمادين وخلق سواهم <sup>(١)</sup> .

## تلامذته :

قال الخطيب : روى عنه أحمد بن حنبل ، وعلى بن المديني ، وأبو خيثمة وأبو بكر بن أبي شيبة ، وخلف بن مسلم ، وأحمد بن منيع ، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة ، ويعقوب الدورقي ، ومحمد بن حسان الأزرق ، والحسن بن الصباح ، والبيزار ، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، والحسن بن عرفة ، وسعدان بن نصر ، والحسن بن مكرم ، والحارث بن أبي أسامة في آخرين <sup>(٢)</sup> .

فائدة : قال الخطيب : حدث عنه بقرينة بن الوليد ، وأحمد بن عبد الرحمن السَّقَطِيُّ وبين وفائتهما ثمان وتسعون سنة أو أكثر <sup>(٣)</sup> .

(١) طبقات ابن سعد ( ٧ / ٣١٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٣٧ ) .

(٣) السابق والأحق ( ٣٧٤ ) نقلاً عن تهذيب الكمال ( ٣٢ / ٢٦٩ ) .

## ٨ - وفاته رحمه الله

قال محمد بن سعد : توفي في خلافة النعمان وهو ابن تسع أو ثمان وثلاثين سنة وأشهر ، يعني سنة ست ومائتين <sup>(١)</sup> .

وقال يعقوب بن شيبة : توفي يزيد بواسط في شهر ربيع الآخر سنة ست ومائتين <sup>(٢)</sup> .

وعن أبي رافع ابن يت يزيد بن هارون قال : كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلا - وأحبه قال شيخنا - قال فقال أحدهما : يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون في المنام فقلت له : يا أبا خالد ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي وشقني وعطيني قال : قلت : غفر لك وشقك قد عرفت .. فقيم عاتيك ؟ قال : قال لي : يا يزيد أتحدث عن جرير بن عثمان ؟ قال : قلت يلرب ما علمت إلا خيرا .. قال : يلزيد إنه كذلك يحض أبا الحسن على بن أبي طالب ..

قال وقال الآخر : أنا رأيت يزيد بن هارون في المنام ، فقلت له : هل أتاك متكر وتكر ؟ قال : أي والله وسألني : من ربك وما دينك ؟ قال : فقلت ألتلي هذا ؟ وأنا كنت أعلم النمل في بيهنا في دار الدنيا ؟ فقال لي : صلقت فم نومة العروس <sup>(٣)</sup> ..

(١) طبقات ابن سعد ( ٧ / ٣١٤ ، ٣١٥ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٣٢٩ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٤٧ ) .

من أعلام السلف

٢٩

أبو عبيد القاسم بن سلام



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** القاسم بن سلام بن عبد الله أبو عبيد ، الأديب ، الفقيه المحدث ، صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر .

**مولده :** قال الذهبي : مولد أبي عبيد سنة سبع وخمسين ومائة <sup>(١)</sup> .

وقال علي بن عبد العزيز : ولده بهرة ، وكان أبوه عبداً لبعض أهلها ، وكان يتولى الأزد <sup>(٢)</sup> .

**صفته :** قال الذهبي : قيل : كان أبو عبيد أحمر الرأس واللحية بالخصاب ، وكان مهيباً وقوراً <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٠٠ / ٤٩١ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٤ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .

## ٢- ثناء العلماء عليه

قال أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى : سألت أبا الحسن الدارقطنى عن  
أبى عبيد فقال : إمام ثقة جليل ، وسلام والده رومى <sup>(١)</sup> .

وقال أحمد بن كامل بن خلف القاضى : كان أبو عبيد فاضلاً فى دينه  
وفى علمه ، ربانياً نفعياً فى أصناف من علوم الإسلام ، من القرآن ، والفقه ،  
والأخبار والعربية ، حسن الرواية صحيح النقل ، لا أعلم أحداً من الناس طعن  
عليه فى شيء من أمره ودينه <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن سعد : وكان مؤدباً صاحب نحو وعربية ، وطلب الحديث  
والفقه ، وولى قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ، ولم يزل معه ومع  
ولده ، وقدم بغداد ففسر بها غريب الحديث وصنف كتباً ، وسمع الناس منه  
وحج فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين <sup>(٣)</sup> .

وقال عبد الله بن جعفر - يعنى ابن درستويه الفارسى النحوى : من علماء  
بغداد النحويين ، على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين  
والكوفيين ، والعلماء بالقراءات ، ومن جمع صنوفاً من العلم ، وصنف الكتب  
فى كل فن من العلوم والأدب فأكثر وشهر أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكان  
مؤدباً لآل هرثمة وصار فى ناحية عبد الله بن طاهر ، وكان ذا فضل ودين ومستر  
ومذهب حسن <sup>(٤)</sup> .

وعن أحمد بن سلمة النيسابورى قال : سمعت إسحاق بن راهوية يقول :

(١) تهذيب الكمال ( ٢٣ / ٣٥٨ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٢٣ / ٣٥٩ ) .

(٣) طبقات ابن سعد ( ٧ / ٣٥٥ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٤ ) .

الحقُّ يحبه الله عز وجل ، أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني <sup>(١)</sup> .

وعن أحمد بن نصر المقرئ قال سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول : إن الله لا يستحي من الحق أبو عبيد أعلم مني ، ومن أحمد بن حنبل ، والشافعي <sup>(٢)</sup> .

وعن أبي عمرو محمد بن عبد الواحد اللغوي قال : سمعت أبا العباس ثعلباً يقول : لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجباً <sup>(٣)</sup> .

وعن إبراهيم الحري قال : أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ، فتعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ما مثله إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث فما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأنه الله جمع له علم الأولين من كل صنف ، يقول ما شاء الله ، ويمسك ما شاء الله <sup>(٤)</sup> .

وعن الهلال بن العلاء الرقي قال : من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم : بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد ثبت في المحنة لولا ذلك كفر الناس ، وب يحيى بن معين نفى الكذب عن الحديث ، وبأبي عبيد فسر الغريب من الحديث ، ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ <sup>(٥)</sup> .

وعن حمدان بن سهل قال : سألت يحيى بن معين عن الكتبة عن أبي عبيد فقال : - وتبسم - مثلى يسأل عن أبي عبيد ؟ أبو عبيد يسأل عن الناس ، لقد كنت عند الأصمعي يوماً ، إذ أقبل أبو عبيد ، فشق إليه بصره حتى اقترب منه فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم ، قال : لن تضيع الدنيا

(١) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١١ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١١ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١١ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١١ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩٩ ) .

أو الناس ماحيى هذا <sup>(١)</sup>.

وروى عبد الخالق بن منصور عن ابن معين قال : أبو عبيد ثقة <sup>(٢)</sup>.

وقال عباس بن محمد عن أحمد بن حنبل : أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيراً <sup>(٣)</sup>.

وقال أبو داود : أبو عبيد ثقة مأمون <sup>(٤)</sup>.

وقال أبو قدامة : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أبو عبيد أستاذ <sup>(٥)</sup>.

وقال الحاكم : كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم فى علوم كثيرة ، ولم يرضه أهل علم منها ، وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد <sup>(٦)</sup>.

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٤ ) .



## ٣ - قصته مع أمير خراسان

نقل الخطيب في تاريخه وغيره أن طاهر بن الحسين حين سار إلى خراسان نزل بمرور ، فطلب رجلاً يحدثه ليلة ، فقبل ماها هنا إلا رجل مؤدب ، فأدخلوا عليه أبا عبيد فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو اللغة والفقه ، فقال له : من المظالم تركك أنت بهذه البلدة ، فأعطاه ألف دينار وقال له : أنا متوجه إلى حرب وليس أحب اصطحابك شفقاً عليك ، فأنفق هذه إلى أن أعود إليك فألف أبو عبيد ، غريب المصنف وعاد طاهر بن الحسين من ثغر خراسان فحمل معه أبا عبيد إلى سر من رأى ، وكان أبو عبيد ثقة ديناً ورعاً كبير الشأن <sup>(١)</sup> .

قال ابن درستويه : ولأبي عبيد كتب لم يروها ، قد رأيتها في ميراث بعض الطاهرية تباع كثيرة في أصناف الفقه كله ، وبلغنا أنه كان إذا ألف كتاباً أهداه إلى ابن طاهر فيحمل إليه مالا خطيراً <sup>(٢)</sup> .

وقال عبيد الله بن عبد الرحمن السكري : قال أحمد بن يوسف - إما سمعته منه أو حدثت به عنه - قال : لما عمل أبو عبيد كتاب غريب الحديث عرض على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق أن لا يحوج إلى طلب المعاش ، فأجرى له عشرة آلاف درهم في الشهر <sup>(٣)</sup> .

وعن الفسطاطي قال : كان أبو عبيد مع ابن طاهر فوجه إليه أبو دلف

(١) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٦ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢١٢ / ٤٠٤ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩٣ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٤ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩٥ ) .

بثلاثين ألف درهم ، فلم يقبلها ، وقال : أنا في جنبه رجل ما يحوجني إلى صلة غيره ، ولا آخذ ما على فيه نقص ، فلما عاد ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار ، فقال له : أيها الأمير قد قبلتها ، ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرك عنها وقد رأيت أن أشتري بها سلاحاً وخيلاً وأوجه بها إلى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ففعل<sup>(١)</sup> .

## ٤ - عبادته واتباعه للستة رحمه الله

قال أبو بكر بن الأنباري : كان أبو عبيد - رحمه الله - يقسم الليل أثلاثاً فيصلّي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه <sup>(١)</sup> .

وقال أبو حامد الصاغاني سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول : فعلت بالبصرة فعلتين أرجو بهما الجنة : أتيت يحيى القطان وهو يقول : أبو بكر وعمر فقلت : معي شاهدان من أهل بدر يشهدان أن عثمان أفضل من علي قال : من ؟ قلت : أنت حدثنا عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة . عن النزال ابن سبرة قال : خطبنا ابن مسعود فقال : أمّرتنا خير من بقي ولم نأل . قال : ومن الآخرة ؟ قلت : الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور قال : سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول : شاورت المهاجرين الأولين وأمرء الأمصار وأصحاب رسول الله ﷺ فلم أر أحداً يعدل بعثمان قال : فترك يحيى قوله وقال : أبو بكر وعمر وعثمان . قال : وأتيت عبد الله الخريبي فإذا بيته بيت خمّار <sup>(٢)</sup> . فقلت : ماهذا ؟ قال : ما اختلف عليه أولنا ولا آخرنا . قلت : اختلف فيه أولكم وآخركم قال : من ؟ قلت : أيوب السختياني عن محمد عن عبيدة قال : اختلف عليّ في الأشرية فمالى شراب منذ عشرين سنة إلا غسل أو لبّن أو ماء . قال ومن آخرنا ؟ قلت : عبد الله بن إدريس قال : فأخرج كل مافي منزله فأهراقه <sup>(٣)</sup> .

وعن العباس الدوري قال : سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر الباب

(١) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٨ ) وطبقات الشافعية ( ٢ / ١٥٤ ) .

(٢) لعله رحمه الله كان ممن يقول بإباحة النبيذ كما كان يذهب إليه بعض العلماء مما لا يسكر إلا كثيرة ولذلك قال : فإذا بيته بيت خمّار .

(٣) تاريخ بغداد ( ٢ / ٤٠٩ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩٨ ) .

الذى يرى فيه الرؤية والكرسى موضع القدمين وضحك ربنا وأين كان ربنا - فقال : هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهى عندنا حق لا نشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف يضحك : وكيف وضع قدمه ؟ قلنا لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره <sup>(١)</sup>.

قال الذهبى : قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم ، وما أبقوا ممكنا ، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً وهى أهم الدين ، فلو كان تأويلها سائفاً أو حتماً لبادروا إليه ، فعلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق ، لا تفسير لها غير ذلك فنؤمن بذلك اقتداءً بالسلف ، معتقدين أنها صفات لله تعالى ، استأثر الله بعلم حقائقها ، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين ، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين ، فالكتاب والسنة نطق بها ، والرسول ﷺ بلغ ، وما تعرض لتأويل ، مع كون البارى قال : ﴿ لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [ النحل ٤٤ ] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم <sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٥ ) وقد نبه المحقق عن عدم صحة . الكرسى موضع القدمين ، مرفوعاً ، وكذا : أين كان ربنا ؟ .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٥٠٦ ) .

## ٥ - كتبه رحمه الله

قال ابن درستويه : والغريب المصنف « من أجل كتبه اللغة احتذى فيه كتاب النضر بن شميل . المسمى بكتاب الصفات ، بدأ فيه بخلق الإنسان ، ثم بخلق الفرس ثم بالإبل ، وهو أكبر من كتاب أبي عبيد وأجود .

قال : ومنها كتابه في الأمثال أحسن تأليفه ، وكتاب « غريب الحديث » ذكره بأسانيده فرغب فيه أهل الحديث ، وكذلك كتابه في « معاني القرآن » حدث بنصفه ومات .

وله كتب في الفقه فإنه عمد إلى مالك والشافعي فتقلد أكثر ذلك ، وأتى بشواهد ، وجمعه من رواياته وحسنها باللغة والنحو .

وله في القراءات كتاب جيد ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله ، وكتابته في الأموال من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده <sup>(١)</sup> .

وقال الذهبي : وصنف التصانيف المونقة التي سارت بها الركبان ، وله مصنف في القراءات لم أره وهو من أئمة الاجتهاد ، وله مجلد كبير سمعناه بالإتصال ، وكتاب « الغريب » مروى أيضاً ، وكتاب « فضائل القرآن » وقع لنا ، وكتاب « الطهور » ، وكتاب « الناسخ والنسخ » وكتاب « المواعظ » وكتاب « الغريب المصنف » في علم اللسان ، وغير ذلك ، وله بضعة وعشرون كتاباً <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٥ ) وعنه سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩٣ ، ٤٩٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩١ ، ٤٩٢ ) .

## ٦ - توقيره لأهل العلم

عن ابن عرعر قال : كان طاهر بن عبد الله ببغداد فطمع في أن يسمع من أبي عبيد ، وطمع أن يأتيه في منزله ، فلم يفعل أبو عبيد ، حتى كان هو يأتيه ، فقدم على ابن المديني وعباس العنبري ، فأرادا أن يسمعا « غريب الحديث » فكان يحمل كل يوم كتابه ويأتيهما في منزلهما فيحدثهما فيه (١)

وعن جعفر بن محمد بن علي بن المديني : سمعت أبي يقول : خرج أبي إلى أحمد بن حنبل يعودده وأنا معه فدخل إليه وعنده يحيى بن معين وجماعة ، فدخل أبو عبيد فقال له يحيى : اقرأ علينا كتابك الذي عملته للمأمون « غريب الحديث » ، فقال : هاتوه فجاءوا بالكتاب فأخذه أبو عبيد فجعل يبدأ يقرأ الأسانيد ويدع تفسير الغريب ، فقال أبي : دعنا من الاسناد نحن أحقق بها منك ، فقال يحيى بن معين لأبي دعه يقرأ على الوجه فإن ابنك معك ، ونحن نحتاج أن نسمعه على الوجه ، فقال أبو عبيد : ما قرأته إلا على المأمون ، فإن أحببتم أن تقرؤوه فاقروا ، فقال له ابن المديني : إن قرأته علينا وإلا لا حاجة لنا فيه ، ولم يعرف أبو عبيد علي بن المديني ، فقال ليحيى من هذا ؟ فقال : هذا علي بن المديني فالتزمه وقرأه علينا فمن حضر ذلك المجلس جاز أن يقول : حدثنا وغير ذلك فلا يقول (٢)

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٧) .

## ٧ - من أقواله رحمه الله

عن علي بن عبد العزيز قال سمعت أبا عبيد يقول : المتبع السنة كالقابض على الجمر هو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله <sup>(١)</sup> .  
وعنه قال : مثل الألفاظ الشريفة والمعانى الظرفية مثل القلائد اللامحة فى الترائب الواضحة <sup>(٢)</sup> .

وقال عباس الدورى : سمعت أبا عبيد يقول : إني لأتبين فى عقل الرجل أن يدع الشمس ويمشى فى الظل <sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١٠ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١٠ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١٠ ) .

## ٨ - شيوخه وتلامذته

### شيوخه :

قال الخطيب : سمع إسماعيل بن جعفر ، وشريكا ، وإسماعيل بن عياش ، وهشيم بن بشير ، وسفيان بن عيينة ، وإسماعيل بن عليه ، ويزيد بن هارون ، ويحيى بن سعيد القطان ، وحجاج بن محمد ، وأبا معاوية الضرير ، وصفوان بن عيسى ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وحمام بن مسعدة ، ومروان بن معاوية ، وأبا بكر بن عياش ، وعمر بن يونس ، وإسحق الأزرق وغيرهم (١)

### تلامذته :

قال الخطيب : روى عنه نصر بن داود بن طوق ، ومحمد بن إسحاق الصاغانى ، والحسن بن مكرم ، وأحمد بن يوسف التغلبى ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، والحاتر بن أبي أسامة ، ومحمد بن يحيى المروزى ، وعلى بن عبد العزيز البغوى فى آخرين (٢)

وزاد الذهبى فى سيره : عبد الله بن عبد الرحمن البغوى ، وعباس الدورى وأحمد بن يحيى البلاذرى (٣)

(١) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٣ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤٠٣ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٤٩٢ ) .



## ٩ - وفاته رحمه الله

قال البخارى وغيره : مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة <sup>(١)</sup> .  
وقال الخطيب : وبلغنى أنه بلغ سبعا وستين سنة رحمه الله <sup>(٢)</sup> .  
قال عبدان بن محمد المروزي : حدثنا أبو سعيد الضرير قال : كنت عند  
عبد الله بن طاهر فورد عليه نعى أبى عبيد فأنشأ يقول :

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ قَدْ مَاتَ ابْنُ سَلَامٍ	وَكَانَ فَارِسَ عِلْمٍ غَيْرَ مُحْجَمٍ
مَاتَ الَّذِي كَانَ فِينَا رُبَّ أَرْبَعَةٍ	لَمْ يُلَقَ مِثْلُهُمْ إِسْتِارَ أَحْكَامٍ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ عَبْدَ اللَّهِ أَوْلَهُمْ	وَعَامِرٌ وَلِنَعْمَ التَّلْوِيَا عَامٍ
هُمَا اللَّذَانِ أَنْفَا فَوْقَ غَيْرُهُمَا	وَالْقَاسِمَانِ ابْنِ مَعْنٍ وَابْنِ سَلَامٍ <sup>(٣)</sup>

وكان عبد الله بن طاهر يقول : الأئمة للناس أربعة : ابن عباس فى زمانه ،  
والشعبي فى زمانه والقاسم بن معن فى زمانه ، وأبو عبيد فى زمانه <sup>(٤)</sup> .

(١) التاريخ الكبير ( ٧ / ١٧٢ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٢ / ٤١٠ ) .

(٣) طبقات الشافعية ( ٢ / ١٥٦ ) .

(٤) طبقات الشافعية ( ٢ / ١٥٦ ) .



من أعلام السلف

٣٠

يحيى بن معين



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن وقيل اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفاني ثم المري مولا هم البغدادي .

**مولده :** قال أحمد بن زهير : ولد يحيى في سنة ثمان وخمسين ومائة قال الذهبي : وكتب العلم وهو ابن عشرين سنة <sup>(١)</sup> .

وقال الحسين بن فهم : سمعت يحيى بن معين يقول : ولدت في خلافة أبي جعفر سنة ثمان وخمسين ومائة في آخرها <sup>(٢)</sup> .

**صفته :** قال الذهبي : قيل : أصل ابن معين من الأنبار ونشأ ببغداد وهو أسن الجماعة الكبار الذين هم : علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهوية وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو خيثمة فكانوا يتأدبون معه ويعترفون له وكان له هبة وجلال يركب على البغلة ويتجمل في ثيابه رحمه الله <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٧٦ ، ٧٧ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩٥ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٧٨ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال عبد الخالق بن منصور : قلت لابن الرومي : سمعت بعض أصحاب الحديث يحدث بأحاديث يحيى ويقول : حدثني من لم تطلع الشمس على أكبر منه فقال : ما تعجب سمعت على ابن المديني يقول : ما رأيت في الناس مثله <sup>(١)</sup>

وقال أيضاً : قلت لابن الرومي : سمعت أبا سعيد الحداد يقول الناس كلهم عيال على يحيى بن معين فقال : صدق ما في الدنيا أحد مثله سبق الناس إلى هذا الباب الذي هو فيه لم يسبقه إليه أحد وأما من يجي بعده لا ندري كيف يكون <sup>(٢)</sup>

قال الحافظ الخطيب البغدادي : وكان إماماً ربانياً عالماً حافظاً ثبتاً متقناً <sup>(٣)</sup> . وعن العباس الدوري قال : رأيت أحمد بن حنبل في مجلس روح بن عباد سنة خمس ومائتين يسأل يحيى بن معين عن أشياء يقول له : يا أبا زكريا كيف حديث كذا ، وكيف حديث كذا ، يريد أحمد أن يستثبته في أحاديث قد سمعوها فما قال : يحيى كتبه أحمد ، وقلما سمعت أحمد بن حنبل ينعمي يحيى بن معين باسمه : إنما كان يقول : قال أبو زكريا ، قاله أبو زكريا <sup>(٤)</sup>

وقال ابن المديني : انتهى علم الناس إلى يحيى بن معين <sup>(٥)</sup>

وقال يحيى القطان : ما قدم علينا مثل هذين أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين .

(٤) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٨٠ ) .

(٥) تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٤٣٠ ) .

(١) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٥٥٣ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٥٥٣ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٧٧ ) .

وقال أحمد بن حنبل : يحيى بن معين أعلمنا بالرجال .

ثم قال الذهبي : يحيى أشهر من أن نطول الشرح بمناقبه <sup>(١)</sup> .

وعن جعفر الطيالسي قال : سمعت ابن معين يقول : لما قدم عبد الوهاب ابن عطاء أتيته فكتبت عنه فبينما أنا عنده إذ أتاه كتاب من أهله فقرأه وأجابهم فرأيتهم وقد كتب على ظهره قدمت بغداد وقبلني يحيى بن معين والحمد لله رب العالمين <sup>(٢)</sup> .

وقال عبيد الله القواريري : قال لي يحيى القطان ما قدم علينا البصرة مثل أحمد ويحيى بن معين <sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الخالق بن منصور قال : سمعت ابن الرومي يقول : ما رأيت أحداً قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى وغيره كان يتحامل بالقول .

قلت ( الذهبي ) : هذا القول من عبد الله بن الرومي غير مقبول وإنما قاله باجتهاده ونحن لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل لكن هم أكثر الناس صواباً وأندرههم خطأ ، وأشدّهم إنصافاً ، وأبعدهم عن التحامل ، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرح فتمسك به واعرض عليه بناجذيك ، ولا تتجاوز فتندم ، ومن شذ منهم فلا عبرة به فخلّ عنك العناء ، واعط القوس باريها فوالله لولا الحفاظ الأكابر لخطبت الزنادقة على المنابر ، ولئن خطب مخاطب من أهل البدع فإنما هو بسيف الإسلام ، ولسان الشريعة وبجاء السنة وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ فتعوذ بالله من الخذلان <sup>(٤)</sup> .

وروى عبد الله بن أبي زياد القطواني عن أبي عبيد قال : انتهى الحديث

(١) تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٤٣٠ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٨٠ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٨٥ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ٨٢ ) .

إلى أربعة : أحمد بن حنبل وهو أفقهم فيه ، وإلى يحيى بن معين ، وهو أكتبهم له ، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به وإلى أبي بكر بن أبي شيبة وهو أحفظهم له .

وفي رواية عن أبي عبيد : وإلى ابن معين وهو أعلمهم بصحيحه وسقيمه <sup>(١)</sup> .

قال أحمد بن يحيى بن الجارود : قال ابن المديني : ما أعلم أحداً كتب ما كتب يحيى بن معين <sup>(٢)</sup> .

وقال البراء سمعت علياً يقول : لا نعلم أحداً من لدن آدم كتب من الحديث ما كتب ابن معين <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٨٥ )  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩١ )  
(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩١ )



## ٢ - مهارته في معرفة خطأ الحديث

قال عباس الدوري : حدثنا يحيى بن معين قال : حضرت نعيم بن حماد بمصر فجعل يقرأ كتاباً صنفه فقال : حدثنا ابن المبارك عن ابن عون وذكر أحاديث ، فقلت : ليس ذا عن ابن المبارك فغضب وقال : تزدد علي ؟ قلت : إى والله أريد زينك فأبى أن يرجع فلما رأيته لا يرجع . قلت : لا والله ما سمعت هذه من ابن المبارك فغضب وغضب من كان عنده وقام فدخل فأخرج صحائف فجعل يقول وهى بيده : أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمرير المؤمنين فى الحديث ؟ نعم يا أبا زكريا غلطت وإنما روى هذه الأحاديث غير ابن المبارك عن ابن عون <sup>(١)</sup> .

عن ابن الرومى قال : كنت عند أحمد فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله : انظر فى هذه الأحاديث فإن فيها خطأ قال : عليك بأبى زكريا فإنه يعرف الخطأ <sup>(٢)</sup> .

وقال عبد الخالق لابن الرومى حدثنى أبو عمرو أنه سمع أحمد بن حنبل يقول : السماع مع يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور فقال لى : وما تعجب من هذا كنت أختلف أنا وأحمد إلى يعقوب بن إبراهيم فى المغازى ويحيى بالبصرة فقال أحمد : ليت أن يحيى ههنا قلت له : وما تصنع به ؟ قال : يعرف الخطأ <sup>(٣)</sup> .

وعن أبى مقاتل سليمان بن عبد الله قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين - يعنى يحيى بن معين <sup>(٤)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٨٩ ، ٩٠ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٧٩ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٨٠ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٨٠ ) .

## ٤ - شيوخه وتلامذته

## شيوخه :

قال الذهبي : سمع من ابن المبارك وهشيم ، وإسماعيل بن عياش وعباد ابن عباد ، وإسماعيل بن مجالد بن سعيد ، ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، ومعتمر بن سليمان ، وسفيان بن عيينة ، وغندر ، وأبى معاوية ، وخاتم بن إسماعيل ، وحفص بن غياث ، وجريز بن عبد الحميد ، وعبد الرزاق ، ومروان ابن معاوية ، وهشام بن يوسف ، وعيسى بن يونس ، ووكيع أو معن ، وأبى حفص الأبار ، وعمر بن عبيد ، وعلى بن هاشم ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، وعفان وخلق كثير بالعراق والحجاز والجزيرة والشام ومصر<sup>(١)</sup>.

## تلامذته :

قال الحافظ : وعن البخارى ومسلم وأبو داود ورووا هم أيضاً والباقون له بواسطة عبد الله بن محمد المسندى وهناد بن السرى وهما من أقرانه ، والفضل ابن سهل الأعرج ، ومحمد بن عبد الله بن المبارك المخزومى ، ومحمد بن إسحاق الصفانى ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، ومعاوية بن صالح الأشعري وأبو بكر بن على المروزي ، وروى عنه أيضاً أحمد بن حنبل ، وأحمد بن أبى الحوارى ، وابن سعد ، وداود بن رشيد ، وأبو خيثمة ، وهم من أقرانه ، وأحمد ويعقوب ابنا إبراهيم الدورقي ، وتلامذة إبراهيم بن عبد الله بن الجعيد الختلى ، وأبو بكر بن أبى خيمة<sup>(١)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٧٢ ) .

(٢) تهذيب التهذيب ( ١١ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ ) . وانظر بقية تلامذته .

## ٥ - درر من أقواله

عن يزيد بن مجالد المعبر قال : سمعت يحيى بن معين يقول : إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش <sup>(١)</sup> .

وعن أحمد بن علي الأبار قال يحيى بن معين : كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزاً نضيجاً <sup>(٢)</sup> .

قال يحيى : ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحببتُ أن أزين أمره وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته <sup>(٣)</sup> .

عن أبي بكر محمد بن مهرويه قال سمعت : علي بن الحسين بن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول : إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطّوا رحالهم في الجنة من أكثر من مئتي سنة قال ابن مهرويه : فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب « الجرح والتعديل » فحدثته بهذه الحكاية فبكي وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية أو كما قال <sup>(٤)</sup> .

وعن داود بن رشيد قال أنشدني يحيى بن معين :

المال يذهب حله وحرامه	يوماً وتبقى في غَدِ آثامه
ليس التقى بمتقى لإلهه	حتى يطيب شرابه وطعامه

(١) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٥٤٩ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٤ / ١٨٤ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٨٣ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩٥ ) .

ويطيب ما يحوى وتكسب كفه      نطق النبی لنا به عن ربه  
فيكون في حسن الحديث كلامه      فعلى النبي صلاته وسلامه<sup>(١)</sup>

وعن جعفر بن أبي عثمان الطيالسي قال أنشدنا يحيى بن معين :

أخلاء الرجال هم كثير      ولكن في البلاء هم قليل  
فلا يفررك خله من نواسخي      فما لك عند نايبة خليل  
سوى رجل له حسب ودين      لما قد قاله يوماً فمبول<sup>(٢)</sup>

(١) مير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩٤ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٥٦٣ ) .

## ٦ - وفاته رحمه الله

قال محمد بن جرير الطبري : خرج ابن معين حاجاً وكان أكلوا فحدثني أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في رفقته ، فلما قدموا فهدى إلى يحيى فالودج لم ينضج فقلنا له : يا أبا زكريا لا تأكله فإننا نخاف عليك فلم يعبأ بكلامنا وأكله فما استقر في معدته حتى شكا وجع بطنه وأسهل إلى أن وصلنا المدينة ولا نهوض له فتفاوضنا في أمره ، ولم يكن لنا سبيل إلى المقام لأجل الحج ولم ندر ما نعمل في أمره فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج وبتنا فلم يصبح حتى وصى ومات فغسلناه ودفناه <sup>(١)</sup> .

وقال أبو حسان مهيب بن سليم البخاري : سمعت محمد بن يوسف البخاري والد أبي ذر يقول : كنت في الصحبة في طريق الحج مع يحيى بن معين فدخلنا المدينة ليلة الجمعة ومات من ليلته فلما أصبحنا تسامع الناس بقدم يحيى وبموته فاجتمع العامة وجاءت بنو هاشم فقالوا : نخرج له الأعواد التي غسل عليها النبي ﷺ فكره العامة ذلك وكثر الكلام فقالت : بنو هاشم : نحن أولى بالنبي ﷺ منكم وهو أهل أن يغسل عليها فأخرج الأعواد وغسل عليها ودفن يوم الجمعة في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومئتين قال أبو حسان وهي السنة التي ولدت فيها <sup>(٢)</sup> .

وقال جعفر بن محمد بن كزّال : كنت مع يحيى بن معين بالمدينة فمرض مرضه الذي مات فيه وتوفى بالمدينة فحمل على سرير رسول الله ﷺ ورجل ينادى بين يديه : هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩٠ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٥٦٦ ) .

(٣) تهذيب الكمال ( ٣١ / ٥٦٧ ) .



من أعلام السلف

٣١

على بن المديني





## ١ - اسمه ومولده

**اسمه :** علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيع بن بكر بن سعد السعدي مولا هم البصري مولى عروة بن عطية السعدي ، وكنيته أبو الحسن ، وأبوه كان محدثاً مشهوراً لين الحديث .

**مولده :** سنة إحدى وستين ومائة بالبصرة <sup>(١)</sup> .

(١) باختصار من مير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٢ ، ٤٣ ) .

## ٢ - منزلته وثناء العلماء عليه

قال شيخه يحيى بن سعيد القطان : الناس يلوموني في قعودي مع عليّ وأنا أتعلم من عليّ أكثر مما يتعلم عليّ مني<sup>(١)</sup>.

وقال شيخه سفيان بن عيينة : إني لأرغب بنفسي عن مجالستكم منذ ستين سنة ولولا علي بن المديني ما جلست<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي قدامة قال : سمعت علي بن المديني يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الثريا تدلت حتى تناولتها ، قال أبو قدامة : فصدق الله رؤياه ، بلغ في الحديث مبلغا - لم يبلغه أحد - أو لم يبلغه كبير أحد<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عبد الرحمن النسوي : كأن الله خلق علي بن المديني لهذا الشأن<sup>(٤)</sup>.

وعن محمد بن إسحاق السراج قال : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري وقلت له : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أقدم العراق وعلي بن المديني حيّ فأجالسه<sup>(٥)</sup>.

وقال البخاري كذلك : ما استصغرت نفسي عند أحدٍ إلا عند علي بن المديني<sup>(٦)</sup>.

وسئل يحيى بن معين عن علي بن المديني والحميدي ، فقال : ينبغي للحميدي أن يكتب عن آخر عن علي بن المديني<sup>(٧)</sup>.

(٥) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٦٣ ) .  
(٦) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٦٣ ) .  
(٧) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٥٠ ) .

(١) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٦٠ ) .  
(٢) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٥٩ ) .  
(٣) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٦١ ) .  
(٤) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٦٣ ) .

وعن الأَعْيَنُ قال : رأيت على بن المديني مستلقياً ، وأحمد عن يمينه وابن معين عن يساره ، وهو يملئ عليهما <sup>(١)</sup> .

وقال أبو يحيى محمد بن عبد الرحيم : كان على إذا قدم بغداد تصدر في الحلقة ، وجاء ابن معين وأحمد بن حنبل ، والمعيطي والناس يتناظرون ، فإذا اختلفوا في شيء تلکم فيه على <sup>(٢)</sup> .

وقال عبد الله بن أبي زياد القطواني : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم إلى أربعة : أبو بكر بن أبي شيبة أسردهم له ، وأحمد بن حنبل أفقهم فيه ، وعلى بن المديني أعلمهم به ، ويحيى بن معين أكتبهم له <sup>(٣)</sup> .

وقال النووي في ترجمته : اجمعوا على جلالته وإمامته وبراعته في هذا الشأن وتقدمه على غيره <sup>(٤)</sup> .

وقال تاج الدين السبكي : على بن المديني الحافظ أحد أئمة الحديث ورفعاثهم ومن انعقد الاجماع على جلالته وإمامته <sup>(٥)</sup> .

وقال أبو داود : ابن المديني أعلم من أحمد باختلاف الحديث <sup>(٦)</sup> .  
وقال أحمد بن سنان : كان ابن عيينة يسمى علياً حية الوادي <sup>(٧)</sup> .

قال الذهبي : مناقب هذا الإمام جمة لولا ما كدرها بتعلقه بشيء من مسألة خلق القرآن وتردده إلى أحمد بن أبي داود ، إلا أنه تنصل وندم ، وكفر من يقول بخلق القرآن ، فالله يرحمه ويفقر له <sup>(٨)</sup> .

قال أزهر بن جميل . كنا عند يحيى بن سعيد أنا وعبد الرحمن وسفيان

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٥٠ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٧ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٨ ) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٣٥٠ ) .

(٥) طبقات الشافعية ( ٢ / ١٤٥ ) .

(٦) تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٤٢٨ ) .

(٧) تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٤٢٨ ) .

(٨) تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٤٢٨ ) .

الرؤاسى وعلى بن المدينى وغيرهم إذ جاء عبد الرحمن بن مهدى منتقح الدون  
 أشعث فقال له يحيى : ما حالك أبا سعيد ؟ قال : خير رأيت البارحة فى المنام  
 كأن قوماً من أصحابنا قد نكسوا ، قال على بن المدينى : يا أبا سعيد هو خير ،  
 قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَكْسِمْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ يسن : ٦٨ ]  
 قال : اسكت فوالله إنك لفى القوم<sup>(١)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٥١ ) .

### ٣ - براعته رحمة الله فى معرفة العلل

والعلة هى سبب غامض خفى يقدر فى صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها .

ومعرفة علة الحديث من أشرف معارف المحدثين وأجلها وأعلاها وأدقها ، لا يضطلع بها إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب .

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : معرفة علل الحديث ، وهو علم برأسة غير الصحيح والسقيم ، والجرح والتعديل .

وقال أيضاً : « إن معرفة علل الحديث من أجل هذه العلوم والإمام على بن المدينى إمام حملة راية السنة المشرقة كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وهى أدق شئ فى علم الدراية ، وكلما ذكر الأئمة البارزون فى علل الحديث ذكر ابن المدينى فى مقدمتهم <sup>(١)</sup> .

قال الإمام أحمد : أعلمنا بالعلل على بن المدينى <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو حاتم الرازى : كان على بن المدينى علماً فى الناس <sup>(٣)</sup> فى معرفة الحديث ، والعلل . وكان أحمد بن حنبل لا يسميه إنما يكتنيه تبجيلاً له .

وقال صالح بن محمد جزرة : أعلم من أدركت بالحديث وعلمه على بن المدينى وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر ابن أبى شيبة <sup>(٤)</sup> .

وقال الحافظ : لا ريب فى تقدم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما

(١) باختصار من الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال ( ١٧٤ ، ١٧٥ ) ، تأليف إكرام الله إمداد الحق . ط . دار البشائر .

(٢) المبروحين ( ١ / ٥٥ ) .

(٣) الجرح والتعديل ( المقدمة ٣١٩ ) .

(٤) تذكرة الحافظ ( ٢ / ٤٣٣ ) .

ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل ، فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلم الحديث ، وعنه أخذ البخاري ذلك <sup>(١)</sup>

وقال أحمد شاكر رحمه الله : هذا الفن من أدق فنون الحديث وأعوصها ، بل هو رأس علومه وأشرفها ، ولا يتمكن منه إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل كابن المديني وأحمد البخاري ويعقوب ابن شيبة وأبي حاتم وأبي زرعة والترمذي والدراقطني <sup>(٢)</sup>

(١) هدى الساري ( ٣٤٦ ، ٣٤٧ ) .

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ( ٦٥ ) .

#### ٤ - حفظه رحمه الله

عن عبد الرحمن بن أبى حاتم قال : سألت أبى عن أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى أيهما كان أحفظ قال : كانا فى الحفظ متقاربين وكان أحمد أفقه <sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن قال : سمعت محمد بن مسلم بن وارة وسئل عن على ابن المدينى ويحى بن معين أيهما كان أحفظ ؟ قال : كان على أسرد وأتقن ، وكان يحى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه <sup>(٢)</sup>. وقال الإمام أحمد : وكان على أحفظنا للطوال <sup>(٣)</sup>.

ولما أراد الذهبى مدح أحمد بن حنبل قال : « والله لقد بلغ فى الفقه خاصة رتبة الليث ومالك والشافعى وأبى يوسف ، وفى الزهد والورع رتبة الفضيل وإبراهيم بن أدهم ، وفى الحفظ رتبة شعبة ويحى القطان وابن المدينى <sup>(٤)</sup> ».

فقرن ابن المدينى فى الحفظ بشعبة ويحى القطان ، وحما جبلان فى الحفظ ثم شبه أحمد بن حنبل بهم فى الحفظ .

وقال عبد المؤمن النسفى : سألت صالح بن محمد : هل كان يحى بن معين يحفظ ؟ فقال : لا إنما كان عنده معرفة . قلت فعلى ؟ قال كان يحفظ ويعرف <sup>(٥)</sup>.

(١) مقدمة الحرج والتعديل ( ٢٩٤ ) .

(٢) مقدمة الحرج والتعديل ( ٣١٤ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٤١ / ٩ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ٣٢١ / ١١ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٤٨ / ١١ ) .

## ٥ - موقفه رحمه الله من المحنة

كان الإمام علي بن المديني رحمه الله ضمن الجماعة التي تعرضت للإمتحان في مسألة خلق القرآن الكريم ، فقد تعرض للتخويف والإرهاب الشديد من قبل السلطة في دولة بني العباس . آتشد ويبدو أن موقفه رحمه الله في المحنة ظل صلباً قوياً كغيره من الأئمة إلا أنه لما اشتد عليه البلاء والوعيد الشديد وزج في السجن اضطر أن يقول بعض الشيء للسلطة التي ولدت فتنة العلماء مما يوهم أنه أجاب في المحنة ، ولكن في واقع الأمر فعل ذلك في الظاهر وهو غير مطمئن الجنان لذلك ، فقد ندم وتاب وصرح يقول أهل السنة والجماعة : وكفر القائلين بخلق القرآن <sup>(١)</sup> .

وقد أشار إلى ذلك ابن المديني قال أبو يوسف القُلُوسى : « قلت لعلي بن المديني مثلك في علمك تجيب إلى ما أجبت إليه ؟ فقال لى : يا أبا يوسف : ما أهون عليك السيف » <sup>(٢)</sup> .

وقال العباس بن عبد العظيم العنبري : « قال علي بن المديني وذكر رجلاً فتكلم فيه ، فقلت له : لا يقبلون منك ، إنما يقبلون من أحمد بن حنبل قال : قوى أحمد على السوط وأنا لا أقوى <sup>(٣)</sup> .

وقال السبكي : « والصحيح عندنا أنه إنما أجاب خشية السيف » <sup>(٤)</sup> .

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : سمعت علي بن المديني يقول : قبل أن يموت بشهرين - القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق

(١) الإمام علي بن المديني ومنهجه في نقد الرجال ( ١٠٠ ) .

(٢) الكامل ( ١ / ٣٠ ) والميزان ( ٣ / ١٤١ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٦٩ ) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ( ٢ / ١٤٧ ) .



فهو كافر<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي حاتم : ترك أبو زرعة الرواية عنه من أجل ما كان منه في المحنة وكان أبي يروى عنه لنزوعه عما كان منه<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ : تكلم فيه أحمد ومن تابعه لأجل ما تقدم من إجابته في المحنة ، وقد اعتذر الرجل عن ذلك وتاب وأناب<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٧٢ ) .  
(٢) المرح والتعليل ( ٦ / ١٩٤ ) .  
(٣) التهذيب ( ٧ / ٣٥٦ ) .

## ٦ - شيوخه وتلامذته

### شيوخه :

قال الذهبي : سمع على أباه ، وحماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان ،  
 ويزيد بن زريع ، وعبد الوراث ، وهشيم بن بشير ، وعبد العزيز الداروردي ،  
 ومعتمر بن سليمان ، وسفيان بن عيينة ، وجريز بن عبد الحميد ، والوليد بن  
 مسلم ، وبشر بن المفضل ، وغندرا ، ويحيى بن سعيد ، وخالد بن الحارث  
 ومعاذ بن معاذ ، وحاتم بن وردان وابن وهب ، وعبد الأعلى السامي ، وعبد  
 العزيز بن أبي حازم ، وعبد العزيز العمي ، وعمر بن طلحة بن علقمة بن وقاص  
 الليثي ، وفصيل بن سليمان النميري ، ومحمد بن طلحة التيمي ، ومرحوم بن  
 عبد العزيز ، ومعاوية بن عبد الكريم ، ويوسف بن الماجشون ، وعبد الوهاب  
 الثقفي ، وهشام بن يوسف وخلقا كثيرا<sup>(١)</sup> .

### تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه أحمد بن حنبل ، وأبو يحيى صاعقة ، والزعفراني ،  
 وأبو بكر الصاغانى ، وأبو عبد الله البخاري ، وأبو حاتم ، وحنبل بن إسحاق ،  
 ومحمد بن يحيى ، وعلى بن أحمد بن النضر ، ومحمد بن أحمد بن البراء ،  
 والحسن بن شبيب المعمرى ، وولده عبد الله بن علي وحميد بن زنجويه وصالح  
 ابن محمد جزرة وعبيد الله بن عثمان العثماني ، وهلال بن العلاء ، والحسن  
 البزار ، وأبو داود الخرائي ، وإسماعيل القاضي ، وأبو مسلم الكجي وعلي بن  
 غالب البتلهي ، وأبو خليفة الفضل بن الحباب ، ومحمد بن جعفر بن  
 الإمام بدمياط ، وأبو يعلى الموصلي ، ومحمد ابن محمد الباغندي وأبو القاسم  
 البغوي ، وعبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب خاتمة من روى عنه<sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٢ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٤٣ ) .

## ٧ - مصنفاته رحمه الله

قال إكرام الله : يتبين أن معظم مؤلفات على بن المدينى لا تزال فى عداد المفقودات كما هو الشأن فى كثير من تراثنا العلمى القديم ، والموجود من مؤلفاته قليل جداً بالنسبة للمفقود<sup>(١)</sup> .

### فمن مؤلفاته :

- ١ - علل الحديث ومعرفة الرجال .
- ٢ - تسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ .
- ٣ - سؤالات ابن المدينى ليحيى بن سعيد القطان .
- ٤ - أبواب السجدة .
- ٥ - اختلاف الحديث .
- ٦ - الأخوة والأخوات .
- ٧ - أسباب النزول .
- ٨ - الأسماء والكنى .
- ٩ - الأسماء الشاذة .
- ١٠ - التاريخ .

(١) الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال ( ٢٦٤ ) .

## ٨ - وفاته رحمه الله

اختلف المترجمون للإمام علي بن المديني رحمه الله في تاريخ وفاته والراجح فيه قول البخاري رحمه الله وأنه يوم الإثنين ليومين بقيا من شهر ذي القعدة سنة أربع وثلاثين بعد المائتين وكذا في الطبقات الكبرى لابن سعد . وهو الذي يتفق مع مذكروا في مبلغ سنه ؛ فقد قالوا إنه توفي وله ثلاث وسبعون سنة .

وكانت وفاته رحمه الله بالعسكر بمدينة سر من رأى .  
رحم الله أبا الحسن رحمة واسعة ، وأنزله منازل المقربين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

من أعلام السلف

٣٢

إسحاق بن راهوية  
( إسحاق بن إبراهيم الحنظلي )  
رحمه الله



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن واث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي ، ثم الحنظلي المروزي <sup>(١)</sup> .

قال ابن خلكات : « وَرَاهُويَّة : لقب أبيه أبي الحسن إبراهيم ؛ وإنما لقب بذلك لأنه ولد في طريق مكة ، والطريق بالفارسية « راه » ، و « وية » معناه وَجَدَ ، فكانه وجد في الطريق ، وقيل فيه أيضاً : « راهوية » .

وقال إسحاق المذكور : قال لي عبد الله بن طاهر أمير خراسان : لم قيل لك ابن راهوية ؟ وما معنى هذا ؟ وهل تكره أن يقال هذا ؟ قلت : أعلم أيها الأمير أن أبي ولد في الطريق ، فقالت المراءضة : « راهوية » ؛ لأنه ولد في الطريق ، وكان أبي يكره هذا ، وأما أنا فلست أكره هذا <sup>(٢)</sup> .

**مولده :** قال الذهبي : مولده في سنة إحدى وستين ومائة <sup>(٣)</sup> .

**صفته :** قال علي بن إسحاق بن راهوية : ولد أبي من بطن أمه مثقوب الأذنين ، فمضى جدى راهوية إلى الفضل بين موسى فسأله عن ذلك فقال : يكون إنك رأساً ، إما في الخير ، وإما في الشر <sup>(٤)</sup> .

وقال أبو يحيى الشعراني : إن إسحاق كان يخضب بالحناء <sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ) .

(٢) وفيات الأعيان ١٠ / ٢٠٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٥٩ ) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ( ٢ / ٨٤ ) .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ( ٢ / ٨٨ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال المزي : أحد أئمة المسلمين ، وعلماء الدين ، اجتمع له الحديث ، والفقه ، والحفظ والصدق والورع ، والزهد ، ورحل إلى العراق ، والحجاز واليمن ، والشام ، وعاد إلى خراسان ، فاستوطن نيسابور ، إلى أن مات بها ، وانتشر علمه عند أهلها <sup>(١)</sup> .

وعن أبي داود الخفاف قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يعبر الجسر مثل إسحاق <sup>(٢)</sup> .

وقال نعيم بن حماد : إذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن رهويه فاتهمه في دينه .

قال السبكي : إنما قيد الكلام بالخراساني لأنه أهل إقليم المرء هم الذين بحيث لو كان فيه كلام لتكلموا فيه ، فكأنه يقول : من تكلم فيه من أهل إقليمه فهو متهم بالكذب ، لأنه لا يتكلم بحق لبراءته مما يشينه في دينه <sup>(٣)</sup> .

وقال أبو بكر محمد بن النضر الجارودي : حدثنا شيخنا وكبيرنا ، ومن تعلمنا منه ، وتعلمنا به أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رحمهم الله <sup>(٤)</sup> .

وقال الحاكم : هو إمام عصره في الحفظ والفتوى <sup>(٥)</sup> .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : جمع بين الحديث والفقه والورع <sup>(٦)</sup> .

وعن عبد الله بن محمد الفراء قال : دخلت على يحيى بن يحيى فسألت عن إسحاق فقال : ليوم من إسحاق أحب إلي من عمري <sup>(٧)</sup> .

(٥) طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٧ ) .

(٦) طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٧ ) .

(٧) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٦٨ ) .

(١) تهذيب الكمال ( ٢ / ٣٧٣ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٥٠ ) .

(٣) طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٥ ) .

(٤) طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٧ ) .



وقال أحمد بن سعيد المرباطي : لو كان الثوري والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق في أشياء كثيرة <sup>(١)</sup>.

وقال أبو محمد الدرامي : ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه <sup>(٢)</sup>.

وقال أبو نعيم الحافظ : كان إسحاق قرين أحمد ، وكان للآثار مشيراً ، ولأهل الزيغ مبيراً <sup>(٣)</sup>.

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله ، وسئل عن إسحاق بن راهويه ، فقال : مثل إسحاق يسأل عنه ١٩ إسحاق عندنا إمام <sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام أحمد أيضاً قال : لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً <sup>(٥)</sup>.

قال الشافعي : ابن راهوية أحد الأئمة ، ثقة مأمون ، سمعت سعيد بن ذؤيب يقول : لا أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق <sup>(٦)</sup>.

وقال أبو عبد الله الأخرم : سمعت محمد بن إسحاق بن راهويه يقول : دخلت على أحمد بن حنبل فقال : أنت ابن أبي يعقوب قلت : بلى ، قال : أما إنك لو لزمته كان أكثر لفائدتك ، فإنك لم تر مثله <sup>(٧)</sup>.

وقال قتيبة بن سعيد : الحافظ بخرسان : إسحاق بن راهويه ثم عبد الله الدرامي ، ثم محمد بن إسماعيل <sup>(٨)</sup>.

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٢ ) .

(٦) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٢ ) .

(٧) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٤ ) .

(٨) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٤ ) .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧١ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧١ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٢ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٢ ) .

### ٣ - علمه وحفظه رحمه الله

قال محمد بن عبد الوهاب : كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق نعود مريضاً ، فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق ، وقال ليحيى تقدم ، فقال : يحيى لإسحاق بل أنت تقدم ، فقال : يا أبا زكريا أنت أكبر مني ، قال : نعم أنا أكبر منك ، ولكنك أعلم مني ، قال : فتقدم إسحاق <sup>(١)</sup> .

قال ابن عدى : ركب إسحاق بن راهويه دين فخرج من مرو ، فلکم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحاق ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعةً وكان عبد الله بن طاهر أمير خراسان ، وكان بنيسابور فقال يحيى : ما كتبت إليه قط فألحوا عليه ، فكتب فى رقعة إلى عبد الله بن طاهر : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح ، فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر ، فلما جاء إلى الباب ، قال للحاجب معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فدخل الحاجب فقال له : رجل بالباب زعم أن معه رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فقال : يحيى بن يحيى ؟ قال : أدخله ، فدخل إسحاق وناوله الرقعة فأخذها عبد الله وقبلها ، وأقعد إسحاق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيرة من ندمائه .

قال السبكي : انظر ما كان أعظم أهل العلم عند الأمراء وانظر ما أدنى هذه الكلمة وأقصر هذه الرقعة وما ترتب عليها من الخير ، وما ذلك إلا لحسن اعتقاد ذلك الأمير ، وصيانة أهل العلم أيضاً ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم <sup>(٢)</sup> .

(١) طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٧ ) .

(٢) طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٥ ) .

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء : رحم الله إسحاق ما كان أنفه وأعلمه <sup>(١)</sup>.

وقال علي بن حجر : لم يخلف إسحاق يوم فارق الدنيا مثله بخرسان علماً وفقهاً :

يَبِضُّ اللّٰهُ وَجْهَهُ وَوَقَاهُ      فَرَعَا يَوْمَ الْقَمْطَرِيرِ وَهَوَّلَهُ  
وَأَثَابَ الْفَرُودِسَ مَنْ قَالَ آمِينَ      نَ وَأَعْطَاهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ سَوْلُهُ <sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : والله لو أن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي كان في التابعين لأقروا له بحفظه وفقهه <sup>(٣)</sup>.

وعن علي خُشْرُمُ : حدثنا ابن الفضل عن ابن شُبْرَمَةَ عن الشعبي قال : ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته . قال علي : فحدثت بهذا إسحاق بن راهوية . فقال : تعجب من هذا ؟ قلت : نعم . قال : ما كنت أسمع شيئاً إلا حفظته ، وكأنني أنظر إلى سبعين ألف حديث - أو قال : أكثر في كتيبي <sup>(٤)</sup>.

وقال أحمد بن سلمة : سمعت أبا حاتم الرازي يقول : ذكرت لأبي زرعة حفظ إسحاق بن راهوية فقال : أبو زرعة مَارئي أحفظ من إسحاق .

ثم قال : أبو حاتم : والعجب من إتقانه ، سلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ ، فقلت لأبي حاتم : إنه أُمْلِي . عن ظهر قلبه . قال : وهذا أعجب ؛ فإن ضبط الأحاديث المسندة أمر هون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها <sup>(٥)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٦٨ ) . (٤) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٣ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٣ ) . (٥) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٣ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٥٠ ) .

## ٤ - خشيته وصدقه رحمه الله

عن محمد بن داود الضبي قال : سمعت محمد بن أسلم الطوسي يقول حين مات إسحاق الجنظلي : ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [ فاطر : ٢٨ ] وكان أعلم الناس ، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق .

قال محمد بن عبد السلام : أخبرت بذلك أحمد بن سعيد الرباطي فقال : والله لو كان الثوري وابن عبيدة والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق قال محمد : فأخبرت بذلك محمد بن يحيى الصفار فقال : والله لو كان الحسن البصري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة .

حدثني علي بن أحمد الهاشمي قال : هذا كتاب جدى فقرأت فيه حدثني محمد بن داود النيسابوري قال : سمعت أبا بكر بن نعيم يقول : سمعت الدارمي يقول : ساد إسحاق بن إبراهيم أهل المشرق والمغرب بصدقه <sup>(١)</sup>

## ٥ - مناظرة إسحاق للشافعي رحمهما الله

تناظر إسحاق والشافعي رحمهما الله في كراء دور مكة .  
فقال الشافعي : قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ [ الحشر : ٨ ] فنسب الديار إلى مالِكها أو إلى غير مالِكها ؟ وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة : من أغلق بابَه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فنسب الديار إلى أربابها ، أم إلى غير أربابها ؟ واشترى عمر بن الخطاب داراً للسجن من مالكٍ أو من غير مالك ، وقال النبي ﷺ : « وهل ترك لنا عقيل من دار » .

قال : إسحاق فقلت : الدليل على صحة قولي أن بعض التابعين قال به .  
فقال الشافعي لبعض الحاضرين من هذا ؟ فقيل : إسحاق بن إبراهيم الحنظلي . فقال الشافعي : أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيهمهم قال إسحاق : هكذا يزعمون . فقال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك فكنت أمر بعرك أذنيه .

أقول : قال رسول الله ﷺ وأنت تقول : قال عطاء وطاووس والحسن وإبراهيم ، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة .

فقال إسحاق : اقرأ : ﴿ سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [ الحج - ٢٥ ] .

فقال الشافعي : هذا في المسجد خاصة .

في رواية قال إسحاق : لما عرفت أنني أفحمت قمت <sup>(١)</sup> .

وعن زكريا الساجي قال : حدثني جماعة من أصحابنا : أن إسحاق بن

(١) باختصار من طبقات الشافعية ( ٢ / ٨٩ - ٩٠ ) .

راهويه ناظر الشافعي وأحمد بن حنبل حاضر في جلوء الميتة إذا دبت فقال الشافعي : دباغها طهورها .

فقال إسحاق : ما الدليل ؟

فقال الشافعي : حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة أن النبي ﷺ مرّ بشاة ميتة فقال : « هلا انتفعتم بجلدها » .

فقال إسحاق : حديث ابن عكيم كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل موته بشهر : « لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب » أشبه أن يكون ناسخاً لحديث ميمونة لأنه قبل موته بشهر .

فقال الشافعي : هذا كتاب وذاك سماع .

فقال إسحاق : إن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقصر وكان حجة عليهم عند الله .

فسكت الشافعي : فلما سمع ذلك أحمد بن حنبل ذهب إلى حديث ابن عكيم وأفتى به ورجع إسحاق إلى حديث الشافعي فأفتى بحديث ميمونة <sup>(١)</sup> .

## ٦ - إتباعه للسنّة

عن وهب بن جرير قال : جرى الله إسحاق بن راهوية ، وصدقه بن الفضل ، ومعمّر عن الإسلام خيراً ، أحيوا السنّة بالمشرق <sup>(١)</sup> .

قال حرب الكرماني : قلت لإسحاق : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ الْإَهْوِ رَابِعُهُمْ ﴾ [ المجادلة : ٧ ] كيف تقول فيه ؟ قال : حيثما كنت ، فهو أقرب إليك من جبل الوريد ، وهو بائن من خلقه ، وأبين شيء في ذلك قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ <sup>(٢)</sup> [ طه : ٥ ] .

وقال سليمان بن داود الخفاف قال إسحاق بن راهوية : إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة <sup>(٣)</sup> .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت إسحاق الحنظلي يقول : ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وكيف يكون شيء خرج من الرب عز وجل مخلوقاً <sup>(٤)</sup> .

وورد عن إسحاق أن بعض المتكلمين قال له كفرتُ برب ينزل من السماء إلى سماء . فقال : آمنت برب يفعل ما يشاء <sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٦٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٠ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٠ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٦ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٦ ) .

## ٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

### شيوخه :

قال الخطيب : سمع جرير بن عبد الحميد الرازي ، وإسماعيل ابن عليّة ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وأبا معاوية ، وأبا أسامة ، ويحيى بن آدم ، وبقية بن الوليد ، وعبد الرزاق بن همام ، والنضر بن شميل ، وعبد العزيز الداروردي ، وعيسى بن يونس ، وعبد بن سليمان ، وأبا بكر بن عياش ، وعبد الوهاب الثقفي ، ومعتز بن سليمان ، ومحمد بن بكر البرساني ، وعبد الله بن وهب ، ومحمد بن سلمة الحراني ، وسويد بن عبد العزيز ، ومعاذ بن هشام ، والوليد بن مسلم ، وورد بغداد غير مرة وجالس حفاظ أهلها وذاكرهم ، وعاد إلى خرسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفي بها وانتشر علمه عند الخرسانيين <sup>(١)</sup> .

### تلامذته :

قال الذهبي قال الحاكم أصحاب إسحاق عندنا على ثلاث طبقات فالأولى : محمد بن يحيى وإبراهيم بن عبد الله السعدي ، ومحمد بن عبد الوهاب العبدى ، وأحمد بن يوسف السلمى ، وإسحاق بن إبراهيم العقصى ، وعلى بن الحسن الدار بجردى ، وحامد ابن أبى حامد المقرئ ، وخشنام بن الصديق ، وعبد الله بن محمد الفراء ، ويحيى بن الذهلى .

الطبقة الثانية : مسلم بن الحجاج وسرد جماعة .

الطبقة الثالثة : خاتمتهم أبو العباس السراج <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٤٥ ، ٣٤٦ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٠ ) .



وقال الخطيب : وروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري ، وإسحاق بن منصور الكوسج ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وأبو عيسى الترمذي وأحمد بن سلمة وخلق يطول ذكرهم ، وروى عنه من قدماء شيوخه يحيى بن آدم ، وبقية بن الوليد ومن أقرانه : أحمد بن حنبل أو لم أر في أحاديث البغداديين شيئاً استدل به على أنه حدث ببغداد إلا أن يكون على سبيل المذاكرة ، والله أعلم <sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٤٦ ) .

## ٨ - وفاته رحمه الله

قال الدولايبى : قال محمد بن إسحاق بن راهويه : ولد أبى فى سنة ثلاث وستين ومائة وتوفى ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومئتين . قال : وفيه يقول الشاعر :

يا هَدَّةَ ما هُدِّدْنَا ليلة الأحد      فى نصف شعبان لا تنسى بد الأبد<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبد الله البخارى : توفى ليلة نصف شعبان وله سبع وسبعون سنة ثم قال الخطيب عقيب هذا : فهذا يدل على أن مولده فى سنة إحدى ومئتين ومائة<sup>(٢)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٦ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٧٦ ) .

من أعلام السلف

٣٣

إمام أهل السنة  
أحمد بن حنبل



## بين يدي الترجمة :

هذه السلسلة المباركة «من أعلام السلف» المقصود بها تربية جيل الصحوه المباركة على أخلاق العلماء الأعلام ، والأئمة الكرام . حيث يصحب القارئ الكريم فى كل ترجمة علماً من هؤلاء الأعلام ، يرى زهده وورعه ، وأخلاقه ونزاهته ، وصبره على دين الله ، وبذله لإعرازه ، فصارت لهم بذلك اليد البيضاء على الأمة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، وتاريخ الإسلام غنى زآخر بهذه الأمثلة الرائعة ، والقمم الشامخة ، نسأل الله أن يميّتنا على حبهم وأن يحشرنا فى جمعهم .

والعلم الذى نرفعه اليوم والإمام الذى نتشرف بترجمته كما قال بعض العلماء : كاد أن يكون إماماً فى بطن أمه ، إنه الذى أخبر عنه الشافعى رحمه الله فقال : رأيت شاباً ييغداد إذا قال حدثنا ، قال الناس : صدق . إنه الإمام الذى دخل الكبر فخرج ذهباً أحمر وعرضت عليه الدنيا فأبأها ، والبدعة فنفاها .

قال بعضهم : لولا أحمد بن حنبل لصار الناس كلهم معتزلة . قيل لبشر الحافى لماذا لم تخرج فتقول كما قال أحمد بن حنبل ؟ فقال : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء . إنه العالم العابد الفقيه الزاهد الصابر فى المحنة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، وما أحوج الطلاب والعلماء والدعاة إلى معرفة أخباره ، فى أزمنة أطلت فيها رؤوس الفتن ، وكثرت فيها الإحن والمحن ، وظهر فيها العلمانيون والمنافقون يريدون أن ينالوا من الإسلام وأهله ، فلا يكفى من يرجو الله واليوم الآخر أن يجتهد فى العبادة وطلب العلم النافع حتى يضم إلى ذلك البذل لإعزاز الدين ، والجهر بكلمة الحق حتى تعلقوا راية المسلمين .

فقد تعرض الإمام للفتنة من أربعة من الخلفاء ، وهم : المأمون ،  
 والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، وقد كانت الأمة قبل ذلك ترتفع فيها راية السنة  
 إلى عهد الخليفة هارون الرشيد رحمه الله ، فكان أهل البدع يستخفون  
 ببدعتهم ، ولا يجهرون بباطلهم حتى مال المأمون بن هارون الرشيد إلى مقالة  
 المعتزلة ، وحاول أن يجبر العلماء والقضاة على القول بمذهبه الرديء ،  
 فأجابه أكثرهم تقية ، وقتل من قتل في المحنة ، ووقف الإمام أحمد موقفاً  
 لا يستطيعه إلا نبي ، وقف كأنه جبل شامخ تكسرت عليه الحن ، وانهزمت  
 على قدميه الفتن ، ولما هلك المأمون تبعه المعتصم فجلد الإمام ، وحبسه ثمانية  
 وعشرين شهراً على أن يلين ، وكانت له من المنزلة والمكانة في قلوب  
 المسلمين ما إن مال عن الحق زل بزلته عالم لا يحصون كثره ، وهىء الله عز  
 وجل له أسباب الثبات فقال له بعضهم : ما عليك أن تموت ههنا فتدخل  
 الجنة . وقال بعضهم : إن عشت عشت حميداً ، وإن مت مت شهيداً .  
 فثبت على الحق حتى هلك المعتصم ، ومن بعده الواثق ، ثم أشرقت عليه  
 خلافة المتوكل ، وكان من أهل السنة فرفعت أعلام السنة ، ونكست أعلام  
 البدعة ، وأهلك الله عز وجل كل من شارك في المحنة ، ولكن الإمام لم يسلم  
 في زمن المتوكل من الفتنة ولكنها فتنة من نوع جديد ، إنها فتنة الدنيا فتنة  
 المال والجاه والدخول على السلطان ، فقد حاول المتوكل أن يصدق على  
 الإمام الأموال ، ولكن إمامنا وعالمنا لم ترهبه السياط والتعذيب ، ولم يجذبه  
 بريق المال والسلطان فقال : أسلم من هؤلاء ستين سنة ثم ابتلى بهم ، فما  
 قبل من ذلك شيئاً ، وعاش بقية عمره زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ،  
 فازداد ارتفاعاً في قلوب الخلق ، وكان له أكبر الأثر في علماء عصره ومن  
 بعد عصره ، فنشأت مدرسة هي مدرسة الحنابلة مدرسة إمامها أحمد بن  
 حنبل ، فله دره وعلى الله تعالى أجره ، ونحن في ذيل الزمان نسمع أخباره

فتمتلاً قلوبنا روعة ومحبة له فكيف بمن عاصره ، وشاهد علمه ،  
وزهده ، وصبره ، وليس الخبر كالعيان ، وقبل أن نضع القلم في التقديم لهذا  
العلم ، نسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه الكلمات من قرأها ، وأن يقرنا بها  
من هؤلاء الأعلام وأن يفتح علينا وعلى المسلمين كما فتح عليهم في الدين ،  
وأن يرزقنا برها ، وذخرها يوم العرض على رب العالمين . وصلى الله وسلم  
وبارك على محمد وآله الطيبين وأصحابه الغر الميامين ، والحمد لله رب  
العالمين .

## ١ - اسمه ومولده وصفته

هو : الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ابن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن قصي بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان.

وهذا النسب فيه منقبة عظيمة ورتبة جلييلة من وجهين :

أحدهما: حيث يلاقى فيه نسب رسول الله ﷺ في نزار لأن نزاراً كان له أربعة أولاد منهم مضر ونبينا ﷺ من ولده، ومنهم ربيعة وإمامنا أبو عبد الله أحمد من ولده .

والوجه الثاني: أنه عربى صحيح النسب.

حملت به أمه بمرور ، وقدمت بغداد وهى حامل به فولدته فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ، وكان أبوه محمد والى سرخس ، وكان من أبناء الدعوة العباسية ، توفى وله ثلاثون سنة ، وكانت وفاته فى سنة تسع وسبعين ومائة <sup>(١)</sup> .

ﷺ رحمه الله :

قال ابن ذريح العكرى : طلبت أحمد بن حنبل فسلمت عليه وكان شيخنا مخضوباً طوالاً أسمر شديد السمرة .

(١) باختصار من المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد لأبى اليمن مجيد الدين محمد بن عبد الرحمن العلمى ( ٧ / ١ ) تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .



وعن محمد بن عباس النحوي قال : رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ، ربة ، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، في لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً بيضاً ، ورأيت معتماً وعليه إزار<sup>(١)</sup> .

وقال الميموني : ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ، ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربته وشعر رأسه وبدنه ، ولا أنقى ثوباً من أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup> .

(١) تهذيب الكمال للحافظ المزي ( ١ / ٤٤٥ ) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ( ١١ / ١٨٤ ) ، مؤسسة الرسالة .

(٢) المنهج الأحمد ( ١ / ٢٤ ) .

## ٢ - ابتداء طلبه للعلم ورحلاته - رحمه الله -

قال أبو نعيم : قال أبو الفضل : قال أبي طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة وأول سماعي ابن هشيم سنة تسع وسبعين وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة وهي آخر قدمه قدمها فذهبت إلى مجلسه فقالوا خرج إلى طرسوس وتوفي سنة إحدى وثمانين<sup>(١)</sup>.

وقال العليمي ما ملخصه :

وكانت لوائح النجابة تظهر منه زمن الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً وعلمه به متوافراً وربما كان يريد البكور في الحديث فتأخذ أمه بشيابه فتقول : حتى يؤذن الناس ، أو حتى يصبحوا ، وسافر في طلب العلم أسفاراً كثيرة إلى البلاد ، الكوفة ، والبصرة ، والحجاز ، ومكة والمدينة ، واليمن والشام ، والثغور ، والسواحل والمغرب والجزائر والفراتين جميعاً وأرض فارس وبلد خراسان والجال والأطراف وغير ذلك .

ثم رجع إلى بغداد وساد أهل عصره ، ونصر الله به دينه وصار أحد الأعلام من أئمة الإسلام .

طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة ، وخرج إلى الكوفة سنة مات هشيم ، سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وهو أول سفر ، وخرج إلى البصرة سنة ست وثمانين ، وخرج إلى سفیان بن عيينة إلى مكة سنة سبع وثمانين ، وقد مات الفضيل بن عياض وهي أول سنة حج فيها ، وخرج إلى عيد الرزاق بصنعاء اليمن سنة سبع وتسعين ، ورافق يحيى بن معين .

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (١٦٣/٩) مطبعة السعادة .

قال يحيى : فلما خرجنا إلى عبد الرزاق إلى اليمن حججنا فبينما أنا بالطواف إذا بعبد الرزاق في الطواف ، فسلمت عليه وقلت له : هذا أحمد بن حنبل . فقال : حياه الله ، وثبته فإنه بلغنى عنه كل جميل .

قللت لأحمد : قد قرب الله خطانا ووفر علينا النفقة وأراحنا من مسيرة شهر .

فقال : إني نويت ببغداد أن أسمع عنه بصنعاء ، والله لا غيرت نيتي فخرجنا إلى صنعاء فنفدت نفقته ، فعرض علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة ، فلم يقبلها ، فقال : على وجه القرض ، فأبى وعرضنا عليه نفقاتنا فلم يقبل فاطلعنا عليه وإذا هو به يعمل التك<sup>(١)</sup> ويفطر على ثمنها ، واحتاج مرة فأكرى نفسه للجسمالين ، وحج خمس حجرات ، ثلاث حجج ماشياً ، واثنين راكباً ، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً .

وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه ، ولم يزل يصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر ، وكان الشافعي يجعله ويثني عليه ثناء حسناً .

قال حرملة : سمعت الشافعي رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> يقول : عند قدومه إلى مصر من العراق : ما خلفت بالعراق أحداً يشبه أحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup> .

وقال أحمد الدورقي : لما قدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق رأيت به شحوباً بمكة ، وقد تبين عليه النصب والتعب ، فكلمته فقال : هين فيما استفدناه من عبد الرزاق<sup>(٤)</sup> .

(١) كذا ولم يصرح بمعناه .

(٢) الأولى تخصيص الترضي بالصحابة الكرام ، والترحم على العلماء .

(٣) باختصار من المنهج الأحمد ( ٧ / ١ ، ٨ ، ٩ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١١ ، ٢١٥ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه رحمه الله

وهذا بحر لا يدرك قعره ، فلو تتبعنا أقوال العلماء في المدح والثناء لظال الفصل جداً ، فنكتفي بإشارات ، والله يغفر لنا تقصيرنا ، في حقه .

روى الخطيب بسنده عن علي بن المديني قال : إنا الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث ، أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة <sup>(١)</sup> .

وقال الحسين بن محمد بن حاتم المعروف بعبيد العجل عن مهنا بن يحيى الشامي : ما رأيت أحداً أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل ، ولقد رأيت سفيان بن عيينة ، ووكيع ، وعبد الرزاق ، وبقية بن الوليد ، وضمرة بن ربيعة ، وكثيراً من العلماء فما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، في علمه وفقهه وزهده وورعه <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو يعلى الموصلي : سمعت أحمد بن إبراهيم الدورقي يقول : من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام <sup>(٣)</sup> .

وقال أبو جعفر محمد بن بدينا الموصلي : أنشدني ابن أعين في أحمد ابن حنبل :

أضحى ابن حنبل مخنة مأمونة      وبحب أحمد يعرف المتنسك  
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً      فاعلم بأن ستوره ستهتك

(١) تاريخ بغداد ( ٤ / ٤١٨ ) .

(٢) أبو نعيم في الحلية ( ٩ / ١٦٥ ) ، والمزى في تهذيب الكمال ( ١ / ٤٥٣ - ٤٥٤ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٤ / ٤٢٠ ) وذكره المزى في تهذيب الكمال ( ١ / ٤٥٧ ) .

وروى أبو نعيم بسنده عن سعيد بن الخليل الخزاز: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آية<sup>(١)</sup>.

وقال المزني: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شاباً إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق. قلت: ومن هو؟ قال: أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن أحمد: قال أصحاب بشر الحافي له حين ضرب أبي: لو أنك خرجت فقلت: إني على قول أحمد فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء<sup>(٣)</sup>.

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: سمعت محمد بن سحتويه سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي وذكر أحمد بن حنبل فقال رحمه الله: «عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأبأها، والبدع فنفاها»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا.<sup>(٥)</sup>

وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن سعيد الدارمي قال: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبد الله أحمد بن حنبل<sup>(٦)</sup>.

(٤) السابق (١١ / ١٩٨).

(٥) السابق (١١ / ١٩٩).

(٦) تاريخ بغداد (٤ / ٤١٩).

(١) حلية الأولياء (٩ / ١٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١ / ١٩٥).

(٣) السابق (١١ / ١٩٧).

وروى بسنده أيضاً عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبا زرعة الرازي يقول: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث: فقليل له وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب<sup>(١)</sup>.

وروى أبو نعيم بسنده عن خلف بن سالم قال: كنا في مجلس يزيد ابن هارون فمزح يزيد مع مستميلة، فتنحح أحمد بن حنبل. فقال يزيد: من المتنحح فقليل له: أحمد بن حنبل فضرب بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح<sup>(٢)</sup>.

ورى الخطيب بسنده عن محمد بن الحسين الأنماطي قال: كنا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وجماعة من كبار العلماء، فجعلوا يشنون على أحمد بن حنبل ويذكرون فضائله، فقال رجل: لا تكثروا بعض هذا القول. فقال يحيى بن معين: وكثرة الثناء على أحمد ابن حنبل يستكر؟ لو جلسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها<sup>(٣)</sup>.

(١) السابق: (٤ / ٤١٩، ٤٢٠).

(٢) حلية الأولياء (٩ / ١٦٩).

(٣) تاريخ بغداد (٤ / ٤٢١).

## ٤ - زهد رحمه الله

قال صالح بن أحمد بن حنبل : كان كثيراً ما يأتدّم بالخل ، وربما رأته يأكل الكسر فينفض الغبار عنها ، ثم يصيرها في قصعة ، ويصب عليها الماء ، حتى تلين ، ثم يأكله بالملح ، وما رأته قط اشترى رماناً ، ولا سفرجلًا ولا شيئاً من الفاكهة ، إلا أن يشتري بطيخة فيأكلها بالخبز ، أو عنباً أو تمرًا ، فأما غير ذلك فمارأته ، وما اشتراه ، وكان ربما اشترينا الشيء ، فنستره عنه حتى لا يراه فيوبخنا على ذلك <sup>(١)</sup> .

قال صالح : ودخل يوماً إلى منزلي ، وقد غيرنا سقفاً لنا ، فدعاني ثم ألقى عليّ حديث الأحنف بن قيس قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن يونس عن الحسن قال : قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غير أسقف بيته حمر وشقاشق وخضروها ، فقالوا له : أما ترى إلى سقف بيتك ؟ فقال : معذرة إليكم ، إني لم أره . لا أدخله حتى تغيره . <sup>(٢)</sup>

وعن موسى بن حماد البربري قال : حمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار ، وقال : يا أبا عبد الله هذه من ميراث حلال ، فخذها فاستعن بها على عائلتك . قال : لا حاجة لي فيها أنا في كفاية ، فردها ولم يقبل منه شيئاً <sup>(٣)</sup> .

(١) سيرة الإمام أحمد لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (٤١) تحقيق فؤاد عبد المنعم ط . دار الدعوة ، وذكره العليجي في المنهج الأحمد ( ١١ / ١ ) .

(٢) السابق ( ٤٢ ) .

(٣) المنهج الأحمد ( ١١ / ١ ) وذكره أبو نعيم مسنداً ( ١٧٥ / ٩ ) .

وقال إسحاق بن هانيء : بكرت يوماً لأعارض أحمد بالزهد فبسطت له حصيراً ومخدة فنظر إلى الحصير والمخدة فقال : ما هذا ؟ قلت : لتجلس عليه ، فقال : ارفعه الزهد لا يحسن إلا بالزهد ، فرفعته وجلس على التراب (١) .

وروى أبو نعيم بسنده عن صالح بن أحمد قال : دخلت على أبي في أيام الوراق - والله يعلم في أي حالة نحن - وقد خرج لصلاة العصر ، وقد كان له لبد يجلس عليها قد أتت عليه سنون كثيرة ، حتى قد بلى ، فإذا تحته كتاب كاغد ، وإذا فيه بُلُغْتُ . يا أبا عبد الله ، ما أتت فيه من الضيق ، وما عليك من الدين ، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدى فلان لتقضى دينك وتوسع بها على عيالك ، وما هي من صدقة ولا زكاة ، وإنما هوشىء ورثته من أبى ، فقرأت الكتاب ، ووضعتة فلما دخلت قلت : يا أبت ما هذا الكتاب ؟ فاحمر وجهه ، وقال : رفعتك منك . ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب إلى الرجل : وصل كتابك إلى ، ونحن فى عافية ، فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا ، وأما عيالتنا فهم فى نعمة والحمد لله . فذهب بالكتاب إلى الرجل الذى كان أوصل كتاب الرجل فقال : ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به فى شبكة مثلاً فى الدجلة كان مأجوراً ، لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فرد عليه الجواب بمثل مارد ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت (٢) .

وعن عبد الله بن أحمد بن حفصة قال : نزلنا بمكة داراً وكان فيها

(١) السابق ( ١٢ / ١١ ) وقوله : « لأعارض أحمد بالزهد » أى يقرأ عليه كتابه « الزهد » .  
(٢) أبو نعيم فى الحلية ( ٩ / ١٧٨ ) .



شيخ يكنى بأبو بكر بن سماعة وكان من أهل مكة قال: نزل علينا أبو عبد الله في هذه الدار وأنا غلام . فقال: فقالت لى أمى الزم هذا الرجل فاخدمه فإنه رجل صالح . فكنت أخدمه وكان يخرج يطلب الحديث ، فسرق متاعه ، وقماشه ، فجاء فقالت له أمى : دخل عليك السراق فسرقوا قمّاشك ، فقال: ما فعلت بالألواح ؟ فقالت له أمى : فى الطاق ، وما سألت عن شىء غيرها <sup>(١)</sup> .

وعن الرمادى قال: سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد فدمعت عينه وقال: قدم وبلغنى أن نفقته نفدت ، فأخذت عشرة دنانير وعرضناها عليه فتبسم وقال : يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك ، ولم يقبل منى شيئاً <sup>(٢)</sup> .

ونختم بقول العليمى : أتته الدنيا فأبأها ، والرياسة فنفاها ، وعرضت عليه الأموال وفوضت إليه أحوال ، وهو يرد ذلك بتعفف وتعلل ، وتقلل ، ويقول: قليل الدنيا يجزى وكثيرها لا يجزى ويقول : أنا أفرح إذا لم يكن عندى شىء . ويقول : إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وأيام قلائل <sup>(٣)</sup> .

(١) أبو نعيم فى الحلية ( ٩ / ١٧٩ ، ١٨٠ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٢٢٩ ) .

(٣) المنهج الأحمد ( ١ / ١١ ) .

## ٥ - ورعه رحمه الله

قال قتيبة بن سعيد : لولا أحمد ل مات الورع <sup>(١)</sup>

قال العليمي : فمن بعض ورعه أنه كان لأُم ولده عبد الله داراً يأخذ منها أحمد درهما بحق ميراثه ، فاحتاجت إلى نفقة تصلح بها فأصلحها ابنه عبد الله ، فترك الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه أخذ الدرهم الذي كان يأخذه ، وقال : قد أفسده على ، تورع عن أخذ حقه من الأجرة خشية أن يكون ابنه أنفق على الدار مما يصل إليه من الخليفة ، ونهى ولديه وعمه عن أخذ العطاء من مال الخليفة ، فاعتذروا بالحاجة فهجرهم شهراً لأخذ العطاء ، ووصف له فى علة قرعة تشوى ويؤخذ ماؤها ، فلما جاءوا بالقرعة قال بعض من حضر : اجعلوها فى تنور صالح . فإنهم قد خبزوا . فقال بيده : لا وأبى أن يوجه بها إلى منزل صالح ومثل هذا كثير .

وأجرى عليه المتوكل وعلى ولده وأهله أربعة آلاف درهم فى كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله إنهم عن كفاية ، فبعث إليه المتوكل إنما هذا لولدك مالك ولهذا . فقال أحمد : يا عم ما بقى من أعمارنا ؟ كأنك بالأمر وقد نزل بنا ، فإنا أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا ، وإنا هى أيام قلائل ، ولو كشف للعيد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر ، صبر قليل ، وثواب طويل إنما هذه فتنة <sup>(٢)</sup>

وقال صالح : كان أبى إذا دعا له رجل قال : ليس يحرز الرجل المؤمن إلا حفرته . الأعمال بخوتيمها . وقال أبى فى مرضه : أخرج كتاب

(١) أبو نعيم (٩ / ١٦٨)

(٢) باختصار من المنهج الأحمد (١ / ١٢ ، ١٣)

عبد الله بن إدريس فقال: اقرأ على حديث ليث : إن طاووساً كان يكره  
الأنين في المرض ، فمأسمعت لأبي أنيناً حتى مات .

وعن أحمد بن محمد التميمي قال: ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى  
عليه ثلاثة أيام ما طعم فيها فبعث إلى صديق له فاقترض منه دقيقاً  
فجهزوه بسرعة فقال: كيف ذا ؟ قالوا : تنور صالح مسجر فخبزنا فيه  
فقال : ارفعوا وأمر بسد باب بينه وبين صالح . قال انذهبي لكونه أخذ جائزة  
المتوكل<sup>(١)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٢١٤ ) .

## ٦ - آدابه وأخلاقه

قال الخلال : حدثنا محمد بن الحسين أن أبا بكر المروذي حدثهم عن آداب أبي عبد الله قال : كان أبو عبد الله لا يجهل وإن جهل عليه حلم ، واحتمل ، ويقول : يكفى الله ولم يكن بالحقود ، ولا المعجول ، كثير التواضع ، حسن الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ ، يحب فى الله ويغض فى الله ، وإذا كان فى أمر من الدين اشتد له غضبه ، وكان يحتمل الأذى من الجيران (١)

وعن أبى داود السجستاني قال : لم يكن أحمد بن حنبل يخوض فى شىء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا ، فإذا ذكر العلم تكلم .

وقال : مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شىء من أمر الدنيا ، مارأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط (٢)

وعن أبى الحسين بن المنادى قال : سمعت جدى يقول : كان أحمد من خيار الناس ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير الإطراق والغض ، معرضاً عن القبيح ، واللفو ، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث ، وذكر الصالحين والزهاد ، عن وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه إنسان بشر به وأقبل عليه ، وكان يتواضع للشيخ تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ، وكان يفعل بيهيى بن معين ما لم يفعله بغيره من التواضع والتجليل ، وكان يحيى أكبر منه بنحو من سبع سنين ، وكان إذا دخل من المسجد إلى البيت يضرب برجله قبل أن يدخل

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٢٢١ )

(٢) المنهج لأحمد ( ١ / ٢٧ )

الدار ، حتى يسمع ضرب نعله لدخوله الدار ، وربما تنحج ليعلم من فى الدار بدخوله .<sup>(١)</sup>

وروى أبو نعيم بسنده عن العباس بن محمد الدورى قال : حدثنى على بن أبى مرارة - جبار لنا - قال : كانت أُمى مقعدة نحو عشرين سنة فقالت لى يوماً اذهب إلى أحمد بن حنبل فاسأله أن يدعو الله لى : فسرت إليه فدققت عليه الباب وهو فى دهليزه فلم يفتح لى . وقال : من هذا ؟ فقلت : أنا من أهل ذاك الجانب . سألتنى أُمى وهى زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال : نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا . فوليت منصرفاً ، فخرجت امرأة عجوز من داره فقالت : أنت الذى كلمت أبى عبد الله ؟ قلت : نعم . قال : قد تركته يدعو الله لها ، قال : فجئت من فورى إلى البيت فدققت الباب فخرجت أُمى على رجليها تمشى حتى فتحت الباب فقالت : قد وهب الله لى العافية .<sup>(٢)</sup>

وعن الحسين بن إسماعيل قال : سمعت أبى يقول : كان يجتمع فى مجلس أحمد زهاء على خمسة آلاف أوزيردون ، أقل من خمسمائة يكتبون ، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب ، وحسن السمى .<sup>(٣)</sup>

وعن أبى بكر المطوعى قال : اختلفتُ إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل اثنتى عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده فما كتبت منه حديثاً واحداً ، وإنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه .<sup>(٤)</sup>

(١) السابق ( ٢٧ / ١ ) وذكره الذهبى فى السير ( ١١ / ٣١٨ ) بنحوه .

(٢) حلية الأولياء ( ٩ / ١٨٦ ، ١٨٧ ) .

(٣) المنهج الأحمد ( ١ / ٢٦ ) .

(٤) السابق ( ٢٧ / ١ ) .

## ٧ - تمسكه بالسنة

قال أبو نعيم : وكان الإمام أحمد بن حنبل موضعه من الإمامة موضع الدعامة ، لقدوته بالآثار وملازمته للأخبار ، لا يرى له عن الآثار معدلاً ، ولا يرى للرأى معقلاً ، كان في حفظ الآثار الجبل العظيم ، وفي العلل والتعليل البحر العميم .<sup>(١)</sup>

وعن عبد الملك الميموني قال : مارأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل ، وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمان الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ إذا صحت عنه ، ولا أشد اتباعاً منه .

وقال الإمام أحمد رضى الله عنه : ما كتبت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به ، حتى مربى في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً . فأعطيت الحجام ديناراً ، وتسرى واختفى ثلاثاً .<sup>(٢)</sup>

وقال عبد الله بن أحمد : ما رأيت أبى حدث من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث وسمعت أبى يقول : قال الشافعي : يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأخبروني حتى نرجع إليه ، أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه ، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً .

قال الذهبي : لم يَخْتَجْ إلى أن يقول حجازياً ، فإنه كان بصيراً بحديث الحجاز ، ولا قال مصرياً ، فإن غيرهما كان أقعد بحديث مصر منهما<sup>(٣)</sup> .

(١) حلية الأولياء ( ٩ / ٢٢١ ) .

(٢) المنهج لأحمد ( ١ / ٢٤ ) والحديث رواه مالك في الموطأ ( ٢ / ٩٧٤ ) الاستبصار والبخاري ( ٣٨٠ / ٤ ) البيهقي ، ومسلم ( ١٠ / ٢٤٣ ) المساقاة ، والذاري ( ٢ / ٢٧٢ ) ، وأحمد ( ١٠٠ / ٣ ) ، ١٧٤ ، ١٨٢ ) وليس في هذه المواضع أنه أعطاه ديناراً وفي بعضها أنه أعطاه صاعاً من تمر وفي بعضها من شعير ، فلمل للحديث روايات أخرى لم أقف عليها .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٢١٣ / ٢١٤ ) .

## ٨ - محنته رحمه الله

مضت سنة الله عز وجل في عباده أنه يمتحنهم حتى يظهر بالإمتحان صدق الصادقين وكذب الكذابين قال الله تعالى : ﴿ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿ [العنكبوت: ٢، ٣] وسئل النبي ﷺ عن أشد الناس بلاء فقال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » (١) . وقد سئل الإمام الشافعي : هل الأفضل أن يمكن العبد أو يبتلى فقال : لا يمكن حتى يبتلى . وما تعرض له إمامنا وإمام الدنيا أحمد بن حنبل رحمه الله يدل على مكانته في الإيمان ، وعلو شأنه عند الملك الديان قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] . قال بعض السلف : لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسا ، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . وقد أخذ الله عز وجل على أهل العلم الميثاق على أن يبينوا للناس الحق ، ولا يكتُمونه .

وقال النبي ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان

(٢)

جائره »

قال العلماء : وإنما كان ذلك أفضل الجهاد ، لأن الجهاد تعريض للنفس للتلف ، وكلمة العدل عند السلطان الجائر يغلب على الظن تلفها .

(١) رواه الترمذی ( ٢٤٣ / ٩ ) الزهد وقال حسن صحيح وابن ماجه ( ٤٠٢٣ ) وقال الألبانی : حسن صحيح .

(٢) رواه أبو داود ( ٤٣٢٢ ) الفتن والترمذی ( ٢٠ / ٩ ) الفتن وله شاهد عند النسائي ( ١٦١ / ٧ ) هو به حسن .

فالواجب على العلماء والدعاة إلى الله عز وجل الجهر بكلمة الحق غير هائبين ولا وجلين .

قال الذهبي - رحمه الله - : الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به ، والقوى بلا إخلاص يخذل ، فمن قام به كاملاً فهو صديق ، ومن ضعف فلا أقل من التآلم والإنكار بالقلب ، وليس وراء ذلك إيمان فلا قوة إلا بالله <sup>(١)</sup> .

وقد تداول الإمام أحمد أربعة خلفاء ، بعضهم بالتهديد والوعيد ، وبعضهم بالضرب والحبس ، وبعضهم بالنفى والتشريد ، وبعضهم بالترغيب في الرياسة والمال ، ولا يزداد الإمام إلا ثقة وإيماناً و يقيناً ، وهذا شأن الإيمان الصادق قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢]

فالمؤمنون الصادقون يزدادون بالبلاء إيماناً وتسليماً والمنافقون يخافون من لاشيء . كما قال تعالى : ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤] .

قال العليمي ما ملخصه :

لما ولي المأمون أبو جعفر بن هارون الرشيد وكانت ولايته في الحرم وقيل في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ، صار إليه قوم من المعتزلة وأزاعوه عن طريق الحق إلى الباطل ، وحسنوا له قبيح القول بخلق القرآن ، فصار إلى مقاتلهم وقدر أنه في آخر عمره خرج من بغداد

(١) سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٢٣٤ ) .



لغزو بلاد الروم فعن له أن يكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب صاحب الشرطة أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، فاستدعى جماعة من العلماء والقضاة وأئمة الحديث ودعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فهددهم فأجاب أكثرهم مكرهين ، واستمر الإمام رضى الله عنه على الامتناع واشتد غضبه .

فلما أصر الإمام أحمد على الامتناع حمل على بعير ، وسيروه إلى الخليفة .

قال أبو جعفر الأنباري : لما حمل الإمام أحمد بن حنبل إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات فإذا هو جالس فى الخان فسلمت عليه ، فقال : يا أبا جعفر تعيّت .

فقلت : ليس هذا عناء . وقلت له : يا هذا أنت اليوم رأس الناس ، والناس يقتدون بكم ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق كثير من خلق الله تعالى ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ، ولا بد من الموت ، فائق الله ولا تجبههم إلى شيء فجعل أحمد يكي ويقول : ما شاء الله ما شاء الله .

ثم سار أحمد إلى المأمون فبلغه توعد الخليفة له بالقتل إن لم يجبه إلى القول بخلق القرآن ، فتوجه الإمام أحمد بالدعاء إلى الله تعالى أن لا يجمع بينه وبينه فبينما هو فى الطريق قبل وصوله إليه إذ جاءهم الصريخ بموت المأمون .

وكان موته فى شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، فرد الإمام إلى بغداد وحبس ، ثم ولى الخلافة المعتصم - وهو أبو إسحاق محمد بن

هارون الرشيد .

وقدم من بلاد الروم فدخل بغداد في مستهل شهر رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ، فامتحن الإمام أحمد وضرب بين يديه .

وكان من خير الخنة أن المعتصم لما قصد إحضار الإمام ازدحم الناس على بابه كيوم العيد وبسط بمجلسه بساطاً ونصب كرسيّاً جلس عليه ثم قال : أحضروا أحمد بن حنبل ، فأحضروه ، فلما وقف بين يديه سلم عليه فقال له : يا أحمد تكلم ولا تخف فقال الإمام أحمد : والله لقد دخلت عليك وما فى قلبى مثقال حبة من الفزع . فقال له المعتصم : ما تقول فى القرآن ؟ فقال : كلام الله قديم ، غير مخلوق . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] .

فقال له : عندك حجة غير هذا ؟ فقال : نعم ، قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ [ الرحمن : ١ ، ٢ ] ولم يقل الرحمن خلق القرآن .

وقوله تعالى : ﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ [يس : ١ ، ٢] ولم يقل : يس ، والقرآن المخلوق . فقال المعتصم : احبسوه ، فحبس وتفرق الناس .

فلما كان من الغد جلس المعتصم مجلسه على كرسيه ، وقال : هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس ، وسمعت لهم ضجة ببغداد ، فلما جيء به ، وقف بين يديه والسيوف قد جردت والرماح قد ركزت ، والأتراس قد نصبت ، والسيات قد طرحت . فسأله المعتصم عما يقول فى القرآن : قال : أقول غير مخلوق ، قال : ومن أين قلت ؟ فقال : حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن كلام الله الذى استخص به موسى مائة ألف كلمة ، وثلاثمائة وثلاث عشرة

كلمة فكان الكلام من الله والاستماع من موسى . ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣] . فإن يكن القول من الله تعالى فإن القرآن كلام الله ، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروا بحضرته في مدة ثلاثة أيام ، وهو يناظرهم ويظهر عليهم بالحجج القاطعة ، ويقول : أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا ، أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . حتى أقول به ، وكلما ناظروه وألزموه القول بخلق القرآن يقول لهم : كيف أقول ما لم يُقَلْ ؟ وكان من المعتصبيين <sup>(١)</sup> عليه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وأحمد بن أبي دواد القاضي ، وبشر المريسي ، وكانوا معتزلة قائلين بخلق القرآن فقال ابن أبي دواد وبشر لل خليفة : اقتله حتى نستريح منه . هذا كافر مضل فقال : إني عاهدت الله أن لا أقتله بسيف ولا أمر بقتله بسيف فقالا له : اضربه بالسياط ، فقال المعتصم له : وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط أو تقوله كما أقول ، فلم يرهبه ذلك فقال المعتصم : احضروا الجلادين فأحضروا فقال المعتصم لواحد منهم : بكم سوط تقتله ؟ قال : بعشرة ، قال خذه إليك ، فأخرج الإمام أحمد من أثوابه وشد في يديه حبلان جديدان ، ولما جرى بالسياط فنظر إليها المعتصم قال : اتنوني بغيرها ثم قال للجلادين : تقدموا . فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق فلما ضرب الرابع قال : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١] وجعل الرجل يتقدم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين فيحرضه المعتصم على التشديد في

(١) كذا وهو صواب ولعله أصله من : « المعتصبيين » كما أشار إليه في الهامش الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد .

الضرب ، فلما ضرب تسعة عشر سوطاً قام إليه المعتصم فقال له : يا أحمد علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق . قال أحمد فجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال تريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلك ! الخليفة عل رأسك قائم . وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين دمه في عنقي ، اقتله . وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين إنه صائم وأنت في الشمس قائم . فقال لي : ويحك يا أحمد ما تقول ؟ فأقول أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول به ، ثم رجع الخليفة فجلس . ثم قال للجلاد : تقدم وحرّضه على إيجاعه بالضرب ، ثم قام الثانية فجعل يقول ويحك يا أحمد أجبني . قال الإمام أحمد : فجعلوا يقبلون على ويقولون يا أحمد إمامك على رأسك قائم . وجعل بعضهم يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ قال : وجعل المعتصم يقول ، ويحك أجبني إلى شيء لك منه أدنى فرج حتى أطلق عنك يدي ، فقلت : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى أقول به ، فرجع المعتصم فجلس وقال للجلادين تقدموا فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحي وهو عند ذلك يحرضهم على التشديد في الضرب ويقول : شدوا قطع الله أيديكم قال : قال الإمام أحمد فذهب عقلي فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني ، فقال رجل ممن حضر إنا كفيناك على وجهك وطرحنا على ظهرك باريه <sup>(١)</sup> ودسناك ، قال : فما شعرت بشيء من ذلك فأتوني بسويق فقالوا لي اشرب وتقياً فقلت : لست أفطر ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى فلما انقضى من الصلاة قال

لى : صليت والدم يسيل فى ثوبك ، فقلت : قد صلى عمر وجرحه  
يشغب <sup>(٢)</sup> دماً .

وقال بعض المؤرخين : إن المحنة كانت فى سنة تسع عشرة  
ومائتين ورأيت فى موضع أنها كانت فى العشر الأواخر من رمضان  
سنة عشرين ومائتين ، والصواب ما قدمناه عند ابتداء خبر المحنة أن وقوعها  
فى شهر رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين بدليل أن بشراً المريسى هو  
الذى تولى كبيرها ، ومات بشر فى ذى الحجة فى سنة ثمانى عشرة ، وقد  
قيل : إن موته كان سنة تسع عشرة كما قاله بعض المؤرخين ، والأول  
أولى لأن المعتصم ولى الخلافة بعد المأمون ، ودخل بغداد فى غرة  
رمضان سنة ثمانى عشرة كما تقدم ، والإمام أحمد فى الحبس ، وامتنحه  
عقب دخوله بغداد .

وقد رأيت فى موضع آخر أن الإمام أحمد أخرج من السجن فى  
شهر رمضان سنة عشرين ومائتين ، وهذا متجه يعضده ما قدمناه قريباً أنه  
مكث فى السجن نحو ثمانية وعشرين شهراً ، لأن ابتداء حبسه فى أيام  
المأمون قبل وفاته ، وكانت وفاة المأمون فى رجب سنة ثمانى عشرة ، فمن  
ذلك التاريخ إلى رمضان سنة عشرين نحو ثمانية وعشرين شهراً فيظهر  
من ذلك صحة القول بأن المحنة فى شهر رمضان سنة ثمانى عشرة ،  
وأخراجه من السجن فى شهر رمضان سنة ثمانى وعشرين ومائتين والله  
أعلم .

ولما ولى الواثق بعد المعتصم ، وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم ،

(١) يشغب : أى يسيل .

وكانت ولايته في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين - لم يتعرض للإمام أحمد في شيء إلا أنه بعث إليه يقول : لاتساكني بأرض ، وقيل : أمره ألا يخرج من بيته ، فصار الإمام أحمد يختفي في الأماكن ثم صار إلى منزله ، فاختفى فيه عدة أشهر إلى أن مات الوائق<sup>(١)</sup>.

ولما ولي المتوكل بعد الوائق - وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم وكانت ولايته في ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين - خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والوائق من الاعتقاد، وطعن عليهم فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن ، ونهى عن الجدل والمناظرة عن الأداء ، وعاقب عليه ، وأمر بإظهار الرواية للحديث ، فأظهر الله به السنة ، وأما به البدعة ، وكشف عن الخلق تلك الغمة ، وأثار به تلك الظلمة ، وأطلق من كان اعتقل بسب القول بخلق القرآن ، ورفع المحنة عن الناس ، فاستبشر الناس بولايته ، وأمر بالقبض على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، ووضعه في تنور إلى أن مات ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وابتلى الله أحمد بن أبي دؤاد بالفالج بعد موت الوزير بسبعة وأربعين يوماً ، فولى القضاء مكانه ولده أبو الوليد محمد فلم تكن طريقته مرضية وكثر ذامره وقل شاكروه ، ثم سخط المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وولده محمد في سنة تسع وثلاثين ومائتين وأخذ جميع ضياع الأب وأمواله من الولد - مائة وعشرين ألف دينار - وجواهر بأربعين ألف دينار وسيره إلى بغداد من « سر من رأى »<sup>(٢)</sup> وولى القاضي يحيى بن أكثم قاضي القضاة<sup>(٣)</sup> فإنه كان

(١) قال الذهبي : قال إبراهيم نغلويه حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهدي أن الوائق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن ( ١١ / ٣١٦ ) سير أعلام النبلاء .

(٢) اسم الموضع الذي به الخليفة .

(٣) ورد النهي عن التسمي بقاضي القضاة وملك الملوك وشاه شاه .

من أئمة الدين وعلماء السنة ثم مات أحمد بن أبي داود بمرض الفالج في المحرم سنة أربعين ومائتين ، ومات ولده محمد قبله بعشرين يوماً ، وكان بشر المريسي قد أهلكه الله ومات في ذى الحجة سنة ثمانى عشرة . وقيل : تسع عشرة ومائتين .

وعن عمران بن موسى قال : دخلت على أبي العروق الجلال الذي ضرب أحمد لأنظر إليه ، فمكث خمسة وأربعين يوماً ينبح كما ينبح الكلب .

وقد انتقم الله من كل خصومه المبتدعين الذين سعوا في أمره ، وخذلهم ، ونصره عليهم بحول الله وقوته ، وبركة كتابه العزيز ، وسنة نبيه محمد ﷺ .

وشرع المتوكل في الإحسان إلى الإمام أحمد رضى الله عنه وتعظيمه وإكرامه ، وكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم أن يبعث إليه بالإمام أحمد فجهزه معظماً مكرماً إلى الخليفة المتوكل على الله - بسر من رأى - قال عبد الله بن أحمد : وبعث المتوكل إليه يقول : قد أحببت أن أراك وأتبرك بدعائك ، فخرجنا من بغداد فأنزلنا داراً والمتوكل يرانا من وراء الستر ، وأخبر بعض الخدم أن المتوكل لما كان قاعداً ، وراء الستر ودخل الإمام الدار قال لأمه : يا أماء قد أنارت الدار . قال عبد الله : فأمر لأبى بشياب ودراهم وخلعة فبكى وقال : أسلم من هؤلاء منذ ستين سنة فلما كان آخر العمر ابتليت بهم ، ولما جاءوا بالخلعة لم يمسخها ولا غيرها ، فجعلها على كتفيه فما زال يتحرك حتى رمى بها ، وأرسل إليه المتوكل مالا جزيلاً فأبى أن يقبله ، فقيل له : إن رددته وجد عليك في نفسه ، ففرقه على مستحقه ، ولم يأخذ منه شيئاً ، وكان كل يوم يرسل

إليه من طعامه الخاص فلا يأكل منه لقمة.

قال صالح : وأمر المتوكل أن يشتري لنا داراً . فقال : يا صالح لمن أقررت لهم بشراء دار ليكونن القطيعة بيني وبينك ، فلم يزل يدفع شراء الدار حتى اندفع ثم عاد إلى بغداد ، وكان المتوكل لا يولى أحداً إلا بمشورة الإمام أحمد ومكث الإمام إلى حين وفاته قل أن يأتي يوم إلا ورسالة الخليفة تنفذ إليه في أمور يشاوره فيها ويستشيره رحمهما الله ورضى عنهما <sup>(١)</sup> .

(١) باختصار من المنهج الأحمد ( ١ / ٣١ - ٤١ ) .



## ٩ - شيوخه وتلامذته

## شيوخه وحملهم الله :

قال الخطيب<sup>(١)</sup> : سمع من إسماعيل بن عليّة ، وهشيم بن بشير ،  
 وحمام بن خالد الخياط ، ومنصور بن سلمة الخزاعي ، والمظفر بن مدرك ،  
 وعثمان بن عمر بن فارس ، وأبي النضر هاشم بن القاسم ، وأبي سعيد مولى  
 بني هاشم ، ومحمد بن يزيد ، ويزيد بن هارون الواسطييين ، ومحمد بن  
 أبي عدي ، ومحمد بن جعفر غندر ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد  
 الرحمن ابن مهدي ، وبشر بن المفضل ، ومحمد بن بكر البرساني ، وأبي  
 داود الطيالسي ، وروح بن عباد ، ووكيع بن الجراح ، وأبي معاوية الضرير ،  
 وعبد الله بن نمير ، وأبي أسامة ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى ابن سليم  
 الطائفي ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وإبراهيم بن سعد الزهري ، وعبد  
 الرزاق بن همام ، وأبي قرّة موسى بن طارق ، والوليد بن مسلم ، وأبي  
 مسهر البمشقي ، وأبي اليمان ، وعلي بن عياش ، وبشر بن شعيب بن أبي  
 حمزة الحمصيين ، وخلق سوى هؤلاء يطول ذكرهم ، ويشق إحصاء  
 أسمائهم وذكر المزي في تهذيبه مائة وأربعة من شيوخه ، وليس ذلك كذلك  
 على سبيل الاستقصاء والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

## تلامذته وحملهم الله :

قال الخطيب : وروى عنه غير واحد من شيوخه الذين سميناهم وحدث  
 أيضاً عنه ابنه صالح وعبد الله ، وابن عمه حنبل بن إسحاق ، والحسن بن

(١) تاريخ بغداد ( ٤١٢/٤ ، ٤١٣ ) .

(٢) انظر تهذيب الكمال ( ١ / ٤٣٧ - ٤٤٠ ) .

الصباح البزار ، ومحمد بن إسحاق الصاغانى ، وعباس بن محمد الدورى ،  
ومحمد بن عبيد الله المنادى ، ومحمد بن إسماعيل البخارى ، ومسلم بن  
الحجاج النيسابورى ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم الرازيان ، وأبو داود السجستاني ،  
وأبو بكر الأثرم ، وأبو بكر المروذى ، ويعقوب بن شعبة ، وأحمد ابن أبى  
خيثمة ، وأبو زرعة الدمشقى ، وإبراهيم الحري ، وموسى بن هارون ، وعبد  
الله بن محمد البغوى وغيرهم .

وقد ذكر المزي أيضاً فى تهذيبه ثمانية وثمانين من تلامذته وفيهم  
جملة من شيوخه منهم محمد ابن إدريس الشافعى ، ووكيع بن الجراح ،  
ويحيى بن آدم ، ويزيد بن هارون . ومن أقرانه : على بن المدينى ، ويحيى  
ابن معين ، ودحيم الشامى ، وأحمد بن أبى الحوارى ، وأحمد بن صالح  
المصرى .<sup>(١)</sup>

(١) انظر تهذيب الكمال ( ١ / ٤٤٠ - ٤٤ ) وانظر تاريخ الإسلام للذهبي - حوادث وفيات  
( ٢٤١ - ٢٥٠ ) صفحة ( ٦٤ ، ٦٥ ) بتحقيق د . عبد السلام تدمرى - دار الكتاب العربى .

## ١٠ - مؤلفاته رحمه الله

## قال الذهبي ماملخصه:

قال ابن الجوزي : كان الإمام لا يرى وضع الكتب وينهى عن كتابة كلامه ومسائلهم ، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة ، وصنف « المسند » وهو ثلاثون ألف حديث ، وكان يقول لابنه عبد الله : احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً ، و« التفسير » وهو مئة وعشرون ألفاً ، و« الناسخ والمنسوخ » و« التاريخ » و« حديث شعبة » ، و« المقدم والمؤخر في القرآن » ، و« جوابات القرآن » ، و« المناسك » ، و« الكبير والصغير » ، وأشياء أخرى .

قال الذهبي : وكتاب « الإيمان » ، وكتاب « الأشربة » ورأيت له ورقة من كتاب « الفرائض » ، فتفسيره المذكور شيء لا وجود له ، ولو وجد لاجتهد الفضلاء في تحصيله ، ثم لو ألف تفسيراً لما كان يكون أزيد من عشرة آلاف أثر ، ولاقتضى أن يكون في خمس مجلدات ، فهذا تفسير ابن جرير الذي جمع فيه فأوعى لا يبلغ عشرين ألفاً . وما ذكر تفسير أحمد أحد سوى أبي الحسن بن المنادي فقال في « تاريخه » : لم يكن أحد أروى في الدنيا عن أبيه من عبد الله بن أحمد ، لأنه سمع منه « المسند » وهو ثلاثون ألفاً ، و« التفسير » وهو مئة وعشرون ألفاً سمع ثلثيه ، والباقي وجاده .

قال ابن السماك : حدثنا حنبل قال : جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا « المسند » ماسمعه غيرنا . وقال : هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من مئة ألف وخمسين ألفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله فارجعوا إليه ، فإن وجدتموه فيه ، وإلا فليس بحجة .

قال الذهبي : قلت : في « الصحيحين » أحاديث قليلة ليست في

«المسند» لكن قد يقال : لاترد علي قوله فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم مايلزم من هذا القول أن ما وجد فيه أن يكون حجة ففيه حملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها ولا يجب الاحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة ولكنها قطرة في بحر، وفي غضون المسند زيادات جمة لعبد الله (ابن أحمد) <sup>(١)</sup>

قال ابن الجوزي : وله - يعني أبا عبد الله - من المصنفات كتاب «نقى التشبيه» مجلدة ، وكتاب «الإمامة» مجلدة صغيرة وكتاب «الرد علي الزنادقة» ثلاثة أجزاء، وكتاب «الزهد» <sup>(٢)</sup> مجلد كبير، وكتاب «الرسالة» في الصلاة» قال الذهبي : وهو موضوع علي الإمام .  
قال وكتاب «الصحابة» <sup>(٣)</sup> قال الذهبي فيه زيادات لعبد الله ابنه ولأبي بكر القطيعي صاحبه .

وقد دون عنه كبار تلامذته مسائل وافرة في عدة مجلدات كالمرودى والأثرم ، وحرب وابن هانئ ، والكوسج ، وأبى طالب . وجمع أبو بكر الخلال سائر ما عند هؤلاء من أقوال أحمد وفتاويه وكلامه في العلل والرجال والسنة والفروع ، حتي حصل عنده من ذلك مالا يوصف كثرة ، ورحل إلي النواحي في تحصيله ، وكتب عن نحو من مئة نفس من أصحاب الإمام ، ثم كتب كثيراً من ذلك عن أصحاب أصحابه ، وبعضه عن آخر عن آخر عن الإمام أحمد ، ثم أخذ في ترتيب ذلك ، وتهذيبه وتبويبه ، وحمل كتاب «العلم» وكتاب «العلل» وكتاب «السنة» كل واحد من الثلاثة في ثلاث مجلدات. <sup>(٤)</sup>

(١) صنف الحافظ ابن حجر القول المسند في الذب عن المسند في دفع القول بوجود أحاديث موضوعة بالمسند فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً .

(٢) وهو مطبوع طبعه غير محققه وتحفاج إلى تحقيق وترتيب والطبعة المرجودة بتحقيق عبد الرحمن بن قاسم ولكنه تحقيق للنص فحسب .

(٣) وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق وصي الله بن محمد عباس وطبع جامعة أم القرى بمكة

(٤) باختصار من سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٣٢٧ - ٣٣١ )

## ١١ - نتف من أقواله وذرر من أشعاره

- سئل الإمام أحمد - رحمه الله - عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى .

- وقال : كل شيء من الخير تهتم به فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه .

- وعن علي بن المديني قال : ودعت الإمام أحمد بن حنبل فقلت له : توصيني بشيء ؟ قال : نعم اجعل التقوى زادك ، وانصب الآخرة أمامك .

- وكان يقول : عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن .

- وكان يقول : ما قل من الدنيا كان أقل للحساب .

- وعن عبد الصمد بن سليمان بن مطر قال : بت عند أحمد بن حنبل فوضع لي ماء فلما أصبح وجدني لم أستعمله فقال : صاحب الحديث لا يكون له ورد في الليل قال : قلت : أنا مسافر ، قال : وإن كنت مسافراً ، حج مسروراً فما نام إلا ساجداً .

- وعن حنبل بن إسحاق قال : رأيت أحمد بن حنبل أكتب خطاً دقيقاً فقال : لا تفعل ؛ أحوج ما تكون إليه يخونك .

- وقال : كل الطعام مع الإخوان بالسرور ، ومع الفقراء بالإيثار ، ومع أبناء الدنيا بالمروءة .

- ودخل ثعلب علي أحمد بن حنبل ومجلسه غاص ، فجلس إلى جانبه وقال : أخاف أن أكون ضيقت عليك ، على أنه لا يضيق مجلس محتابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين . قال الإمام أحمد : الصديق لا يحاسب

والعدو لا يحتسب له (١).

وعن أحمد بن يحيى قال : كنت أحب أن أرى أحمد بن حنبل فصرت إليه فلما دخلت عليه قال لي : فيم جئت ؟ قلت : في النحو والعربية فأنشد :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل      خلوت ولكن قل على رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة      ولا أن ما يخفي عليه يغيب  
لهنأ عن الأعمال حتي تابعت      ذنوب على آثارهن ذنوب  
فياليت أن الله يغفر ماضي      ويأذن في توبتنا فنتسوب  
إذا مضى القرن الذي أنت فيهم      وخلفت في قرن فأنت غريب

وعن علي بن خشرم أنه سمع أحمد بن حنبل يقول :  
تفني اللذذة ممن نال صفوتها      من الحرام ويبقي الإثم والعار  
تبقي عواقب سوء من مغبتها      لا خير في لذة من بعدها النار

- وروى من قوله في علي بن المديني لما أجاب إلى القول بخلق القرآن :  
با ابن المديني الذي عرضت له      دنيا فجاد بدينه لينالها  
ماذا دعاك إلي انتحال مقالة      قد كنت تزعم كافراً من قالها  
أمر بدا لك رشد فتبعته      أم زهرة الدنيا أردت نوالها  
ولقد عهدتك مرة متشدداً      صعب المقادة للتي تدعي لها  
إن المرزأ من يصاب بدينه      لا من يرزأ ناقة وفصالها (١)

(١) بتصرف واختصار من المنهج الأحمد (١ / ١٩ ، ٢٠) .

(٢) السابق بتصرف ( ٢٥ ) .

## ١٢ - مرضه ووفاته رحمه الله

قال ابنه عبد الله : سمعت أبي يقول : استكملت سبعاً وسبعين ، فحم من ليلته ومات يوم العاشر .

وقال صالح : لما كان في أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين حم أبي ليلة الأربعاء ، وبات وهو محموم يتنفس نفساً شديداً ، وكنت قد عرفت علته ، وكنت أمرضه إذا اعتل ، فقلت له : يا أبة علي ما أفطرت البارحة ؟

قال : علي ماء باقلاء .

ثم أراد القيام فقال : خذ يدي فأخذت بيده فلما صار إلي الخلاء ضعفت رجلاه حتي توكأ علي ، وكان يختلف إليه غير متطيب كلهم مسلمون ، فوصف له متطيب قرعة تشوي ويسقى ماؤها ، وهذا يوم الثلاثاء وتوفي يوم الجمعة . فقال : يا صالح : فقلت لييك .

قال : لا تشوي في منزلك ، ولا في منزل أخيك .

وصار الفتح بن سهل إلي الباب ليعوده فحجبه ، وأتى ابن علي بن الجعد فحجبه وكثر الناس ، فقال : أي شيء ترى ؟

قلت : تأذن لهم ، فيدعون لك .

قال : أستخير الله تعالى .

فجعلوا يدخلون عليه أفواجا حتي تمتلئ الدار ، فيسألونه ويدعون له ثم يخرجون ، ويدخل فوج آخر ، وكثر الناس فامتأل الشارع ، وأغلقنا باب الرقاق ، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فقال أبي : إني لأرى الرجل

يحيي شيئاً من السنة فأفرح به.

وجعل يحرك لسانه ، ولم يثن إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قائماً أمسكة فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه.

واجتمعت عليه أوجاع الحصر وغير ذلك ، ولم يزل عقله ثابتاً ، فلما كان يوم الجمعة لإثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي .

وقال المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول مرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون أفواجاً يسلمون عليه ويرد عليهم بيده .

واشتدت علته يوم الخميس ووضأته فقال : خلال <sup>(١)</sup> الأصابع فلما كانت ليلة الجمعة وثقل قبض صدره ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتألت السكك والشوارع .

وقال حنبل : توفي يوم الجمعة في ربيع الأول .

وقال مطين : في ثاني عشر ربيع الأول .

وكذا قال عبد الله بن أحمد وعباس الدوري .

وقال البخاري : مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .

وقال الخلال : ثنا المروزي قال : أخرجت الجنازة بعد منصرف الناس من الجمعة .

(١) في سير أعلام النبلاء : خلل .



قال الذهبي: وقد روى الإمام أحمد في مسنده: ثنا أبو عامر، ثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: « ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر »<sup>(١)</sup>.

وقال صالح: وجه ابن طاهر نائب بغداد بحاجبه مظفر، ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقالوا: الأمير يقرئك السلام ويقول: قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره كان يفعل.

فقلت: أقرأ الأمير السلام وقل له إن أمير المؤمنين قد أعفاه في حياته مما كان يكره ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكره في حياته، فعاد وقال: يكون شعاره فأعدت عليه مثل ذلك.

وقد كان غزلت له جارية ثوباً عشارياً قوم بشمانية وعشرين درهماً ليقطع منه قميصين فقطعنا له لفافتين وأخذ منه فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطاً وفرغ من غسله، وكفناه، وحضر نحو مائة من بني هاشم، ونحن وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير.

وقال عبد الله بن أحمد: صلي على أبي محمد بن عبد الله بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار.

وقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان: سمعت المتوكل يقول لمحمد بن عبد الله: طوبى لك يا محمد صليت على أحمد بن حنبل رحمة الله عليه.

(١) رواه أحمد (٢ / ١٦٩ / ٩) والترمذي (٩ / ٢٩٥) الجائز، وقال هذا حديث غريب. وقال هذا حديث ليس إسناده متصل. ربيعة بن سيف إنما يروى عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ولا تعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو، والحديث له طرق ذكرها البخاوي في المقاصد الحسنة وهو بها حسن.

وقال أبو بكر الخلال : سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية والإسلام مثله ، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحُزِر علي الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف وحرزنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة .

وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ينادون من أراد الرضوء .<sup>(١)</sup>

(١) باختصار من تاريخ الإسلام للإمام الذهبي جزء حوادث ووفيات ( ٢٤١ - ٢٥٠ ) صفحة (٣٧) إلى ( ١٤١ ) بتحقيق د . عبد الرحمن تدمري - دار الكتاب العربي .

من أعلام السلف

٣٤

شيخ الحديثين  
محمد بن إسماعيل البخاري



## ١ - اسمه ونسبه وصفته

**اللقب :** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة . وقيل بذرذبة وهي لفظة بخارية الزراع ، وكنيته أبو عبد الله .  
قال النووي :

روينا عن الخطيب الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي قال : بردزبة مجوسى مات عليها . قال : وابنه المغيرة أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي والى بخاري ، ويمان هذا هو : أبو عبد الله بن جعفر بن يمان المسندي شيخ البخاري . وإنما قيل للبخاري جعفي ، لأنه مولى يمان الجعفي ولأهـ إسلام .

أما والده فهو إسماعيل بن إبراهيم ، وكنيته أبو الحسن ، فقد كان من كبار المحدثين ، ذكره البخاري في « التاريخ الكبير » <sup>(١)</sup> . وكذا ابن حبان في الثقات ونصه : « إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروى عن حماد بن زيد ومالك ، وروى عنه العراقيون » <sup>(٢)</sup> .

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : سمع أبي مالك بن أنس ، ورأى حماد بن زيد ، قد صافح ابن المبارك بكلتا يديه <sup>(٣)</sup> .

قال الحافظ : ومات إسماعيل ومحمد صغير فنشأ في حجر أمه <sup>(٤)</sup> .

(١) التاريخ الكبير ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) الثقات لابن حبان ( ٨ / ٩٨ ) .

(٣) تغليق التعليق ( ٥ / ٣٨٥ ) للحافظ ابن حجر . المكتب الإسلامي . دار عمار .

(٤) هدى الساري « مقدمة فتح الباري » لابن حجر العسقلاني ( ٥٠٢ ) .

وكانت والدته عابدة صاحبة كرامات ، روى غنجار في تاريخ بخارى واللالكائي في شرح السنة في باب كرامات الأولياء منه أن محمد بن إسماعيل ذهب عيناه في صفوه ، فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام ، فقال لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك . قال : فأصبح وقد رد الله عليك بصره <sup>(١)</sup> .

أما صفته رحمه الله : فقد روى الخطيب في تاريخ بغداد ، قال : أخبرنا أبو سعد الماليني قال : أنبأنا عبد الله بن عدي قال : سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول : رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخاً نحيف الجسم ، ليس بالطويل ولا بالقصير <sup>(٢)</sup> .

(١) المصدر السابق ( ٥٠٣ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٦ ) .

## ٢- مولده وموطنه

ولد الإمام البخارى رحمه الله فى « بخارى » المدينة المعروفة فى خراسان ، وهى مدينة قديمة رائعة من بلدان ما وراء النهر ، وكانت عاصمة السامانيين قبل الفتح الإسلامى ، واتفق المؤرخون على أن المسلمين فتحوها فى خلافة بنى أمية .

قال الحافظ :

ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشر ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى . قال المستنير بن عتيق : أخرج إلى ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه <sup>(١)</sup> .

## ٣ - ابتداء طلبه للعلم وعلو همته في الطلب

لا شك في أن طيب أصل البخارى ، وأصاله معدنه . بعد توفيق الله عز وجل وحفظه ورعايته . كان من أعظم أسباب تبكير البخارى في طلب العلم ، فقد كان أبوه من كبار المحدثين ، وأمه من العابدات الصالحات . قال بعضهم : « فقد ربا في حجر العلم حتى ربا ، وارتضع ثدى الفضل فكان فطامه على هذا اللبا » <sup>(١)</sup> .

روى الخطيب البغدادي عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوى : قال : قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب قال : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال عشر سنين أو أقل ، ثم تخرجت من الكتاب بعد العصر ، فجعلت أختلف إلى الداخلى وغيره ، وقال يوماً فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم فقلت يا أبا فلان : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرنى فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك ، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لى : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدى عن إبراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه فقال : صدقت . فقال بعض أصحابه : ابن كم كنت إذا رددت عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة ، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء <sup>(٢)</sup> .

ثم خرجت مع أمى وأخى أحمد إلى مكة ، فلما حججت رجع أخى بها وتخلفت في طلب الحديث ، فلما طعنت في ثمان عشرة سنة جعلت أصنف

(١) من مقدمة القسطلانى ( ١٢٥ ) ط . المجلس الأعلى للثغور الإسلامية .

(٢) يعنى أهل الرأى .



قضايا الصحابة والتابعين وأقاربهم ، وذلك أيام عبيد الله بن موسى ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة . وقال : قل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أنني كرهت تطويل الكتاب <sup>(١)</sup> .

روى الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول : وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي ، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم ، فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم ؟ فقلت : اثنين وأردت بذلك حديثين ، فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم : لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً .

وسمعه يقول : دخلت على الحميدى وأنا ابن ثمان عشرة سنة ، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث ، فلما بصرني الحميدى قال : قد جاء من يفصل بيننا ، فعرضاً عليّ فقضيت للحميدى على من يخالفه ، ولو أن مخالفه أصر على خلافه ثم مات على دعواه لمات كافراً .

ثم روى بسنده عن بكر الأعمين قال : كتبنا عن البخاري على باب محمد ابن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة ، فقلنا : ابن كم أنت ؟ قال : ابن سبع عشرة سنة <sup>(٢)</sup> .

وقال بكر بن منير : سمعت البخاري يقول : كنت عند أبي حفص أحمد ابن حفص أسمع كتاب « الجامع » لسفيان الثوري ، ومن كتاب والدي ، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ماذكر ، فراجعته فقال الثانية والثالثة فراجعته فسكت ، ثم قال : من هذا ؟ قالوا : ابن إسماعيل . فقال : هو كما قال : واحفظوا أن هذا يصير يوماً رجلاً <sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٧ / ٢ ، ٧ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٠٠ ، ٤٠١ ) . ينصرف .

(٣) تغليق التعليق ( ٥ / ٣٨٧ ) وانظر القصة المسندة في تاريخ بغداد ( ١١ / ٢ ) .

## ٤ - رحلاته رحمه الله للأمصار لحفظ سنة المصطفى المختار ﷺ

والرحلة فى اصطلاح المحدثين : هى السفر الذى يخرج فيه الطالب لطلب حديث ، أو علو إسناد ، وكان الصحابة رضى الله عنهم هم القدوة فى ذلك ، فقد سافر جابر بن عبد الله شهراً لطلب علو إسناد حديث من عبد الله بن أنيس ، وعلى هذا الهدى سار التابعون .

قال أبو العالية : كنا نسمع الرواية فى البصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فما نرضى حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم<sup>(١)</sup> . ومن آداب الرحلة أن يبدأ طالب العلم بشيوخ بلده فيكتب عنهم حتى يحكم حديثهم ، ثم يرحل إلى الأمصار يشافه الشيوخ ، وقد بدأ الإمام البخارى بشيوخ بخارى وكبار المحدثين فيها ، فسمع محمد بن سلام البيهقى ، وعبد الله بن محمد المسندى وإبراهيم بن الأشعث .

وكانت أول رحلاته سنة عشرة ومائتين ، وله ست عشرة سنة ، عندما خرج إلى الحج مع أمه وأخيه ، وعاد أخوه بأمه ، وبقي طالباً للعلم ، فسمع بمكة أئمة هذا الشأن ومرجع الناس : الإمام أبو الوليد أحمد بن الأزرقى ، وعبد الله بن يزيد ، وإسماعيل بن سالم الصائغ ، وأبو بكر بن بعد الله بن الزبير ، والعلامة الحميدى ، ثم توجه إلى المدينة ووصلها سنة ٢١٢ هجرية ، وكان إذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمره ، وسمع من إبراهيم بن المنذر ، ومطرف بن عبد الله ، وإبراهيم بن حمزة ، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله ، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسى وأقرانهم .

ثم توجه رحمه الله إلى البصرة : وتكررت رحلته للبصرة أربع مرات ، واستفاد فى البصرة من الإمام أبى عاصم النبيل ، وصفوان بن عيسى ، وبديل ابن ثابت الحخير ، وحرمى بن عمارة ، وعفان بن مسلم ، ومحمد بن سنان ، وأقرانهم ومن فى طبقتهم .

ورحل إلى الكوفة عدة مرات ، ومن مشاهير أساتذته فى الكوفة : عبد الله ابن موسى ، وأبو نعيم بن يعقوب ، وإسماعيل بن أبان ، والحسن بن الربيع ، وخالد بن مخلد ، وسعيد بن حفص ، وتردد كذلك على بغداد عاصمة الخلافة ، ومن شيوخه ببغداد الإمام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن عيسى الصباغ ، ومحمد بن سائق ، وشريح بن النعمان ولما ودع بغداد فى المرة الأخيرة وكان ذلك فى رحلته الثانية وذهب ليودع الإمام أحمد قال له الإمام فى حسرة وألم : « تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان » .

ومن رحلاته أيضاً رحلته إلى الشام ، وأخذ هناك عن يوسف الفريابى ، وأبى إسحاق بن إبراهيم ، وآدم بن أبى إياس ، وأبى اليمان الحكيم بن نافع ، وحيوة بن شريح .

ورحل إلى مصر ، ودرس على عثمان بن الصائغ ، وسعيد بن أبى مريم ، وعبد الله بن صالح ، وأحمد بن صالح ، وأحمد بن شبيب .

ورحل كذلك إلى الجزيرة وخراسان ونواحيها من مرو وبلخ وهراة ، أما بخارى وسمرقند وطشقند وغيرها فهى موطنه <sup>(١)</sup> .

قال الخطيب البغدادي :

« رحل البخارى إلى محدثى الأمصار ، وكتب بخراسان والجيال ومدن

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنسوى ( ١ / ٧١ ، ٧٢ ) وسيرة الإمام البخارى للمباركفورى ( ٥٩ ، ٦٠ ) .

العراق كلها والحجاز والشام ومصر وورد بغداد دفعات <sup>(١)</sup> .  
 لقد بسرت عناية الله للبخاري سُبُلَ النجاح ، وذللت أمامه الصعاب ،  
 فاستطاع برحلاته المتتالية أن يضاعف عدد شيوخه حتى بلغوا الألف ، وأن  
 ينمي ثروته العلمية على النحو الذي رأيناه ، فأقرّ الناس له بالإمامة ، وتبوأ بينهم  
 مركز الصدارة عن جدارة ، وقد أدرك عظيم فضل الله عليه ، فقابل نعمته  
 بشكر يديمها ، ولم يكن هذا إلا بالعمل الذي خلّدها واستبقى آثارها  
 متعاقبة بعده <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٤ ) .

(٢) تصدير - لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية برئاسة الأستاذ / محمد محي الدين عبد الحميد لصحيح البخاري ( ١ / ٦٢ ) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

## ٥ - شيوخه رحمهم الله وطبقاتهم

قال جعفر بن محمد القطان :

سمعت الإمام البخارى يقول : « كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة ، وليس عندي حديث إلا أذكر إسناده <sup>(١)</sup> .

وروى محمد بن أبى حاتم عن البخارى أنه قال : كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث .  
وقال أيضاً : لم أكتب إلا عن قال الإيمان قول وعمل <sup>(٢)</sup> .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ( ٢ / ٢٢٢ ) ط عيسى البابى الحلبي لتلج الدين السبكي وتاريخ بغداد ( ١٠ / ٢ ) .

(٢) هدى السارى ( ٥٠٣ ) غمز أبو غدة شيخ المحدثين فى تعليقه على كتاب « الربيع والتكميل » للكنوى فنقل عن شيوخه الكوثرى قوله : « من الغريب أن بعض من يعدونه أمراء المؤمنين فى الحديث يتبجح قائلاً : إنى لم أخرج فى كتابى عن لا يرى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، مع أنه أخرج عن غلاة الخوارج وغيرهم فى كتابه ، وهو يدري أن الحديث القائل بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص غير ثابت عند النقاد ، ولا يلتفت إلى المتساهلين ممن لا يفرقون بين الشمال واليمين ، فمأذا بعد ظهور الحجة ، ووضوح المسألة على من يرى إرجاء العمل من أن يكون ركناً أصيلاً للإيمان ، وعليه الكتاب والسنة ، وجمهور الصحابة ، وجميع علماء أهل السنة الذين يستنكرون قول الفريقين الخوارج والمعتزلة فإرجاء العمل من أن يكون من أركانه الأصلية هو السنة » . إلى آخر كلامه الذى فساد به عن إتمامه ، وانتصاراً لأمير المؤمنين وشيخ المحدثين الذى نصر عقيدة أهل السنة والجماعة فى كتابه أبما انتصار ، وبوب أكثر أبواب كتاب الإيمان فى بيان دخول العمل فى معنى الإيمان ، وأبو غدة والكوثرى لا يجهلان هذه الأحاديث المترجم لها ولا يجهلان قول الله عز وجل : ﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ [ الأحزاب ٢٢ ] وقوله عز وجل : ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ [ المدثر : ٣١ ] إلى غير ذلك من الدلائل الواضحات ، والآيات البينات التى تدل على أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، وإن كان ذلك لم يثبت حديثاً مستنداً ، ومثل ذلك : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فلم يصح ذلك سنداً إلا أنه الواقع فى نفسى الأمر كما قال الطحاوى الحنفى : « والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وإن دلّ كلام أبى غدة على شيء فإنه يدل على بدعته ، فلا ينقص أهل الحديث إلا أهل البدع ، على أن كلام أبى غدة عن البخارى لا ينقص من قدر الإمام ، وإنما بهلك هو نفسه ، ونسأل الله العافية ، وإنما ذكرت ما ذكرت ردأً لغيته .

قال الحافظ : وينحصر في خمس طبقات :

### الطبقة الأولى :

من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد ، ومثل مكي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد ، ومثل أبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبي عبيد أيضاً ، ومثل عبيد الله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبي خالد ، ومثل أبي نعيم حدثه عن الأعمش ، ومثل خلاد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طهمان ومثل عياش وعصام بن خالد حدثاه عن حرير بن عثمان ، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين .

### الطبقة الثانية :

من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبي إياس ، وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، وسعيد بن أبي مريم ، وأيوب بن سليمان بن بلال وأمثالهم .

### الطبقة الثالثة :

هي الوسطى بين مشايخه ، وهم ممن لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع التابعين كسليمان بن حرب ، وقتيبة بن سعيد ، ونعيم بن حماد ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة ، وأمثال هؤلاء ، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم .

### الطبقة الرابعة :

رفقاؤه في الطلب ، ومن سمع قبله قليلاً ، كمحمد بن يحيى الذهلي ، وأبي حاتم الرازي ، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقه ، وعبد بن حميد ، وأحمد بن النضر ، وجماعة من نظرائهم ، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاتته عن

مشايخه ، أو مالم يجده عند غيرهم .

### الطبقة الخامسة :

قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة ، كعبد الله بن حماد الأملي ، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي ، وحسين بن محمد القبانى وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة ، وعمل في الرواية عنهم ، كما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال : لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ، وعن البخاري أنه قال : لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن فوقه وعمن مثله وعمن هو دونه <sup>(١)</sup> .

(١) هدى السارى ( ٥٠٣ ) .

## ٦ - زهده وورعه رحمه الله

عن محمد بن أبي حاتم قال : سمعت سليماً - يعني ابن مجاهد - يقول : ما رأيت بعينى منذ ستين سنة أفقه ، ولا أروع ، ولا أزهدي في الدنيا من محمد بن إسماعيل <sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن أبي حاتم أيضاً : وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار فلا يأكل فيه رقاقه ، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً ، وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره <sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ : قال وراقه سمعت محمد بن خراس يقول : سمعت أحميد ابن حفص يقول : دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته فقال : لا أعلم من مالى درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة . قلت : وحكى ورقة أنه ورث من أبيه مالا جليلاً ، وكان يعطيه مضاربه ، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألف فقبل له استعن بكتاب الوالى ، فقال : إن أخذت منهم كتاباً طمعوا ، ولن أبيع دينى بدنياى ، ثم صالح غريمة على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله . وقال سمعته يقول : ما توليت شراء شئ قط ولا بيعه ، كنت أمر إنساناً فيشتري لى . قيل له : ولم ؟ قال : لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط . وقال غنجر فى تاريخه : حدثنا أحمد بن محمد ابن عمر المقرئ ، حدثنا أبو سعيد بكر بن منى قال : كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص ، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية ، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم . فقال لهم : انصرفوا الليلة ، فجاءه من

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٤٩ ) .

(٢) المصدر السابق ( ١٢ / ٥٤٠ ) .



الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة ببيع عشرة آلاف درهم فردهم وقال : إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين فدفعها إليهم ، وقال لا أحب أن أنقض<sup>(١)</sup> نيتي

وروى الخطيب البغدادي عن عمر بن حفص الأشقر قال : كنا مع محمد ابن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياماً فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء ، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسونا ، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث<sup>(٢)</sup> .

(١) هدى الساري ( ٥٠٣ ، ٥٠٤ ) ، وتاريخ بغداد ( ١١ / ٢ ، ١٢ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ١٣ / ٢ ) .

## ٧ - عبادته رحمه الله

روى الخطيب في تاريخه عن محمد بن أبي حاتم الوراق قال : دعى محمد ابن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ثم قام للتطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه وقال لبعض من معه : انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً ؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً ، وقد تورم من ذلك جسده ، وكانت آثار الزنبور في جسده ظاهرة . فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك فقال : كنت في سورة فأحببت أن أتمها <sup>(١)</sup> .

وقال كذلك : وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة ، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني ؟ قال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك ، ورأيتك استلقي على قفاه يوماً ونحن بفربر في تصنيف كتاب التفسير ، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث ، فقلت له : يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوماً : إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط منذ عقلت ، فأى علم هذا الإمتلاء فقال : أتعبنا أنفسنا هذا اليوم ، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة ذلك فإن غافضنا العدو كان بنا حراك <sup>(٢)</sup> .

قال الذهبي : قال عمر بن أبي حاتم سمعت أبا عبد الله يقول : ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يستجب له . فقالت له امرأة أخيه بحضرتي :

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ١٢ ، ١٣ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٤٤ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ١٣ ، ١٤ ) .

فهل تبينت ذلك أيها الشيخ من نفسك أو جريت ، قال : نعم دعوت ربي عز وجل مرتين فاستجاب لي فلن أحب أن أدعوا بعد ذلك فلعله ينقص من حسناتي أو يعجل لي في الدنيا ، ثم قال : ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل<sup>(١)</sup> .

وقال الحافظ : وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ أخبرني محمد بن خالد حدثنا مقسم بن سعد قال : كان محمد بن إسماعيل إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليالٍ ، وكذلك يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة ، ويقول عند كل ختمة دعوة مستجابة<sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٤٨ ) .

(٢) هدى الساري ( ٥٠٥ ) .

## ٨ - كرمه وسماحة نفسه وحسن خلقه

قال الحافظ : وقال عبد الله بن الصيارفي : كنت عند أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل في منزله ، فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه ، فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : إذا لم يكن طريق كيف أمشي ؟ فبسط يديه وقال : اذهبي فقد أعتقتك . ( فقيس ) له : يا أبا عبد الله أغضبتك الجارية ؟ قال : إن كانت أغضبتني فقد أرضيت نفسي بما فعلت (١)

وقال أيضاً : قال وراق البخاري : وسمعت يقول لأبي معشر الضرير اجعلني في حل يا أبا معشر فقال : من أي شيء ؟ فقال : رويت حديثاً فنظرت إليك ، وقد أعجبت به ، وأنت تحرك رأسك ويديك فتبسمت من ذلك ، فقال : أنت في حل يرحمك الله يا أبا عبد الله (٢)

وقال الذهبي : قال محمد بن أبي حاتم : كانت له قطعة أرض يكرهاها كل سنة بسبع مئة درهم ، فكان ذلك المكتسب ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قنائة أوقاثين ، لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقنشاء النضيج ، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً ، فكان يهب الرجل مئة درهم كل سنة لحمله القنشاء إليه أحياناً (٣)

وقال الذهبي أيضاً حاكياً عن وراقة قال : وكنت اشتريت منزلاً بتسعمائة وعشرين درهماً فقال : لي إليك حاجة نقضيها ؟ قلت : نعم ونعمي عين . قال : ينبغي أن تصير إلى نوح بن أبي شداد الصيرفي وتأخذ منه ألف درهم وتحمله إلي ، ففعلت ، فقال لي : خذه إليك فاصرفه في ثمن المنزل فقلت :

(١) تعليق التعليق ( ٣٩٥ / ٥ ) .

(٢) هدى الساري ( ٥٠٤ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ٤٤٩ / ١٢ ) .

قد قبلته منك وشكرته . وأقبلنا على الكتابة ، وكنا في تصنيف « الجامع » فلما كان بعد ساعة ، قلت : عرضت لى حاجة لا أجتري رفعها إليك فظن أنى طمعت فى الزيادة ، فقال : لا تحتشمنى وأخبرنى بما تحتاج فإنى أخاف أن أكون مأخوذاً بسببك . قلت : كيف ؟ قال : لأن النبى ﷺ آخى بين أصحابه فذكر حديث سعد وعبد الرحمن . فقلت له : قد جعلتك فى حل من جميع ما تقول . ووهبت لك المال الذى عرضته عليّ عنيت المناصفة وذلك أنه قال : لى جوار وامرأة وأنت عزب ، فالذى يجب على أن أناصفك لنستوى فى المال وغيره ، وأربح عليك فى ذلك ، فقلت له : قد فعلت - رحمك الله - أكثر من ذلك إذا أنزلتنى من نفسك ما لم تنزل أحداً ، وحللت منك محل الولد ، ثم حفظ عنى حديثى الأول وقال : ما حاجتك ؟ قلت : تقضيها ؟ قال : نعم وأسر بذلك . قلت : هذا الألف تأمر بقبوله واصرفه فى بعض ما تحتاج إليه فقبل ، وذلك أنه ضمن لى قضاء حاجتى ، ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف « الجامع » وكتبنا منه ذلك اليوم شيئاً كثيراً إلى الظهر ، ثم صلينا الظهر وأقبلنا على الكتابة من غير أن نكون أكلنا شيئاً ، فرأى لما كان قرب العصر شبه القلق المستوحش ، فتوهم فى ملأ ، وإنما كان بى الحصر غير أنى لم أكن أقدر على القيام ، وكنت أتلوى اهتماماً بالحصر ، فدخل أبو عبد الله المنزل وأخرج إلى كاغدة فيها ثلثمائة درهم وقال : أما إذا لم تقبل ثمن المنزل ، فينبغى أن تصرف هذا فى بعض حوائجك ، فجهدنى فلم أقبل ، ثم كان بعد أيام كتبنا إلى الظهر أيضاً فناولنى عشرين درهماً فقال : ينبغى أن تصرف هذا فى شراء الخضر ونحو ذلك فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه وبعثت به إلى ، وأتيت فقال لى : بيض الله وجهك ليس فىك حيلة ، فلا ينبغى لنا أن نغنى أنفسنا . فقلت له : إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة ، فأى رجل يتر خادمه بمثل ما تبرئى ، لئن كنت لا أعرف هذا فلست أعرف أكثر منه (١)

## ٩ - قوة حفظه ونباهة خاطره وسيلان ذهنه

قال الحافظ : قال وراقة محمد بن أبي حاتم سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان : كان البخارى يختلف معنا إلى السماع وهو غلام لا يكتب ، حتى أتى على ذلك أياماً فكنا نقول له فقال : إنكما قد أكثرتما على فأعرضا على ما كتبتما . فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، ثم قال : أترون أنى أختلف هدرا وأضيع أيامي ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

وقال محمد بن خميرة : سمعت البخارى يقول : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح .

وقال ابن خزيمة : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخارى <sup>(١)</sup> .

وروى الحافظ بسنده إلى أبي أحمد بن عدى قال : سمعت عدة مشايخ يقولون : إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا لمتن الآخر ، ودفعوها إلى عشرة أنفس ، لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضر المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ، ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى : لا أعرفه ، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخارى يقول : لا أعرفه . فكان الفقهاء ممن حضر إلى المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : فهم

الرجل ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخارى : لا أعرفه فسأل عن آخر فقال : لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه . ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على لا أعرفه ، فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا وصوابه كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسناده إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى الأسانيد ، وأسانيدھا إلى متونها ، فأقر الناس له بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل . قلت : هنا نخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه مرة واحدة .

وقد روينا عن أبى بكر الكوذانى قال : ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع إليه إطلاعه فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة .

وقال أبو الأزهر : كان بسمرقند أربعمائة محدث فنجمعوا وأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل ، فأدخلوا إسناده الشام فى إسناده العراق ، وإسناده اليمن فى إسناده الحرم فما تعلقوا منه بسقطه <sup>(١)</sup> .

وروى الذهبى عن أحمد بن أبى جعفر والى بخارى : قال محمد بن

(١) بتصرف من تعليق التعليق ( ٥ / ٤١٤ ، ٤١٥ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٠٨ / ٤٠٩ ) وذكر قصة الامتحان ببغداد الخطيب ( ٢ / ٢٠ ، ٢١ ) تاريخ بغداد .

إسماعيل يوماً : رَبُّ حَدِيثٍ سَمِعْتَهُ بِالْبَصْرَةِ كَتَبْتَهُ بِالشَّامِ ، وَرَبُّ حَدِيثٍ سَمِعْتَهُ  
بِالشَّامِ كَتَبْتَهُ بِمِصْرَ . قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِكَمَالِهِ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ <sup>(١)</sup> .  
قال الخطيب : وسئل العباس بن الفضل الرازي الصائغ : أيهما أفضل .  
أبو زرعة أو محمد بن إسماعيل ؟ فقال : التقيت مع محمد بن إسماعيل بين  
حلوان وبغداد ، فرجعت معه مرحلة وجهدت أن أجيء بحديث لا يعرفه فما  
أمكنني ، وأنا أغرب على أبي زرعة عدد شعره <sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤١١ ) ، وتاريخ بغداد ( ١١ / ٢ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٢٣ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٣٤ ) ، وحلوان مدينة من مدن العراق  
وليست حلوان التي بمصر كما هو ظاهر .



## ١٠ - تمسكه بالسنن النبوية

قال الشيخ عبد السلام المباركفوري : مصدر السنة هو الرسول الكريم ﷺ ، وكان أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين إليهم المنتهى في حبهم له ﷺ واتباعهم لسنة ما لا يمكن أن يقاس أو يقدر ، وصحبهم التابعون رحمهم الله فاصطبغوا بصبغتهم ، وتخلقوا بأخلاقهم ، فكانوا يتفانون في إتياع سنة رسول الله ﷺ قريباً مما وجدوه لدى الصحابة رضی الله عنهم ، واستمر الحال على ذلك حتى آل الأمر إلى المحدثين ، ولا نستطيع أن ندعى أن جذوة الحب والحماس التي كانت تتوقد في الصحابة بقيت في جميع التابعين أو انتقلت إلى كل المحدثين ، ولكن مع ذلك فالحماس الذي كان يوجد لدى المحدثين للتمسك بالسنن والعمل بها يتعبّر من الغرائب في يومنا هذا .

قال إمام أحمد بن حنبل : « ما كتبت حديثاً إلا قد عملت به ، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً » .

وقال وكيع بن الحجاج - أحد كبار المحدثين - : « إذا أردت أن تحفظ حديثاً فأعمل به » .

وكان الإمام المحدث إبراهيم بن إسماعيل يقول : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به » .

فالرعى مع أنه ليس من اختصاص العلماء ولكن لما كنت السنة قد وردت به كان الإمام البخارى يركب إلى الميدان للتدرب على الرمى ، وكان من شدة مهارته لا يخطئ الهدف (١)

قال الوراق :

وكان يركب إلى الرمي كثيراً فما أعلم أنى رأيته فى طول ما صحبتته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق « قال وركبنا يوماً إلى الرمي ، ونحن بفرير ، فخرجنا إلى الدرب الذى يؤدى إلى الفرضه ، فجعلنا نرمي فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد ، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي ، وقال لنا : ارجعوا فرجعنا فقال لى : يا أبا جعفر لى إليك حاجة - وهو يتنفس الصعداء - فقلت : نعم . قال : تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول إنا أحللنا بالوتد فتحب أن تأذن لنا فى إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا ، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : أبلغ أبا عبد الله السلام ، وقل له : أنت فى حل مما كان منك فإن جميع ملكى لك الفداء ، فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سروراً كثيراً ، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث ، وتصدق بثلاثمائة درهم <sup>(١)</sup> . وكان قد بنى رباطاً خارج مدينة بخارى فكان الإمام البخارى يشترك مع العمال ينقل اللبن فيحمله على رأسه ويرفعه ويقدم للبنائين .

قال وراقة : كنا بفرير وكان أبو عبد الله يبنى رباطاً مما يلى بخارى ، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت أقول له : يا أبا عبد الله إنك تكفى ذلك فيقول هذا الذى ينفعنى <sup>(٢)</sup> .

ولا شك فى أنه كان يتأسى فى ذلك برسول الله ﷺ الذى شارك الصحابة الكرام فى حفر الخندق وكذلك بناء المسجد النبوى . وتقدم أنه كان يصلى فى

(١) هدى السارى ( ٥٠٤ ) وذكره الذهبى أيضاً فى سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٤٣ ، ٤٤٤ ) .

(٢) هدى السارى ( ٥٠٥ ) .

السحر إحدى عشرة ركعة وكان يوم أصحابه فى صلاة التراويح فى رمضان وما تقدم كذلك من زهده وورعه وكرم أخلاقه وسماحة نفسه لا شك أنه كان يقتدى فى ذلك كله بخاتم الأنبياء وإمام المرسلين ﷺ .

## ١١ - براعته في معرفة العلل (\*)

روى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي عيسى الترمذي قال : ولم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد ابن إسماعيل (١)

قال الذهبي : قال محمد بن أبي حاتم وسمعته يقول - يعني البخاري - كنت في مجلس الريابي فقال : حدثنا سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أنس أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في غسل واحد ، فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة وأبا الخطاب ، فقلت : أما أبو عروة فمَعْمَرٌ ، وأبو الخطاب قتادة ، قال : وكان الثوري فعولاً لهذا يكتنى المشهورين (٢)

وقال الحافظ : وقد أحمد بن حمدون الحافظ : رأيت البخاري في جنازة ، ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسناد والعلل والبخاري يمر فيه مثل السهم ، كأنه يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٣)

ولا شك في أن معرفة العلل من أشرف علوم الحديث ، ولا يقدر عليها إلا الجهابذة قال عبد الرحمن بن مهدي : « لان أعرف علة حديث هو عندى أحبُّ إليَّ من أن أكتب عشرين حديثاً ليس عندى » (٤) . وما يشهد لبراعة البخاري ومهارته في هذا الفن الغامض الدقيق ما قاله الترمذي في كتابه العلل

(\*) والعلة اصطلاحاً هي سبب غامض خفى يقدح في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منها .

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٢٧ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٣ ) وهو نوع من التدليس .

(٣) تغليف التعليق ( ٥ / ٤١٩ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٣٢ ) ، ونهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٦٩ ) .

(٤) كتاب معرفة علوم الحديث للإمام الحاكم أبي عبد الله ( ١١٢ ) مكتبة المتنبي .

وهو مطبوع مع جامعه :

« وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو مما استخرجته من كتاب التاريخ ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل ومنه ما ناظرت عبد الله بن عبد الرحمن وأبا زرعة ، وأكثر ذلك عن محمد وأقل شيء فيه عن عبد الله وأبي زرعة » <sup>(١)</sup> :

وقال الذهبي : قال محمد بن حمدون بن رستم : سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إليه البخاري فقال : « دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطيب الحديث في عله » <sup>(٢)</sup> .

(١) جامع الترمذي ( ١ / ٣٠٣ ) عارضة .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٣٢ ) .

## ١٢ - فقهه رحمه الله

لا شك في أن تراجم كتابه الصحيح خير دليل على فقهه ، وقد اشتهر من قول العلماء : « فقه البخاري في تراجمه » .

فقال الحافظ : قال يعقوب الدورقي : محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة .  
وقال بNDAR : هو أفقه خلق الله في زماننا .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر : لما مات أحمد بن حرب النيسابوري ركب محمد بن إسماعيل وإسحاق يثيعان جنازته فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور ينظرون ويقولون : محمد أفقه من إسحاق .

وقال أحمد بن إسحاق الرسماري : من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل <sup>(١)</sup> .

وقال الذهبي : قال محمد بن أبي حاتم سمعت حاشد بن عبد الله يقول : قال لي أبو مصعب الزهري : محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد ابن حنبل . فقليل له : جاوزت الحد . فقال الرجل : لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت : كلاهما واحد في الفقه والحديث <sup>(٢)</sup> .

قال البخاري : سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيا فسكت طويلا متفكرا ، فقلت أنا : قال النبي ﷺ : « إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تكلم » <sup>(٣)</sup> . وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث :

(١) باختصار من تغليق التعليق ( ٥ / ٤٠٤ - ٤٠٩ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٢٠ ) .

(٣) رواه البخاري ( ٩ / ٣٠٠ ) الطلاق ، ومسلم ( ٢ / ١٤٧ ) الإيمان .

العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه ، فقال إسحاق : قويتني وأفنتي به <sup>(١)</sup> .

وقال الحافظ : وسئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيل ، فقال قتيبة للسائل : « هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وعلى بن المديني قد ساقهم الله إليك وأشار إلى البخاري » <sup>(٢)</sup> .

(١) تغليق التعليق ( ٤٠٥ / ٥ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤١٤ ) .

(٢) هدى الساري ( ٥٠٦ ) .

## ١٢ - احتياظه فى جرح الرواة

قال بكر بن منير : سمعت أبا عبد الله البخارى يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحداً <sup>(١)</sup> .

قال الحافظ الذهبي : صدق رحمه الله ومن نظر فى كلامه فى الجرح والتعديل علم ورعه فى الكلام فى الناس وإنصافه فيمن يضعفه : فإنه أكثر ما يقول منكر الحديث ، سكتوا عنه ، فيه نظر ونحو هذا ، وقل أن يقول : كذاب ، أو كان يضع الحديث ، حتى أنه قال : إذا قلت فلان فى حديثه نظر فهو متهم وإيه ، وهذا معنى قوله : لا يحاسبنى الله أنى أغتبت أحداً ، وهذا هو والله غاية الورع .

قال محمد بن أبى حاتم الوراق : سمعته - يعنى البخارى - يقول : لا يكون لى خصم فى الآخرة فقلت : إن بعض الناس ينقمون عليك فى كتاب «التاريخ» ويقولون : فيه إغتياب الناس . فقال : إنما روينا ذلك رواية لم نقله من أنفسنا قال النبى ﷺ : «بئس مولى العشيرة» يعنى حديث عائشة <sup>(٢)</sup> وسمعته يقول : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٩) ، وتاريخ بغداد (٢ / ١٣) ، وطبقات الشافعية (٢٢٣ / ٢) ، (٢٢٤) .

(٢) رواه مالك (٢ / ٩٠٣ ، ٩٠٤) ، والبخارى (١٠ / ٤٦٧) الأدب : لم يكن النبى ﷺ فاجساً ولا متفحشاً ، ومسلم (١٦ / ١٤٤) البر والصلة : باب مداراة من يتقى فحشه .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٤١) .

وقال النووى فى الأعداء المبيحة للغيبة : الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجرحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب ضوئاً للشرعة - شرح النووى على صحيح مسلم (١٦ / ١٤٢) .



قال الشيخ عبد السلام المباركفوري : وخلاصة القول أن الجرح أمر صعب ويحتاج فيه أقصى درجة من التدوين والورع والتقوى والاحتياط قال ابن خلاد للإمام يحيى بن سعيد القطان : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ، فقال : لأن يكونوا خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول لى : لِمَ لَمْ تذب الكذب عن حديثى .

ومسلك الاحتياط الذى سلكه الإمام البخارى يدل على منزلته العيا من التدوين والإخلاص والورع ، فطريقته فى الجرح أنه يختار كلمات لا يمكن أى شخص أن يؤخذ بها المجروح ومن كلماته فى الجرح :  
« تركوه ، أنكره الناس ، المتروك ، الساقط ، فيه نظر ، سكتوا عنه ، وغيرها » .

ومن النادر أن يثبت عن البخارى أنه قال عن رجل بأنه وضاع أو كذاب ، ومن أشد كلمات الجرح عند البخارى أن يقول : منكر الحديث <sup>(١)</sup> .

## ١٤ - مكانة الإمام البخارى ومحبته فى قلوب المسلمين

وكما رزق الإمام البخارى هذه الملكة العظيمة فى الحفظ ، ورزق مع ذلك الفقه والزهد والورع والعبادة ، رزق كذلك المحبة والقبول فى قلوب الخلق ، فمالك قلوبهم ومصرفها كيف يشاء هو الذى وهبه هذه الموهوبات الجليلة والنعم الجزيلة ، وقد وعد الله عز وجل أهل الإيمان والعمل الصالح بالمودة والمحبة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [ مريم : ٩٦ ] .

قال بعض السلف : إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله عليه بقلوب أوليائه حتى يرزقهم مودته .

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى : كان الإمام البخارى كلما حل مدينة أو ترك أرضا كان المسلمون يزدحمون حوله حيث يفوق الوصف والبيان .

وكان الناس بعد ما سمعوا تلك الأوصاف الخارقة التى وهبها الله هذا الإمام الجليل من فقه عديم النظير ، وذاكرة خارقة وتبحر فى العلم يتمنون رؤيته ، فإذا نزل مكاناً تجمعوا حوله بحيث لا يكاد يوجد موضع قدم .

ولما رجع إلى بخارى غائداً من رحلته الدراسية نصبت له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور ، ونشر عليه الدرهم والدنانير .

وجرى له مثل هذا فى نيسابور قال الإمام مسلم : لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور مارات والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به . استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث .

ولما عقد الإمام البخارى مجلس الإملاء فى عاصمة العلم بغداد كان  
صالح بن محمد جزرة يستلمى له فقال :  
« بلغ من حضر المجلس عشرين ألفاً »  
وقال محمد بن عبد الرحمن الدغلى :  
كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخارى كتاباً فيه :  
المُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ  
وَلَيْسَ بِعَدِّكَ خَيْرٌ حِينَ تَفْتَقَدُ (١)

## ١٥ - ثناء العلماء عليه

وهذا الفصل يتضمن ثناء شيوخه عليه ، وثناء معاصريه ، وثناء من بعدهم من علماء الأمة ، ونبدأ بثناء شيوخه عليه لأن رأى الشيخ فى تلميذه يكون أصح من غيره ، فهو كثيراً ما يجد فرصاً لإختبار ذكائه وفهمه وحفظه .

### أ - ثناء شيوخه عليه

قال قتيبة بن سعيد : جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل ، وهو فى زمانه كم عمر فى الصحابة « أى فى العقل والمعرفة والجهر بالحق » .

وقال أيضاً : لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة لكان آية <sup>(١)</sup> .

وكان سليمان بن حرب وهو من شيوخ البخاري يقول له : « بين لنا غلط شعبه » <sup>(٢)</sup> .

ومن شيوخه أيضاً إسماعيل بن أبى أويس وكان البخاري ينتخب الأحاديث الصحيحة من كتابه فكان ينسخ هذه الأحاديث لنفسه وكان يقول باعتزاز : « هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي » <sup>(٣)</sup> .

واجتمع أهل الحديث يوماً فسألوا الإمام البخاري أن يكلم لهم إسماعيل ابن أبى أويس « وذلك لأن ابن أبى أويس كان يحترم الإمام البخاري أشد احترام » فحقق الإمام ما أرادوا ، وتقديراً لهذه الشفاعة دعا الشيخ الجارية فأمرها

(١) هدى السارى ( ٥٠٦ )

(٢) المصدر السابق ( ٥٠٦ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤١٩ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٢ / ١٩ ) ، هدى السارى ( ٥٠٦ ) .

أن تخرج صرة دنانير وقال : يا أبا عبد الله فرّقها عليهم ، قال فقلت : إنما أرادو الحديث قال : أجبتك إلى ما طلبوا من الزيادة غير أنني أحب أن يضم هذا إلى ذلك <sup>(١)</sup> .

وقال الذهبي : قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم : سمعت بعض أصحابي يقول : كنت عند محمد بن سلام فدخل عليه ابن إسماعيل فلما خرج . قال محمد بن سلام : كلما دخل عليّ هذا الصبي تحيّرت وألبس عليّ هذا الحديث وغيره ، ولا أزال خائفاً ما لم يخرج <sup>(٢)</sup> .

وقال محمد : وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بNDAR ، فلما وقع بصره عليّ ، قال : من أين الفتى ؟ قلت : من أهل بخارى فقال له : كيف تركت أبا عبد الله ؟ فأمسكت فقالوا له : يرحمك الله هو أبو عبد الله فقام وأخذ بيدي وعانقني وقال : « مرحباً بمن افتخر به منذ سنين » <sup>(٣)</sup> . وقال الفربري : رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخارى وسمعه يقول : « أنا من تلامذته » .

ومع أنه من شيوخ البخارى قد حدث عنه في الجامع الصحيح وقال : لم أر مثله ، وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل <sup>(٤)</sup> .

### ب - ثناء أقوانه ومهاطويه عليه

وقد جاء في المثل : « المعاصرة سبب المنافرة » ، هذا ظاهر بالاستقراء كما

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤١٩ ) ، وهدى السارى ( ٥٠٦ ) .  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤١٦ ، ٤١٧ ) ، وطبقات الشافعية الكبرى ( ٢ / ٢٢٢ ) .  
(٣) تاريخ بغداد ( ٢ / ١٧ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٢٣ ) .  
(٤) هدى السارى ( ٥٠٨ ) وذكر الذهبي في السير قوله : « أنا من تلامذة محمد بن إسماعيل » ( ١٢ / ٤٢٤ ) .

حدث بين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وابن حجر الهيتمي ، وابن حجر العسقلاني والعيني والسخاوي والسيوطي ، ونبوغ البخاري ، وتقدمه أقر له به شيوخه ، واعترفوا بفضلهم وعلمه ، وقدموه حتى على أنفسهم ، فلا عجب أن يُقرَّ له أقرانه بذلك مع أنه رحمه الله لم يسلم من حسد الحاسدين .

قال أبو حاتم الرازي : لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل ، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه <sup>(١)</sup> .

وقال الحسين بن محمد بن عبيد المعروف بالمعجلي : « ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل ، ومسلم حافظ ، ولكنه لم يبلغ محمد بن إسماعيل . وقال : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه ، وكان أمةً من الأم ديناً فاضلاً يحسن كل شيء ، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا <sup>(٢)</sup> » .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي صاحب السنن : قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق ، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل وقال أيضاً : هو أغلماً وأفقهنا وأكثرنا طلباً <sup>(٣)</sup> » .

ولما نعى الدرامي إلى الإمام البخاري أنشد هذا البيت وأطرق ملياً :  
 إِنَّ عِشْتَ تَفْجَعُ فِي الْأَحْيَةِ كُلِّهِمْ      وَبَقَاءَ نَفْسِكَ لَا أَبَالِكَ أَفْجَعُ  
 وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة :

ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل <sup>(٤)</sup> .  
 وقال أبو عمر الخفاف : هو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما

(١) تاريخ بغداد ( ٢٣/٢ ) ومقدمة الفتح ( ٥٠٩ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٣٠/٢ ) ، وهدي الساري ( ٥٠٩ ) .

(٣) مقدمة الفتح ( هدي الساري ) ( ٥٠٩ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ٢٧ / ٢ ) ، ومقدمة الفتح ( ٥٠٩ ) .

بعشرين درجة ، ومن قال فيه شيئاً فعليه منى ألف لعنة .  
وقال أيضاً : لو دخل من هذا الباب وهو يحدث لملئت رُعباً <sup>(١)</sup> .  
وهذا غييضٌ من فيض ، وقليل من كثير ، ولو تتبعنا أقوال أقرانه ومعاصريه  
لطال الفصل ، وفيما نقلناه كفاية للدلالة على تقدمه على أقرانه ومعاصريه ،  
ونسأل الله أن لا يحرمنا من رؤية هؤلاء الأعلام ، وأن يجمعنا بهم في دار  
السلام ، والله المستعان .

### ج - ثناء المتأخوين عليه

قال الحافظ : « ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه من تأخر عن عصره ،  
لفنى القرطاس ، ونفدت الأنفاس ، فذاك بحر لا ساحل له ، وإنما ذكرت  
كلام ابن عقده وأبى أحمد عنواناً لذلك ، وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه  
عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر ، لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا ،  
ووصفوا ما علموا ، بخلاف من بعدهم ، فإن ثناءهم ووصفهم مبني  
على الاعتماد على ما نقل إليهم ، وبين المقامين فرق ظاهر ، وليس العيبان  
كالخبر <sup>(٢)</sup> .

وقال العلامة العيني الحنفى :

الحافظ الحفيظ الشهير ، المميز ، النافذ ، البصير ، الذى شهدت بحفظه  
العلماء الثقات ، واعترف بضبطه المشايخ الأثبات ، ولم ينكر فضله علماء هذا  
الشأن ، ولا تنازع فى صحة تنقيده اثنان ، الإمام الهمام حجة الإسلام أبو عبد

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٢٧ ، ٢٨ ) ، ومقدمة الفتح ( ٥٠٩ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٣٥ ، ٤٣٦ )

(٢) هدى السارى ( ٥١٠ ) .

الله محمد بن إسماعيل البخارى (١).

وقال الشيخ نور الحق بن عبد الحى المحدث الدهلوى :

هو « الإمام البخارى » ما كان له مثيل فى عصره فى حفظ الأحاديث وإتقانها ، وفهم معانى الكتاب والسنة ، وحدة الذهن ، وجودة القريحة ووفور العفة ، وكمال الزهد ، وغاية الورع ، وكثرة الإطلاع على طرق الحديث وعللها ، ودقة النظر ، ودقة الاجتهاد واستنباط الفروع من الأصول (٢).

وقال النووى رحمه الله فى خاتمة ترجمته :

فهذه أحرف من عيون مناقبه وصفاته ، ودرر شمائله وحلاته ، أشرت إليها إشارات لكونها من المعروفات الواضحات ، ومناقبه لا تستقصى لخروجها على أن تخصى ، وهى منقسمة إلى حفظ ودراية ، واجتهاد فى التحصيل ورواية ، ونسك وإفادة ، وورع وزهادة ، وتحقيق وإتقان ، وتمكن وعرفان ، وأحوال وكرامات ، وغيرها من أنواع المكرمات ، ويوضح ذلك ما أشرت إليه من أقوال أعلام المسلمين ، أولى الفضل والورع والدين ، والحفاظ والنقاد المتفنيين الذين لا يجازفون فى العبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات ، وأقاويلهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة ، وفيما أشرت إليه أبلغ كفاية للمستبصر ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجمع بينى وبينه وجميع أحبائنا فى دار كرامته مع من اصطفاه ، وجزاه عنى وعن سائر المسلمين أكمل الجزاء ، وحباه من فضله أبلغ الحباء (٣).

وقال الحافظ ابن كثير فى ترجمته : البخارى الحافظ إمام أهل الحديث

(١) عمدة القارى ( ٥/١ ) نقلاً عن سيرة الإمام البخارى ( ١٢٠ ، ١٢١ ) .

(٢) سيرة الإمام البخارى ( ١٢١ ، ١٢٢ ) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ( ٧٦/١ ) .



فى زمانه ، والمقتدى به فى أوانه ، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يستقى بقرائه الغمام ، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه ، وكذلك سائر أهل الإسلام <sup>(١)</sup> .

وقال كذلك : ولو استقصينا ثناء العلماء عليه فى حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا ، ونحن على عجل من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان ، وقد كان البخارى رحمه الله فى غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد فى الدنيا دار الفناء والرغبة فى الآخرة دار البقاء <sup>(٢)</sup> .

وقال القسطلانى :

هو الإمام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام ، شيخ الحديث وطبيب علله فى القديم والحديث ، إمام الأمة عجباً وعرباً ، ذو الفضائل التى سارت السراة بها شرقاً وغرباً ، الحافظ الذى لا تغيب عنه شاردة ، والضابط الذى استوى لديه الطارفة والتالدة <sup>(٣)</sup> .

وقال الشيخ عبد السلام المباركفورى :

والحق أن الاستدلال على تبهر إمام المحدثين فى العلم وذكائه وقوه اجتهاده وسيلان ذهنه بأقوال المتأخرين ، كرفع السراج أمام الشمس .

قال السبكي :

عَلَا عَنِ الْمَدْحِ حَتَّى مَا يُزَانُ بِهِ

كَأَنَّ الْمَدْحَ مِنْ مِقْدَارِهِ يَضَعُ <sup>(٤)</sup>

(١) البداية والنهاية ( ١٢ / ٢٥ ) .

(٢) البداية والنهاية ( ١٢ / ٢٦ ) .

(٣) مقدمة إرشاد السارى ( ١٢٣ ) والطارفة المستحدثة والتالدة القديمة .

(٤) بتصرف من سيرة الإمام البخارى ( ١٢٢ ) .

## ١٦ - تلامذة إمام المحدثين

وقد مضى فى ذكر شيوخ البخارى رحمه الله أنه روى عن ألف وثمانين شيخاً ، ولا شك أن هذا من مناقبه لكثرة المنابع التى استقى منها ، وكلهم من أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون بأن الإيمان قول وعمل ، فإذا نظر إلى تلامذته الذين تربوا فى مجالسه ، واستفادوا منه ، ونهلوا من فيض علومه الزاخرة ، تبين لنا شرف هذا العالم الجليل ، وبركة حياته على الأمة ، كان الإمام الفريرى من أخص تلاميذ الإمام ، وكان يقول : « إن تسعين ألفاً من التلاميذ رويوا عنه صحيح البخارى ولا شك كذلك فى أن علو شأن التلاميذ مفخرة لأستاذهم فهذا شيخ المحدثين تلامذته هم أئمة الحديث الذى دوت كتبهم وبقي على مر الأزمنة ذكرهم ، وانتفع الناس فى كل زمان بعد زمانهم بجهدهم وعلومهم ، وتصدى الأئمة الأعلام ، وأرباب القلوب والأفهام لشرح مصنفاتهم ، وتقريب علومهم ، فمن تلامذة الإمام البخارى ، مسلم بن الحجاج ، والترمذى ، والنسائى ، والدارمى ، وكلهم من الفضل بمكان بحيث يصل فضلهم وفيضهم إلى كل مكان وصل إليه الإسلام .

وهذه تراجم مختصرة لبعض تلامذته رحمهم الله :

١ - مسلم بن الحجاج : ولد سنة ٢٠٢ هجرية ، وهو نيسابورى الأصل ، ارتحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر ، وهو صاحب الصحيح ، وله مصنفات أخرى يضيق المجال عن ذكرها ، توفى رحمه الله فى ٢٥ رجب سنة ٢٦١ هجرية فى بلدة نصر أباد من منطقة نيسابور<sup>(١)</sup> .

(١) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (١٠٠/١٣ - ١٠٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (٨٩/٢١ - ٩٢) ، وفيات الأعيان (١٩٤/٥ - ١٦٩) ، والبداءة والنهاية (١١/ ٣٣ - ٣٥) ، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٨) ، وشذرات الذهب (٢/ ١٤٤ ، ١٤٥) .

٢ - الإمام أبو عيسى الترمذى : ولد سنة ٢٠٦ هـ ، واسمه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الفتحاك السلمى ، ومن مؤلفاته جامع الترمذى وكتاب العلل والشمال ، توفي رحمه الله سنة ٢٧٩ هجرية <sup>(١)</sup> .

٣ - الإمام النسائى : واسمه أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن دينار ، ولد فى مدينة نساء من أرض خراسان سنة ٢١٥ ، وكان قد صنف كتابه السنن الكبرى فأهداه إلى أمير الرملة ، فقال له الأمير ، أكل ما فى هذا صحيح ، قال : لا . فقال له الأمير فجرد منه الأحاديث الصحيحة ، فاختر المجتبى وهو المعروف بسنن النسائى ، توفي رحمه الله سنة ٣٠٤ هـ <sup>(٢)</sup> .

٤ - الإمام الدارمى : ولد رحمه الله سنة ١٨١ هـ ، واسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن القفل بن بهرام بن عبد الصمد التيمى الدارمى ، وكنيته أبو محمد . ومن أهم مصنفاته السنن ، وقد اعتبره بعض المحققين من الكتب الستة بدلاً من ابن ماجه ، توفي رحمه الله يوم عرفه سنة ٢٥٥ هـ ودفن فى مرو <sup>(٣)</sup> .

٥ - محمد بن نصر المروزى : ولد سنة ٢٠٢ هـ وله قصة ذكرها الذهبى فى تذكرة الحفاظ : عن أبى العباس البكرى قال : « جمعت الرحلة بمصر بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد بن نصر والرويانى ، فأرملوا ولم يبق

(١) تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٦٣٣ ) ، وتهذيب التهذيب ( ٩ / ٣٨٧ - ٣٨٩ ) ، وميزان الاعتدال ( ٥ / ١٢٤ ) ، ووفيات الأعيان ( ٤ / ٢٧٨٨ ) ، وشذرات الذهب ( ٢ / ١٧٤ - ١٧٥ ) ، والكمال فى التاريخ لابن الأثير ( ٦ / ٧٥ ) .

(٢) الكامل فى التاريخ ، ووفيات الأعيان ( ١ / ٧٧ - ٧٨ ) ، والعيبر ( ٢ / ١٢٣ - ١٢٤ ) ، وتهذيب التهذيب ( ١ / ٣٦ - ٣٧ ) وشذرات الذهب ( ٢ / ٢٣٩ - ٢٤١ ) ، وتهذيب الكمال ( ١ / ٢٣ - ٢٥ ) ، وتذكرة الحفاظ ( ٢٠ / ٦٩٨ - ٧٠١ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ١٠ / ٢٩ - ٣٢ ) ، وتهذيب التهذيب ( ٥ / ٢٩٤ - ٢٩٦ ) ، وطبقات المفسرين ( ١ / ٢٣٥ ) ، وشذرات الذهب ( ٢ / ١٣٠ ) ، والعيبر ( ٢ / ٨ ) .

عندهم ما يقوتهم وجاعوا فاجتمعوا في بيت واقتنعوا على من خرجت عليه القرعة يسأل . قال : فخرجت على ابن خزيمة فقال : أمهلوني حتى أصلي وقام . قال : فإذا هم بشمعة وخصي من قبل أمير مصر ففتحوا فقال : أيكم محمد بن نصر فقبل . هذا فأخرج صرة فيها خمسون دينار فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم ابن جرير ؟ فأعطاه مثلها ، ثم كذلك بابن خزيمة وبالروائي ثم حدثهم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في النوم : أن المحامد جياع قد طروا ، فأنفذ إليكم هذه الصرر ، وأقسم عليكم إذا نفدت فعرفوني <sup>(١)</sup> .

٦ - الإمام أبو حاتم الرازي : ولد سنة ١٩٥ هـ ، وهو إمام في المرح والتعديل وتوفي سنة ٢٧٧ وله اثنتان وثمانون سنة <sup>(٢)</sup> .

٧ - الإمام ابن خزيمة : لقبه الحافظ الذهبي بإمام الأئمة وشيخ الإسلام . ولد سنة ٢٢٩ هـ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ ، واسمه أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة <sup>(٣)</sup> .

٨ - الإمام أبو عبد الله حسين بن إسماعيل المحاملي : كان فاضلاً صادقاً ديناً ثقة . ولد سنة ٢٣٦ هـ ، وتوفي ٣٣٠ هـ <sup>(٤)</sup> .

٩ - الإمام إبراهيم الحري : من أئمة الفقه واللغة والأدب . ولد سنة

(١) الترجمة في بغداد ( ٣ / ٣١٥ - ٣١٨ ) ، وتهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٩٢ - ٩٤ ) ، وطبقات الشافعية ( ٢ / ٢٤٦ - ٢٥٥ ) ، وشذرات الذهب ( ٢ / ٢١٦ - ٢١٧ ) وانظر قصبة المحمدين في تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٧٥٣ ) ، وانظر البداية والنهاية - ( ١١ / ١٤٩ ) .  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ٣ / ٢٤٧ - ٢٦٣ ) ، وتاريخ بغداد ( ٢ / ٧٣ - ٧٧ ) ، وتذكرة الحفاظ ( ٢ / ٥٦٧ - ٥٦٩ ) ، وطبقات الشافعية ( ٢ / ٢٠٧ - ٢١١ ) ، وشذرات الذهب ( ٢ / ١٧١ ) ، وتهذيب التهذيب ( ٩ / ٢٨ - ٣٠ ) .  
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٧٨ ) ، وتذكرة الحفاظ ( ٢ / ٧٢٠ - ٧٣٠ ) ، والبدية والنهاية ( ١١ / ١٤٩ ) ، وشذرات الذهب ( ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣ ) .  
(٤) تاريخ بغداد ( ٨ / ١٩ - ٢٣ ) ، والمسير ( ٢ / ٣٧ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٥ / ٢٥٨ - ٢٦٣ ) .

١٩٨ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٥ هـ <sup>(١)</sup> .

١٠ - الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم : كان ظاهري المذهب . ولد سنة ٢٣٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٧ هـ ، قاضي أصبهان وصاحب المصنفات <sup>(٢)</sup> .

١١ - الإمام الفريزي : وهو آخر من روى الصحيح عن إمام المحدثين ، ولد سنة ٢٣١ هـ ، وكان الناس يرحلون إليه من أنحاء الدنيا لأخذ صحيح البخاري عنه . توفي سنة ٣٣٠ هـ <sup>(٣)</sup> .

١٢ - الإمام صالح بن محمد جزره : كان قوي الحافظة . ومن شيوخه يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وسعيد بن سليمان ، وأبو نصر التمار وغيرهم توفي سنة ٢٩٣ هـ <sup>(٤)</sup> .

١٣ - الإمام أبو إسحاق بن معقل النسفي : كان يروى صحيح البخاري بسنده في بلاد المغرب ، توفي سنة ٢٩٥ هـ <sup>(٥)</sup> .

ومن تلامذة إمام المحدثين أيضاً : أبو بكر بن أبي الدنيا ( ت ٣٠٥ هـ ) صاحب التصانيف ، وأبو بكر البزار ( ت ٢٩٢ هـ ) صاحب التصانيف ، وموسى بن هارون الحمالي ( ت ٢٩٤ هـ ) ، ومحمد بن عبد الله المطين ( ت ٢٩٧ هـ ) ، وأبو بشر الدولابي ( ت ٣١٠ هـ ) وغيرهم كثير من أئمة الحديث وعلماء المسلمين وحمهم الله أجمعين وجمعنا بهم في عليين مع الأنبياء والشهداء والصالحين .

(١) تذكرة الحافظ ( ٢ / ٥٨٤ ، ٢٨٦ ) ، وطبقات السبكي ( ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧ ) ، وشذرات الذهب ( ١٩٠ / ٢ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ) ، والبداء والنهاية ( ١١ / ٧٩ ) .  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ) ، وتاريخ بغداد ( ١٢ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ) ، وتذكرة الحافظ ( ١ / ٣٩٢ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٥ / ١١٠ ) ، ووفيات الأعيان ( ٤ / ٢٩٠ ) ، وشذرات الذهب ( ٨٢٦ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ٩ / ٣٢٢ - ٣٢٨ ) ، والبداء والنهاية ( ١١ / ١٠٢ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٤ / ٢٣ - ٢٤ ) .

(٥) تذكرة الحافظ ( ٢ / ٦٨٦ - ٦٨٧ ) ، وشذرات الذهب ( ٢ / ٢١٨ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٤٩٣ ) .

## ١٧ - مؤلفات شيخ المحدثين

محمد بن إسماعيل البخاري

### ١ - الجامع الصحيح :

المسمى « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسنته وأيامه »

### ٢ - التاريخ الكبير :

وهو التاريخ الذي ألفه الإمام البخاري حينما كان في الثامنة عشرة من عمره ، وذلك في الليالي المقمرة في المسجد النبوي ، ولما رآه إسحاق بن راهوية فرح به وقدمه إلى الأمير عبد الله بن طاهر الخراساني وقال له : « ألا أريك سحراً »<sup>(١)</sup>.

### ٣ - التاريخ الأوسط :

ولم يطبع هذا الكتاب وانظر تاريخ التراث ( ١ / ٢٠٤ ) لفؤاد سركين ، وتاريخ الأدب لبروكلمان ( ٣ / ١٧٨ ) .

### ٤ - التاريخ الصغير :

وهو مطبوع من رواية أبي محمد زنجويه بن محمد النيسابوري ، وقد ذكر فيه الإمام البخاري مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وسنى وفاتهم ، ونسبهم ولقاءهم ، ويذكر في الغالب الجرح والتعديل ، ورتب تأليفه على السنوات فإذا انتهى من سنة وذكر وفيات مشاهيرها بدأ لسنة أخرى<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ( ٧/٢ ) .

(٢) سيرة البخاري ( ١٤٨ ، ١٤٩ ) .

#### ٥ - خلق أفعال العباد :

ورواه عن البخارى يوسف بن ربحان بن عبد الصمد والعلامة القزبرى ،  
وفيه رد على الجهمية والمعتلة بالآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين وهو  
مطبوع .

#### ٦ - كتاب الضعفاء الصغير :

وقد ذكر فيه أسماء الرواة الضعفاء مرتبة على حروف الهجاء ويبين غالب  
الأحيان أسباب الضعف ، مع ذكر شيوخ الراوى ، وقد روى هذا الكتاب عن  
البخارى أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى ، وأبو جعفر شيخ ابن  
سعيد ، وآدم بن موسى الخوارى وغيرهم .

#### ٧ - الأدب المفرد :

وهو يعلم أخلاق النبى ﷺ وآدابه وهو مطبوع مع شرح فضل الله الجيلانى  
باسم فضل الله الصمد فى توضيح الأدب المفرد . ط . المطبعة السلفية  
ومكتبتها .

#### ٨ - جزء رفع اليدين :

وهو من رواية محمود بن إسحاق الخزاعى وهو مطبوع بتحقيق العلامة أبى  
محمد بدیع الدين شاه الراشدى السندى ، باسم جلاء العينين بتخريج روايات  
البخارى فى جزء رفع اليدين ، وفى الهامش تعليقات للشيخ فيض الرحمن  
النورى وكذلك إرشاد الحق الأثرى .

#### ٩ - جزء القراءة خلف الإمام :

وهى رسالة مشهورة للإمام البخارى أثبت فيها القراءة خلف الإمام ورد  
على أدلة المخالفين .

## ١٠ - كتاب الكند :

ذكره أبو أحمد وهو ينقل منه في تصانيفه ، وقد طبع في حيدر أباد .  
وله رحمه الله كتب أخرى في عداد المخطوطات والمفقودات فمن ذلك  
كتاب المبسوط ، وكتاب بر الوالدين ، وكتاب الأشربة ، وكتاب الوجدان ،  
وكتاب الجامع الصغير في الحديث ، وكتاب قضايا الصحابة والتابعين ، وكتاب  
الرفاق ، وكتاب الفوائد ، والمسند الكبير ، والتفسير الكبير ، وكتاب الهبة ،  
وكتاب أسامي الصحابة ، وانظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين وتاريخ الأدب  
العربي لبروكلمان .



## ١٨ - فتنة البخارى ووفاته رحمه الله

قال الخطيب البغدادي :

أخبرني الحسن بن محمد الأشقر قال : أنبأنا محمد بن أبي بكر الحافظ قال : سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ يقول : سمعت أبا سعيد بكر بن منير بن خليل بن عسكر يقول : بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والى بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال محمد بن إسماعيل لرسوله : أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرنى فى مسجدى أو فى دارى ، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامتنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأننى لا أكتم العلم لقول النبى ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار » <sup>(١)</sup> . قال فكان سبب الوحشة بينهما هذا <sup>(٢)</sup> .

وقال الحاكم :

سمعت محمد بن العباسى الضبى يقول : سمعت أبا بكر بن أبي عمرو يقول : كان سبب مفارقه أبى عبد الله البخارى البلد أن خالد بن أحمد خليفة ابن طاهر سأله أن يحضر منزله فيقرأ التاريخ والجامع على أولاده فامتنع من ذلك . وقال : لا يسعنى أن أخص بالسماع قوماً دون قوم آخرين فاستعان خالد

(١) رواه الترمذى ( ١١٨ / ١٠ ) العلم ، وأبو داود ( ٣٦٤١ ) العلم ، وابن ماجه ( ٢٦٦ ) المقدمة ، وحسنه الترمذى وصححه الألبانى ، وقال عبد القادر الأرناؤوط وله شاهد عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٣٣ ) ، وذكره الذهبى فى سيره ( ١٢ / ٤٦٤ ) ، والحافظ فى هدى السارى ( ٥١٨ ) .

بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلموا في مذهبه فنفاه عن البلد قال : فأما خالد فلم يأت عليه أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليه وهو على أتان ، وأشخص على أكاف ثم صار عاقبه أمره إلى الذل والحبس ، وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلى في أهله فرأى فيها ما يجبل عن الوصف ، وأما فلان فإنه ابتلى في أولاده فأراه الله فيهم البلاء <sup>(١)</sup>

وقال ابن عدى :

سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار يقول : خرج البخاري إلى بخرتنك قرية من قرى سمرقند وكان له بها أقباء فنزل عندهم قال : فسمعت ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه : اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك قال : فما تم الشهر حتى قبضه الله <sup>(٢)</sup> وقال محمد بن أبي حاتم الوراق :

سمعت غالب بن جبriel - وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك - يقول : إنه أقام فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب وتهايا للركوب ، وليس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليتركها وأنا أخذ بعضده قال : أرسلوني فقد ضعفت فأرسلناه ، فدعا دعوات ثم اضطجع فقضى ، ثم سال منه عرق كثير ، وكان قد قال لنا : كفوني من ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة . قال ففعلنا أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته وفاح من تراب قبره

(١) هدى السارى ( ٥١٨ ) ، وتاريخ بغداد ( ٢ / ٣٣ ، ٣٤ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٦٤ - ٤٦٥ ) .

(٢) هدى السارى ( ٥١٨ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٦٦ ) ، وتاريخ بغداد ( ٢ / ٣٤ ) .

رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه مشبكاً<sup>(١)</sup> .

وروى الخطيب البغدادي :

عن عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال : رأيت النبي ﷺ في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع - ذكره - فسلمت عليه فرد السلام . فقلت : ما وقوفك يا رسول الله ؟ فقال : أنتظر محمد بن إسماعيل البخارى فلما كان بعد أيام بلغنى موته فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التى رأيت النبي ﷺ فيها<sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ الذهبي : قال ابن عدى :

سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخارى يقول : توفى البخارى ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء ، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين ، وعاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً<sup>(٣)</sup> .

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى :

وهكذا غربت تلك الشمس التى أنارت الدنيا بضياؤها الباهر ، ووارى التراب حامل العلوم النبوية ، وخادم أحاديث الرسول ﷺ ، الذى أثقل كواهل أهل الدنيا بإحسانه العظيم إليهم ، نعم قد وراه التراب وكأن الدنيا

(١) هدى السارى ( ٥١٨ ) ، وذكره الذهبي في السير مع زيادات ولا شك أن أخذ التراب تبركاً لا يجوز فلا يتبرك بأحد بعد رسول الله ﷺ .

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٣٤ ) ، وذكره الحافظ في هدى السارى ( ٥١٨ ) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٦٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٤٦٨ ) ، وانظر تاريخ بغداد ( ٢ / ٣٤ ) وتهذيب الأسماء واللغات ( ١ / ٦٨ ) ، ووفيات الأعيان ( ٤ / ١٩٠ ) .

قد أظلمت وما أحسن ما نظم به بعض الشعراء مبيناً تاريخ ميلاده ووفاته ومدة حياته فقال :

كَانَ الْبُخَارِيُّ حَافِظًا وَمُحَدِّثًا	جَمَعَ الصَّحِيحَ مُكْمَلِ التَّحْزِيرِ
مِثْلَ صِدْقٍ وَمُدَّةَ عُمُرِهِ	فِيهَا حَمِيدٌ وَانْقِضَى فِي نَوْرِ <sup>(١)</sup>
١٩٤	٦٢      ٢٥٦

انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر لنا جمعه في ترجمة هذا الإمام الهمام والله أسأل أن يعم نفعه وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه .

من أعلام السلف

٣٥

مسلم بن حجاج النيسابوري



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري ، وكنيته أبو الحسين . الإمام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق .  
**مولده :** قال الذهبي : ولد سنة أربع ومائتين وما أظنه إلا ولد قبل ذلك <sup>(١)</sup> .

**صفته :** قال الحاكم : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : رأيت شيخاً حسن الوجه والثياب ، وعليه رداء حسن وعمامة قد أرخاها بين كتفيه ، فقليل : هذا مسلم فتقدم أصحاب السلطان فقالوا : قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين ، فقدموه في الجامع ، فكبر وصلى بالناس <sup>(٢)</sup> .

وقال الحاكم كذلك : وسمعت أبي يقول : رأيت مسلم بن الحجاج يحدث في خان محمش ، فكان تام القامة ، أبيض الرأس واللحية ، يرخى طرف عمامته بين كتفيه <sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ الإسلام ( ٢٠ / ١٨٣ ) .  
 (٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٦٦ ) .  
 (٣) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٧٠ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

عن أحمد بن سلمة قال : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما <sup>(١)</sup> .

وعن الحسين بن منصور قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وذكر مسلم بن الحجاج فقال : مراد كابين بوذ . قال المنكدرى وتفسيره : أى رجل كان هذا <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عمرو أحمد بن المبارك : سمعت إسحاق بن منصور يقول لمسلم ابن الحجاج : لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين <sup>(٣)</sup> .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : كان ثقة من الحفاظ ، كتبت عنه بالرى وسئل أبى عنه فقال : صدوق <sup>(٤)</sup> .

وقال أبو قريش الحفاظ : سمعت محمد بن بشار يقول : حفاظ الدنيا أربعة : أبو زرعة بالرى ، ومسلم بنيسابور ، وعبد الله الدارمى بسمرقند ، ومحمد ابن إسماعيل ببخارى .

وقال أبو عمرو بن حمدان : سألت ابن عقدة الحفاظ عن البخارى ومسلم أيهما أعلم ؟ فقال : كان محمد عالماً ، ومسلم عالماً .

فكررت عليه مراراً ثم قال : يا أبا عمرو قد يقع لمحمد بن إسماعيل الغلط فى أهل الشام ، وذلك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها فريما ذكر الواحد منهم

(١) تاريخ بغداد ( ١٣ / ١٠١ )

(٢) تاريخ بغداد ( ١٣ / ١٠٢ )

(٣) تاريخ الإسلام ( ٢٠ / ١٨٤ )

(٤) تاريخ الإسلام ( ٢٠ / ١٨٥ )



بكنيته ، ويذكره في موضع آخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان ، وأما مسلم فقلّ ما يقع له من الغلط في العلل ، لأنه كتب المسانيد ، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل <sup>(١)</sup> . وقوله : « المسانيد » أى الأحاديث المسنده ، وذلك لأن البخارى رحمه الله أكثر في صحيحه من المقاطيع والموقوفات والأحاديث المعلقة ، وذلك لأن البخارى رحمه الله قصد مع تجريد الصحيح استنباط الأحكام الفقهية والنكت الحكمية ، أما مسلم رحمه الله فقصد جمع جملة أحاديث صحيحة لتكون مرجع الناس ، فقسم كتابه إلى كتب ، ولم يقسم كل كتاب إلى أبواب ، فالبخارى رحمه الله كان يستأنس بالموقوفات والمقطوعات والمعلقات لما يذهب إليه من آراء فقهيه فرحم الله الجميع .

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم : إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال : محمد بن يحيى الذهلى ، ومسلم بن الحجاج ، وإبراهيم بن أبى طالب <sup>(٢)</sup> .

وقال النووى رحمه الله : واجمعوا على جلالته وإمامته وعلو مرتبته فى هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها ، ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعة وحذقه وقعوده فى علوم الحديث واضطلاعه منها وتفنته فيها كتابه الصحيح الذى لم يوجد فى كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب ، وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان إلى أن قال رحمه الله :

واعلم أن مسلماً رحمه الله أحد أعلام أئمة هذا الشأن وكبار المبرزين فيه ، وأهل الحفظ والإتقان ، والرحالين فى طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان ، والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان ، والمرجوع إلى

(١) تاريخ بغداد ( ١٣ / ١٠٢ ) ، وتاريخ الإسلام ( ٢٠ / ١٨٥ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٦٥ ) ، وتاريخ الذهبى ( ٢٠ / ١٩٥ ) .

كتابه ، والمعتمد عليه في كل الأزمان <sup>(١)</sup> .

ونقل أبو عبد الله الحاكم أن محمد بن عبد الوهاب الفراء قال : كان مسلم بن الحجاج من علماء الناس ومن أوعية العلم <sup>(٢)</sup> .  
وقال الحافظ : ثقة حافظ إمام مُصَنِّف <sup>(٣)</sup> .

(١) تهذيب الأسماء واللغات ( ٩٠ / ٢ ، ٩١ ) ونقله أيضاً في مقدمة شرح صحيح مسلم ( ١٠ / ١ ) باختصار .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٧٩ ) .

(٣) تقريب التهذيب ( ٥٢٩ ) ترجمة رقم ٦٦٢٣ ط . دار الرشيد بتحقيق عوامة .

## ٣ - أهمية صحيحه الجامع

**قال النووى رحمه الله :** ومن حقق نظره فى صحيح مسلم رحمه الله واطلع على ما أودعه فى إسناده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقة من نفائس التحقيق وجواهر التدقيق وأنواع الورع والاحتياط ، والتحرى فى الروايات ، وتلخيص الطرق واختصارها ، وضبط متفرقها وانتشارها ، وكثرة إطلاعه واتساع روايته وغير ذلك مما فيه من المحاسن والأعجوبات واللطائف الظاهرات والخفيات ، علم أنه إمام لا يلحقه من بعد عصره ، وقل من يساويه بل يدانيه من أهل دهره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم<sup>(١)</sup>.

**وقال الحافظ رحمه الله :** حصل لمسلم فى كتابه حظ عظيم مفرط ، لم يحصل لأحد مثله ، بحيث أن بعض الناس كان يفضل على « صحيح » محمد ابن إسماعيل ، وذلك لما اختص به من جمع الطرق ، وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى ، من غير تقطيع ولا رواية بمعنى ، وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريين ، فلم يبلغوا شأوه فسبحان المعطى الوهاب<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن كثير رحمه الله فى ترجمة الإمام مسلم :** صاحب الصحيح الذى هو تلو صحيح البخارى عند أكثر العلماء ، وذهبت المغاربة وأبو على النيسابورى إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فإن أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شئ من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد ولا يقطعها كتقطع البخارى لها فى

(١) تهذيب الأسماء واللغات ( ٢ / ٩١ ، ٩٢ ) ، ومقدمة صحيح مسلم ( ٨ / ١١ ) .

(٢) تهذيب التهذيب ( ١٠ / ١١٤ ) .

الأبواب ، فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخارى واختياره فى « الصحيح » لها ما أورده فى « جامعة » معاصرة الراوى لشيخه وسماعه منه <sup>(١)</sup>

وقال الذهبي رحمه الله : ليس فى « صحيح » مسلم من العوالى إلا ما قل كالقنبنى عن أفلح بن حميد ، ثم حديث حماد بن سلمة وهمام ومالك والليث وليس فى الكتاب حديث عالٍ لشعبة ولا للثورى ولا لإسرائيل ، وهو كتاب نفيس كامل فى معناه ، فلما رآه الحفاظ أعجبوا به ولم يسموه لتزوله ، فمدوا إلى أحاديث الكتاب فساقوها من مروياتهم عالية بدرجة وبدرجتين ونحو ذلك ، حتى أتوا على الجميع هكذا وسموه « المستخرج على صحيح مسلم » فعل ذلك عدة من فرسان الحديث منهم أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء وأبو هوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرايينى وزاد فى كتابه متوناً معروفة بعضها ليين ، والزاهد أبو جعفر أحمد بن حمدان الحيرى ، وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه ، وأبو حامد أحمد بن محمد الشاركي الهروى ، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقى ، والإمام أبو على الماسرجسى ، وآخرون لا يحضرنى ذكرهم الآن <sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى أول « الأطراف » له بعد أن ذكر « صحيح البخارى » ثم سلك سبيله مسلم بن الحجاج فأخذ فى تخريج كتبه وتأليفه وترتيبه على قسمين وتصنيفه ، وقصد أن يذكر فى القسم الأول أحاديث أهل الاتقان ، وفى القسم الثانى أحاديث أهل الترو الصدق الذين لم يبلغوا درجته المثبتين ، فحالت المنية بينه وبين هذه الأمنية ، فمات قبل استتمام كتابه غير أن كتابه مع إعوازه اشتهر وانتشر <sup>(٣)</sup>

(١) البداية والنهاية ( ١١ / ٣٣ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٦٩ ، ٥٧٠ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٧٣ ، ٥٧٤ ) .

وقال الحاكم : أراد مسلم أن يخرج الصحيح على ثلاثة أقسام وعلى ثلاث طبقات ، من الرواة وقد ذكر هذا في صدر خطبته فلم يُقدِّر له إلا الفراغ من الطبقة الأولى ومات ، ثم ذكر الحاكم مقالة هي مجرد دعوى فقال : إنه لا يذكر من الأحاديث إلا ما رواه صحابي مشهور له روايان ثقتان فأكثر ، ثم يرويه عنه أيضاً روايان ثقتان فأكثر ، ثم كذلك من بعدهم فقال : أبو علي الجبائي : المراد بهذا أن هذا الصحابي أو هذا التابعي قد روى عنه رجلان خرج بهما عند حدّ الجهالة .

**قال القاضي عياض :** والذي تأوله الحاكم على مسلم من احترام المنية له قبل استيفاء غرضه إلا في الطبقة الأولى فأنا أقول : إنك إذا نظرت في تقسيم مسلم في كتابه الحديث على ثلاث طبقات من الناس على غير تكرار ، فذكر أن القسم الأول حديث الحفاظ ثم قال إذا انقضى هذا أتبعه بأحاديث من لم يوصف بالحدق والإتقان ، وذكر أنهم لاحقون بالطبقة الأولى ، فهؤلاء مذكورون في كتابه لمن تدبر الأبواب ، والطبقة الثانية قوم تكلم فيهم قوم وزكاهم آخرون ، فخرج حديثهم عن ضعف أو أنهم بيدعة وكذلك فعل البخاري .

ثم قال القاضي عياض : فعندى أنه أتى بطبقاته الثلاث في كتابه ، وطرح الطبقة الرابعة .

**قال الذهبي :** بل خرج أحاديث الطبقة الأولى وحديث الثانية إلا النزر القليل مما يستنكره لأهل الطبقة الثانية ، ثم خرج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث ليست بالكثيرة في الشواهد والاعتبارات والمتابعات ، وقلَّ أن خرجَ لهم في الأصول شيئاً ، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة في « الصحيح » لجاء الكتاب في حجم ما هو مرة أخرى ، ولنزل كتابه بذلك الاستيعاب عند رتبة الصحة وهم كعطاء بن السائب ، وليث ، ويزيد بن أبي زياد ، وأبان بن

صمعة ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وطائفة أمثالهم ، فلم يخرج لهم إلا الحديث بعد الحديث ، إذا كان له أصل ، وإنما يسوق أحاديث هؤلاء ويكثر منها أحمد في مسنده ، وأبو داود ، والنسائي ، وغيرهم ، فإذا انحطوا إلى إخراج أحاديث الضعفاء الذين هم أهل الطبقة الرابعة اختاروا منها ولم يستوعبوها على حسب آرائهم واجتهاداتهم في ذلك .

وأما أهل الطبقة الخامسة كمن أجمع على إطراره وتركه لعدم فهمه وضبطه أو لكونه مهتماً فيندر أن يخرج لهم أحمد والنسائي ، ويورد لهم أبو عيسى فيبينه بحسب اجتهاده لكنه قليل ، ويورد لهم ابن ماجه أحاديث قليلة ولا يبين والله أعلم ، وقُل ما يورد منها أبو داود فإن أورد بيته في غالب الأوقات .

وأما أهل الطبقة السادسة كغلاة الرافضة ، والجهمية الدعاة ، وكالكذابين والوضاعين ، وكالمتروكين المشهورين ، كعمر بن الصباح ، ومحمد المصلوب ، ونوح بن أبي مريم ، وأحمد الجويباري ، وأبي حذيفة البخاري فما لهم في الكتب حرف ما عدا عمر ، فإن ابن ماجه خرّج له حديثاً واحداً فلم يصب ، وكذا خرّج ابن ماجه للواقدي حديثاً واحداً ، فدلّس اسمه وأبهمه <sup>(١)</sup> .

وقال النووي : وما جاء في فضل صحيح مسلم ما بلغنا عن مكّي بن عبدأن أحد حفاظ نيسابور أنه قال : سمعت مسلم بن الحجاج ( رحمه الله ) يقول : لو أن أهل الحديث يكتبون مائتي سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند يعنى صحيحه .

قال وسمعت مسلماً يقول : عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي

فكل ما أشار أن له علة تركته ، وكل ما قال أنه صحيح وليس له علة  
خرجته .

وذكر غيره ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بإسناده عن مسلم  
رحمه الله قال : صنف هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث  
مسموعة <sup>(۱)</sup> .

(۱) سير أعلام النبلاء ( ۱۲ / ۵۷۴ - ۵۷۶ ) .

(۱) مقدمة شرح النووي لصحيح مسلم ( ۱ / ۳۴ ) ط . قرطبة .

## ٤ - دقته رحمه الله وشدة تحريه

## فى الصحيح الجامع

قال النووى رحمه الله ما ملخصه : سلك مسلم رحمه الله فى صحيحه طرّاً بالغة فى الاحتياط والإتقان والورع والمعرفة وذلك مصرح بكمال ورعه ، وتمام معرفته ، وغزارة علومه ، وشدة تحقيقه بحفظه ، وتعمده فى هذا الشأن ونمكته من أنواع معارفة ، وتبريزه فى صناعته ، وعلو محله فى التمييز بين دقائق علومه ، لا يهتدى إليها إلا أفراد فى الأعصار ، فرحمه الله ورضى عنه ، وأنا أذكر أحرفاً من أمثلة ذلك تنبهاً بها على ما سواها ، إذا لا يعرف حقيقة حاله إلا من أحسن النظر فى كتابه ، مع كمال أهليته ومعرفته بأنواع العلوم التى يفتقر إليها صاحب هذه الصناعة ، كالفقه ، والأصولين والعربية ، وأسماء الرجال ، ودقائق علم الأسانيد ، والتاريخ ومعاشرة أهل هذه الصناعة ، ومباحثتهم ، ومع حسن الفكر ، ونباهة الذهن ، ومداومة الاشتغال به وغير ذلك من الأدوات التى يفتقر إليها .

فمن تحرى مسلم رحمه الله اعتناؤه بالتمييز بين حدثاً وأخبرنا ، وتقبيده ذلك على مشايخه وفى روايته ، وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما ، وأن حدثنا لا يجوز إطلاقه إلا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة ، وأخبرنا لما قرئ على الشيخ ، وهذا الفرق هو مذهب الشافعى وجمهور أهل العلم بالمشرق .

ومن ذلك إعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة ، كقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان ، قال : أو قال : حدثنا فلان ، وكما إذا بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث أو صفة الراوى ، أو نسبته أو نحو ذلك ، فإنه يبينه ، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى ، وربما كان فى بعضه اختلاف فى المعنى ،



ولكن كان خفياً لا يتفطن له إلا ماهر في العلوم التي ذكرتها في أول الفصل مع إطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء .

ومن ذلك تحريه في رواية صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة كقوله : حدثنا محمد بن رافع قال حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن همام قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ : « إذا توضأ أحدكم فليستثنق » الحديث .

ومن ذلك تحريه في قوله : حدثنا عبد الله مسلمة حدثنا سليمان - يعني ابن بلال عن يحيى وهو ابن سعيد فلم يستجز - رضى الله عنه <sup>(١)</sup> . : سليمان ابن بلال عن يحيى بن سعيد لكونه لم يقع في روايته منسوباً فلو قاله منسوباً لكان مخبراً عن شيخه أنه أخبره بنسبه .

من ذلك احتياطه في تلخيص الطرق وتحول الأسانيد مع إيجاز العبارة وكمال حسناتها ، ومن ذلك حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم وأصول القواعد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك <sup>(٢)</sup> .

(١) الأولى أن يقول رحمه الله ويقتصر الترضى على الصحابة رضى الله عنهم .

(٢) باختصار من مقدمة الإمام النووي لشرح صحيح مسلم ( ١ / ٤٣ ، ٤٤ ) .

## ٥ - الجواب على من عاب على مسلم إخراجه عن جماعة ممن تكلم فيهم بالضعف

قال النورى رحمه الله ما ملخصه : أعاب عائبون مسلماً بروايته فى صحيحه عن جماعة من الضعفاء والمتوسطين الواقعين فى الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح ، ولا عيب عليه فى ذلك ، بل جوابه من أوجه ذكرها الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله :

**إحداها :** أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف عند غيره ثقة عنده ، ولا يقال الجرح مقدم على التعديل ؛ لأن ذلك فيمّا إذا كان الجرح ثابتاً مفسر السبب ، وإلا فلا يقبل الجرح إذا لم يكن كذاً .

وقد قال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى وغيره : ما احتج البخارى ومسلم وأبو داود به من جماعة علم الطعن فيهم من غيرهم محمول على أنه لم يثبت الطعن المؤثر مفسر السبب .

**الثاني :** أن يكون ذلك واقعاً فى المتابعات والشواهد لا فى الأصول ، وذلك بأن يذكر الحديث أولاً بإسناد نظيف رجاله ثقات ويجعله أصلاً ، ثم يتبعه بإسناد آخر أو أسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة أو لزيادة فيه تنبه على فائدة فيما قدمه .

**الثالث :** أن يكون ضعف الضعيف الذى احتج به طراً بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه ، فهو غير قادح فيما رواه من قبل فى زمن استقامته ، كما فى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب فذكر الحاكم أبو عبد الله أنه اختلط بعد الخمسين ومائتين بعد خروج مسلم من مصر ، فهو فى ذلك كسعيد بن أبى عروبة ، وعبد الرازق وغيرهما ، ممن

اختلط آخرا ولم يمنع ذلك من صحة الاحتجاج بما أخذ عنهم قبل ذلك .  
**الوابح** : أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده ، وهو عنده من رواية الثقات  
 نازل ، فيقتصر على العالي ولا يطول بإضافة النازل إليه مكتفياً بمعرفة أهل  
 الشأن في ذلك <sup>(١)</sup> .

(١) مقدمة الإمام النووي لشرح صحيح مسلم ( ١ / ٤٧ ، ٤٨ ) .

## ٦ - بين صحيح البخارى وصحيح مسلم

قال النووى رحمه الله تعالى :

اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز « الصحيحان البخارى ومسلم » ، وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث ، وهذا الذى ذكرناه من ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى قاله الجماهير وأهل الإتقان والحدق ، والغوص على أسرار الحديث ، وقال أبو على الحسين ابن على النيسابورى الحافظ شيخ الحاكم أبى عبد الله بن البيع : كتاب مسلم أصح ووافقه بعض شيوخ المغرب ، والصحيح الأول ، وقد قرر الإمام الحافظ الفقيه النظار أبو بكر الإسماعيلى رحمه الله فى كتابه « المدخل » ترجيح كتاب البخارى ، وروينا عن الإمام أبى عبد الرحمن النسائى رحمه الله أنه قال : ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخارى .

قال النووى : ومن أخضر ما ترجح به إتفاق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم وأعلم بصناعة الحديث منه ، وقد انتحب علمه عليه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب ، وبقي فى تهذيبه وانتقائه ست عشرة سنة ، وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة .

ومما ترجح به كتاب البخارى أن مسلماً رحمه الله كان مذهبه بل نقل الإجماع فى أول « صحيحه » أن الإسناد المعتبر له حكم الموصول به : سمعت بمجرد كون المعتبر عنه كائناً فى عصر واحد ، وإن لم يثبت اجتماعها ، والبخارى لا يحمله على الإتصال حتى يثبت اجتماعها ، وهذا المذهب يرجح كتاب البخارى .

وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهي كونه أسهل تناولاً من حيث أنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به ، جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخاري فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة في أبواب متفرقة متباعدة ، وكثير منها يذكره في غير بابها الذي يسبق إلى الفهم أنه أولى به وذلك لدقيقه يفهمها البخاري منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخاري من طرق هذا الحديث <sup>(١)</sup> .

وقال السيوطي رحمه الله : في تفسير قول النووي رحمه الله في التقريب والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ، وقيل : مسلم أصح والصواب الأول : وعليه الجمهور لأنه أشد إتصلاً وأتقن رجلاً ، وبيان ذلك من وجوه :

**أحدها :** أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضعة وثلاثون رجلاً ، المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلاً ، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرين ، المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون .

ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمن تكلم فيه وإن لم يكن ذلك الكلام قادحاً .

**ثانيها :** إن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثروا من تخريج أحاديثهم ، وليس لواحد منهم نسخة كثيرة أخرجها كلها أو أكثرها إلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس ، بخلاف مسلم فإنه أخرج أو أكثر تلك ، كأبي الزبير عن جابر ، وسهيل عن أبيه ، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه ؛ وحماة بن

سلمة عن ثابت ، وغير ذلك .

**ثالثها :** إن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيهم أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وعرف جيدها من غيره ، بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين فمن بعدهم ، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم عنهم .

**رابعها :** إن البخارى يخرج من الطبقة الأولى البالغة في الحفظ والإنقان ، ويخرج عن طبقة تليها في الثبوت وطول الملازمة إتصلاً وتعليقاً ، ومسلم يخرج عن هذه الطبقة أصولاً كما قرره الحازمى .

**خامسها :** إن مسلماً يرى أن للمنعن حكم الإتصال إذا تعاصرا وإن لم يثبت اللقى ، والبخارى لا يرى ذلك حتى يثبت كما سيأتى ، وربما أخرج الحديث الذى لا تعلق له بالباب أصلاً إلا ليبين سماع راوٍ من شيوخه ، لكونه أخرج له قبل ذلك معنعناً .

**سادسها :** إن الأحاديث التى انتقدت عليهما نحو مائتى حديث وعشرة أحاديث كما سيأتى أيضاً ، أختص البخارى منها بأقل من ثمانين ، ولا شك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر .

وقال المصنف فى شرح البخارى : من أخص ما يرجح به كتاب البخارى اتفاق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم ، وأصدق بمعرفة الحديث ودقائقه ، وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب .

وقال شيخ الإسلام : اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم فى العلوم ، وأعرف بصناعة الحديث ، وأن مسلماً تلميذه وخريجه ، ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره ، حتى قال الدارقطنى : لولا البخارى ما راح

مسلم ولا جاء <sup>(١)</sup> . ونختم هذا الفصل بقول بعضهم :  
 تشاجر قوم في البخاري ومسلم لأيهما في الفضل كان التقديم  
 فقلت لقد فاق البخاري صحة كما فاق في حسن الصناعة مسلم <sup>(٢)</sup>

(١) تدريب الراوي (١ / ٩١ - ٩٣) .  
 (٢) نقلاً عن مقدمة خلاصة القول المفهم على تراجم رجال جامع الإمام مسلم (١٤/١) لمحمد الأنيوبي .

## ٧ - شيوخه وتلامذته رحمه الله

## شيوخه :

قال الخطيب البغدادي رحمه الله : رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر  
وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري ، وقتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهوية  
ومحمد بن عمرو زنجياً ، ومحمد بن مهران الحمال ، وإبراهيم بن موسى  
الفراء ، وعلى بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، وعبيد الله القواريري وخلف بن  
هشام وسريج بن يونس وعبد الله بن مسلمة القعنبي وأبا الربيع الزهراني ، وعبيد  
الله بن معاذ بن معاذ ، وعمر بن حفص بن غياث وعمرو بن طلحة القناد ،  
ومالك بن إسماعيل النهدي ، وأحمد بن يونس ، وأحمد بن جواس ،  
وإسماعيل بن أبي أويس وإبراهيم بن المنذر وأبا مصعب الزهري ، وسعيد بن  
منصور ومحمد بن رمح ، وحرمة بن يحيى وعمرو بن سواد وغيرهم <sup>(١)</sup>  
وذكر المزي في تهذيب الكمال مائتين وأربعة وعشرين شيخاً تهذيب  
الكمال ( ٢٧ / ٤٩٩ إلى ٥٠٤ ) .

## تلامذته :

قال الذهبي رحمه الله : روى عنه الترمذي حديثاً واحداً في جامعة ،  
ومحمد بن عبد الوهاب الفراء ، وعلى بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي وهما  
أكبر منه ، وصالح بن محمد جزرة ، وأحمد بن مسلمة ، وأحمد بن المبارك  
المستملى ، وهم من أقرانه ، وإبراهيم بن أبي طالب ، والحسين بن محمد  
القباني ، وعلى بن الحسين بن الجنيد الرازي ، وابن خزيمة ، وأبو العباس

(١) تاريخ بغداد ( ١٣ / ١٠٠ ، ١٠١ ) .



السراج ، وابن صاعد ، وأبو حامد بن الشرقي ، وأبو عوانة الإسفرائيني ، وأبو  
 حامد أحمد بن حمدون الأعمش ، وسعيد بن عمرو البرذعي ، وعبد الرحمن  
 ابن أبي حاتم ، ونصرك بن أحمد بن نصر الحافظ ، وأحمد بن علي بن  
 الحسين القلانسي ، وإبراهيم بن محمد ، وسفيان الفقيه ، وأبو بكر محمد بن  
 النضر الجارودي ، ومكي بن عبدان ، ومحمد بن مخلد العطار ، وخلق  
 آخرهم وفاة أبو حامد أحمد بن علي بن حسويه المقرئ أحد الضعفاء<sup>(١)</sup> .  
 وانظر تهذيب الكمال ( ٢٧ / ٥٠٤ - ٥٠٥ ) .

(١) تاريخ الإسلام ( ٢٠ / ١٨٣ ، ١٨٤ ) .

## ٨ - آثاره رحمه الله

قال النووي رحمه الله : صَنَّفَ مسلم رحمه الله في علم الحديث كتاباً كثيرة منها هذا الكتاب الصحيح الذي من الله الكريم وله الحمد والنعمة والفضل والمنته به على المسلمين ، أبقى لمسلم به ذكراً جميلاً ، وثناءً حسناً إلى يوم الدين ، مع ما أعد له من الأجر الجزيل في دار القرار ، وعم نفعه المسلمين قاطبة ، ومنها الكتاب المسند الكبير على أسماء الرجال ، وكتاب الجامع الكبير على الأبواب ، وكتاب العلل ، وكتاب أوهام المحدثين ، وكتاب التمييز ، وكتاب من ليس له إلا راوٍ واحد ، وكتاب طبقات التابعين وكتاب المخضرمين وغير ذلك <sup>(١)</sup>.

وذكر فؤاد سزكين له رحمه الله في تاريخ التراث كتاب الكنى والأسماء ، وكتاب « المنفردات والوحدات » ولعله الذي أشار إليه النووي بـ « كتاب من ليس له إلا راوٍ واحد ».

وكتاب « الطبقات » يتناول فيه معاصري الرسول ﷺ الذين رأوه ورووا عنه ، والذين شاهدوه فقط ولم يرووا عنه .

ورجال عروة بن الزبير ، وكتاب التمييز <sup>(٢)</sup> . وقد تقدم في كلام النووي رحمه الله .

وزاد الذهبي في السير على ما ذكر : كتاب الأقران ، وكتاب « سؤالات أحمد بن حنبل » كتاب « عمرو بن شعيب » كتاب « الإنتفاع بأهـب السباع » كتاب « مشايخ مالك » ، كتاب « مشايخ الثوري » كتاب « مشايخ شعبة » . كتاب « أفراد الشاميين » <sup>(٣)</sup>.

(١) تهذيب الأسماء واللغات ( ٢ / ٩١ ) .

(٢) تاريخ التراث ( ٢ / ٢٢٢ ) .

## ٩ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي رحمه الله :

توفى مسلم فى شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ، عن بضع وخمسين سنة .

وقد ورد فى سبب وفاته قصة ذكرها الخطيب فى تاريخه عن أحمد بن سلمة قال : وعقد لمسلم مجلس المذاكرة ، فذكر له حديث لم يعرفه ، فانصرف إلى منزله ، وأوقد السراج ، وقال لمن فى الدار لا يدخل أحد منكم ، فقليل له : أهديت لنا سلّة تمر . فقال : قدموها ، فقدموها إليه فكان يطلب الحديث ويأخذ تمر تمر فأصبح وقد فنى التمر ، ووجد الحديث .

رواها أبو عبد الله الحاكم : ثم قال : زادنى الثقة من أصحابنا أنه منها مات<sup>(١)</sup> .



من أعلام السلف

٣٦

أبو داود السجستاني  
سليمان بن الأشعث صاحب السنن



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر كذا قال عبد الرحمن بن أبي حاتم <sup>(١)</sup> . وقال الخطيب : بن عمرو بن عمران وقيل إن جده عمران ممن قتل مع علي عليه السلام بصفين .

**مولده :** قال الذهبي : ولد سنة اثنين ومئتين ورحل وجمع وصنف وبرع في هذا الشأن .

وقال أبو عبيد الآجري : سمعته يقول : ولدت سنة اثنين ، وصليت على عفان سنة عشرين ، ودخلت البصرة وهم يقولون : أمس مات عثمان بن الهيثم المؤذن ، فسمعت من أبي عمر الضرير مجلساً واحداً <sup>(٢)</sup> .

**صفته :** عن إبراهيم بن علقمة قال : كان عبد الله يشبه بالنبي ﷺ في هديه ، ودلّه ، وكان علقمه يشبه بعبد الله ، وقال جرير بن عبد الحميد : كان إبراهيم يشبه بعلقمه ، وكان منصور يشبه بإبراهيم وقال غير جرير كان سفيان يشبه بمنصور وقال عمر بن أحمد وقال أبو علي القوهستاني : كان وكيع يشبه بسفيان ، وكان أحمد بن حنبل يشبه بوكيع ، وكان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل <sup>(٣)</sup> .

وعن محمد بن بكر بن عبد الرازق - في كتابه - قال : كان لأبي داود السجستاني كم واسع وكم ضيق فقليل له : يرحمك الله ما هذا ؟ قال الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه <sup>(٤)</sup> .

(١) الجرح والتعديل ( ١٠٢ / ٤ ) .

(٢) سير اعلام النبلاء ( ٢٠٤ / ١٣ ) .

(٣) تاريخ بغداد ( ٥٨ / ٩ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ٥٨ / ٩ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال أبو بكر الخلال : أبو داود الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم ، وبصره بمواضعه أحد في زمانه ، رجل ورع مقدم وسمع أحمد بن حنبل منه حديثاً واحداً كان أبو داود يذكره وكان إبراهيم الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعون من قدره ويذكرونه بما لا يذكرون أحداً في زمانه مثله <sup>(١)</sup>

وقال أحمد بن محمد بن ياسين الهروي : كان أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلمه وسنده في أعلى درجة الشك والعفاف والصلاة والورع من فرسان الحديث <sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة <sup>(٣)</sup>

وقال علان بن عبد الصمد : سمعت أبا داود وكان من فرسان الحديث <sup>(٤)</sup> . وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده : الذين خرجوا وميزوا الثابت من المعلول ، والخطأ من الصواب أربعة : البخاري ومسلم ثم أبو داود والنسائي <sup>(٥)</sup>

وقال أبو حاتم ابن حبان : أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً ، جمع وصنف وذب عن السنن <sup>(٦)</sup>

(١) تهذيب الكمال ( ١١ / ٣٦٤ ) وهو بسنده في تاريخ بغداد ( ٩ / ٥٧ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ١١ / ٣٦٥ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٢ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٢ ) .

(٥) سير أعلام النبلاء ( ٩ / ٥٧ ) .

(٦) تهذيب التهذيب ( ٤ / ١٥١ ) .



وقال الحاكم : أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة <sup>(١)</sup> .  
 وقال القاضي أبو سعيد الخليل بن أحمد السجزي سمعت أبا محمد  
 أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنا يقول : جاء سهل بن عبد الله التستري  
 إلى أبي داود فقيل يا أبا داود هذا سهل جاءك زائراً ، فرحب به فقال له سهل :  
 أخرج إنني لسانك الذي تحدث به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبله . فأخرج  
 إليه لسانه فقبله .

وقال الذهبي رحمه الله : كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من  
 كبار الفقهاء ، فكتابه يدل على ذلك ، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد ،  
 لازم مجلسه مدة ، وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول .  
 وكان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها ، وترك الخوض  
 في مضايق الكلام <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عبد الله الحاكم : أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا  
 مدافعة ، سمن بمصر ، والحجاز ، والشام ، والعراقين ، وخرسان ، وقد كتب  
 بخرسان قبل خروجه إلى العراق في بلده ، وهراء وكتب ببغلا عن قتيبة  
 وبالري عن إبراهيم بن موسى ، إلا أنه أعلى إسناده القعني ، ومسلم بن  
 إبراهيم ، وسمع جماعة ، قال : وكان قد كتب قديماً بنيسابور ، ثم رحل يابنه  
 أبي بكر إلى خراسان <sup>(٣)</sup> .

وقال موسى بن هارون : مارأيت أفضل من أبي داود <sup>(٤)</sup> .

(١) تهذيب التهذيب ( ٤ / ١٥١ ) .  
 (٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٥ ، ٢١٦ ) .  
 (٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٢ ، ٢١٣ ) .  
 (٤) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٣ ) .

### ٣ - فضائل سنن أبي داود

قال الخطيب : وكان أبو داود قد سكن البصرة ، وقدم بغداد غير مرة ، وروى كتابه المصنف في السنن بها ، ونقله عنه أهلها ، ويقال إنه صنّفه قديماً ، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه <sup>(١)</sup> .

وروى الخطيب بسنده عن أبي بكر بن داسة قال : سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني كتاب السنن - جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها قوله عليه السلام « الأعمال بالنيات » ، والثاني قوله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » والثالث قوله : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » والرابع قوله : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات » <sup>(٢)</sup> .

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وعقب بقوله : يكفي الإنسان لدينه ممنوع ، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن <sup>(٣)</sup> .

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغانى وإبراهيم الحري : لما صنّفت أبو داود كتاب « السنة » ألين لأبي داود الحديث ، كما ألين لداود عليه السلام الحديث <sup>(٤)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٩ / ٥٦ ) .

(١) تاريخ بغداد ( ٩ / ٥٦ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٠ ) .

(٤) تهذيب التهذيب ( ٤ / ١٧٢ ) .

وقال الحاكم : سمعت الزبير بن عبد الله بن موسى سمعت محمد بن مخلد يقول : كان أبي داود يفي بمذاكرة مئة ألف حديث ، ولما صنّف كتاب السنن قرأه على الناس صار كتابه لأصحاب الحديث كالصحف يتبعونه ولا يخالفونه ، وأقرّ له أهل زمانه بالحفظ والتقدم فيه <sup>(١)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٢ ) وانظر تهذيب التهذيب ( ٤ / ١٧٢ ) .

## ٤ - شرط أبي داود في السنن

قال ابن داسة : سمعت أبا داود يقول : ذكرت في السنن الصحيح وما يقاربه فإن كان فيه وهن شديد يئته .

قال الذهبي : فقد وفي رحمه الله - بذلك بحسب اجتهاده - وبين ما ضعفه شديد ، ووهنه غير محتمل ، وكاسر <sup>(١)</sup> . عن ما ضعفه خفيف محتمل ، فلا يلزم من سكوته - والحالة هذه - غن الحديث أن يكون حسناً عنده ، ولا سيما إذا حكمنا على حد الحسن باصطلاحنا المولد الحادث الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح الذي يجب العمل به عند جمهور العلماء ، أو الذي يرغب عنه أبو عبد الله البخاري ويمثيه مسلم وبالعكس ، فهو داخل في أدنى مراتب الصحة ، فإنه لو انحط عن ذلك لخرج عن الاحتجاج ولبقى متجاوزاً بين الضعف والحسن ، فكتاب أبي داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان ، وذلك نحو من شطر الكتاب ، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين ورغب عنه الآخر ، ثم يليه ما رغبا عنه وكان إسناده جيداً وسلم من علة وشذوذ ، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً وقبله العلماء بحجيته من وجهين لينين فصاعداً ، يعضد كل إسنادهما الآخر ، ثم يليه ما ضعف إسناده لنقص حفظ راويه فمثل هذا يمثيه أبو داود ويسكت عنه غالباً ، ثم يليه ما كان بين الضعف من جهة راويه ، فهذا لا يسكت عنه بل يوهنه غالباً ، وقد يسكت عنه بحسب شهرته وتكراره والله أعلم <sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : إن قول أبي داود : فإن كان فيه وهن

(١) أي كسر طرفه وغض بصره .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢١٤ ، ٢١٥ ) .

شديد بينته ... يفهم أن الذي يكون فيه وهن غير شديد أنه لا يبينه ، ومن هنا يتبين أن جميع ما سكّت عنه أبو داود لا يكون من قبيل الحسن إذا اعتضد ؛ وهذان القسمان كثير في كتابه جداً ، ومنه ما هو ضعيف لكن من روايه من لم يجمع على تركه غالباً ، وكل من هذه الأقسام عنده تصلح للاحتجاج بها كما نقل ابن منده عنه أنه يخرج الحديث الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره .

وقال النووي رحمه الله : في سنن أبي داود رحمه الله أحاديث ظاهرة الضعف لم يبينها ، مع أنه متفق على ضعفها ، والحق أن ما وجدناه في «سننه» مما لم يبينه ولم ينص على صحته أو حسنه أحد ممن يعتمد فهو حسن ، وإن نص على ضعفه من يعتمد أو رأى العارف في سنده ما يقتضى الضعف ولا جابر له حكم بضعفه ، ولا يلتفت إلى سكوت أبي داود <sup>(١)</sup> .  
وعقب محقق السير بقوله :

أبو داود يخرج أحاديث جماعة من الضعفاء ويسكت عنها مثل ابن لهيعة ، وصالح مولى التوأمة ، وعبد الله بن محمد بن عقال ، وموسى بن وردان ، وسلمة بن الفضل وغيرهم ، فلا ينبغي للناقد أن يقلده في السكوت على أحاديثهم ، ويتابعه في الاحتجاج بهم ، بل طريقة أن ينظر هل لذلك الحديث متابع يعتضد به ، أو هو غريب فيتوقف فيه ، لا سيما إن كان مخالفاً لروايه من هو أوثق منه فإنه ينحط إلى قبيل المنكر ، وقد يخرج لمن هو أضعف من هؤلاء بكثير كالحارث بن حية ، وصدقه الدقيقى ، وعمرو بن واقد العمرى ، ومحمد بن عبد الرحمن البيلماني ، وأبي حيان الكلبي ، وسليمان

(١) سير أعلام النبلاء هامش ( ١٣ / ٢١٣ ، ٢٩٤ ) .

ابن أرقم ، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وأمثالهم ، من المتروكين ، وكذلك ما فيه من الأسانيد المنقطعة وأحاديث المدلسين بالنعنة ، والأسانيد التي فيها من أبهت أسماؤهم ، فلا يتجه الحكم لأحاديث هؤلاء بالحسن من أجل سكوت أبي داود ، لأن سكوته تارة يكون اكتفاء بما تقدم من الكلام في ذلك الراوى في نفس كتابه ، وتارة يكون لذهول منه ، وتارة يكون لظهور شذوذه ضعف ذلك الراوى واتفاق الأئمة على طرح روايته ، كأبي الحويرث ، ويحيى ابن العلاء وغيرهما ، وتارة يكون من اختلاف الرواة عنه ، وهو الأكثر ، فإن في رواية أبي الحسن بن العبد عنه من الكلام على جماعة من الرواة والأسانيد ما ليس في رواية المؤلف<sup>(١)</sup>

## ٥ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

## شيوخه :

قال الحافظ : روى عن أبي سلمة التبوذكى ، وأبي الوليد الطيالسي ،  
ومحمد بن كثير العبدى ، ومسلم بن إبراهيم ، وأبي عمر الحوضى ، وأبي نوبة  
الحلبى ، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، وسعيد بن سليمان الواسطى ،  
وصفوان بن صالح الدمشقى ، وأبي جعفر الثقفى ، وأحمد ، وعلى ،  
ويحيى ، وإسحاق ، وقطن بن نسير وخلائق من العراقيين ، والخرسانيين ،  
والشاميين ، والمصريين والجزيريين <sup>(١)</sup> .

## تلامذته :

قال الحافظ : وروى عنه أبو على محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى ،  
وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الأشناني ، وأبو عمرو أحمد بن  
على بن الحسن البصرى ، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابى ، وأبو  
بكر محمد بن عبد الرازق بن داسة ، وأبو الحسن على بن الحسن بن العبد  
الأنصارى ، وأبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملى وراقة ، وأبو أسامة  
محمد بن عبد الملك بن يزيد الرواس وهؤلاء رواه السنن عنه ، وأبو عبد الله  
محمد بن أحمد بن يعقوب المتوكل البصرى راوى كتاب الرد على أهل القدر  
عنه ، وأبو بكر أحمد بن سليمان النجار راوى كتاب الناسخ والمنسوخ عنه وأبو  
عبيد محمد بن على بن عثمان الآجرى الحافظ راوى المسائل عنه ،  
وإسماعيل بن محمد المطفار ، راوى مسند مالك عنه ، وأبو عبد الرحمن  
النسائى ، وأبو عيسى الترمذى ، وحرب بن إسماعيل الكرماني ، وزكرياء

النساجي ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال الحنبلي ، وعبد الله بن أحمد بن موسى عبدان الأهوازي ، وأبو بشر محمد بن أحمد الدولابي ، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائني ، وابنه أبو بكر بن أبي داود ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ، وإبراهيم بن حميد بن إبراهيم بن يونس العاقولي ، وأبو حامد أحمد بن جعفر الأصبهاني ، وأحمد بن المعلى بن يزيد الدمشقي ، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروي ، والحسن بن صاحب الشاشي ، والحسين بن إدريس الأنصاري ، وعبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازي ، وعلي بن عبد الصمد ناعمه ، ومحمد بن مخلد الدوري ، ومحمد بن جعفر بن المستفاض القرطبي وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي وجماعة (١)



## ٦ - آثاره رحمه الله

١ - كتاب السنن : وقد تقدم بيان فضائله وشرط مصنفه رحمه الله ، وقد شرحه الإمام الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ وأسماء « معالم السنن » وله شروح أخرى أشهرها وأكثرها تداولاً عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ومعه شرح للحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله .

٢ - كتاب الزهد : وهو مطبوع بتحقيق ياسر بن إبراهيم بن محمد ، وغنيم بن عباس بن غنيم ، ونشر دار المنشأة للنشر والتوزيع ، وهو من رواية ابن الأعرابي عن أبي داود السجستاني ، وقد صنّفه أبو داود على مسانيد الصحابة والتابعين فابتدأ كتابه بذكر بعض الأخبار عن بنى إسماعيل ، ثم بذكر أخبار العشرة سوى سعيد بن زيد ، ومعظمهم من كبار التابعين ، وبلغ عدد الآثار التي ساقها المصنف في كتابه ٥٢١ .

٣ - رسالة في وصف تأليفه لكتاب السنن : طبع بتحقيق محمد زاهد الكوثري القاهرة ١٣٦٩هـ .

٤ - كتاب المراسيل : وهو مطبوع كذلك طبع في القاهرة ١٣١٠هـ ، وله كتب أخرى مخطوطات فيها كتاب في الرجال ، وكتاب في القدر ، والمسائل التي خالف عليها الإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب في تسمية أخوة الذين روى عنهم الحديث ، وانظر مواضع المخطوطات في تاريخ التراث لفؤاد سزكين ( ١ / ٢٣٨ ) .

## ٧ - نتف من أخباره ودرر من أقواله

قال الخطابي : حدثني عبد الله بن محمد المسكي ، حدثني أبو بكر بن جابر خدام أبي داود قال : كنت مع أبي داود ببغداد فصليت المغرب ، ف جاء الأمير أبو أحمد الموفق فدخل فأقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث . قال : وما هي ؟ قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً لترحل إليك طلبية العلم فتعمر بك ، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس ، لما جرى عليها من محنة الزبج قال : هذه واحدة . قال : وترؤى لأولادي « السنن » فقال : نعم هات الثالثة . قال : تفرد لهم مجلساً ، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة قال : أما هذه فلا سبيل إليها لأن الناس في العلم سواء ..

قال ابن جابر : فكانوا يحضرون ويقعدون وبينهم وبين العامة ستر<sup>(١)</sup> .

روى الخطيب بسنده عن أبي بكر بن أبي داود قال : سمعت أبي يقول : الشهوة الخفية حب الرياسة<sup>(٢)</sup> .

قال أبو بكر بن أبي داود : سمعت أبي يقول : خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن<sup>(٣)</sup> .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ( ٢ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٩ / ٥٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣١٧ ) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال أبو عبيد الآجري : توفي أبو داود في سادس عشر شوال سنة  
خمس وسبعين ومئتين<sup>(١)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٢١) .



من أعلام السلف

٣٧

أبو حاتم الرازي  
محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي



## ١ - اسمه ومولده وموطنه

**اسمه :** محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم الرازي الحافظ .

**مولده :** قال الذهبي : مولده سنة خمس وتسعين ومائة .

وأول كتاب كتبه سنة تسع ومئتين وهو من نظراء البخاري ومن طبقته ولكنه عمّر بعده أزيد من عشرين عاماً <sup>(١)</sup> .

**موطنه :** قال المزي : قيل كان سكن درب حنظلة بالرّى فنسب إليه <sup>(٢)</sup> . وعن عبد الله بن محمد بن يعقوب : سمعت أبا حاتم يقول : نحن من أهل أصبهان من قرية جروكان ، وأهلنا كانوا يقدمون علينا من حياة أبي ثم انقطعوا عنا <sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٤٧ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٢٤ / ٣٨١ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٥٠ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحافظ البغدادي : كان أحد الأئمة الحافظ الأثبات ، ومشهوراً بالعلم ، مذكوراً بالفضل <sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : أبو زرعة وأبو حاتم إمامنا خراسان . وقال : بقاؤهما صلاح للمسلمين <sup>(٢)</sup> . وقال أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي : كان إماماً ، عالماً بالحديث ، حافظاً له ، متقناً متبناً <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن خراش : كان من أهل الأمانة والمعرفة <sup>(٤)</sup>.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : إمام في الحفاظ <sup>(٥)</sup>.

وقال الذهبي : كان من بحور العلم ، طوّف البلاد ، وبرع في المتن والإسناد ، وجمع وصنف ، وجرح وعدّل ، وصحح وعكّل ، وقال عبد الرحمن ابن أبي حاتم : سمعت موسى بن إسحاق القاضي يقول : ما رأيت أحفظ من والدك ، وكان قد لقي أبا بكر بن أبي شيبة وابن نمير وابن معين ويحيى الحماني <sup>(٦)</sup>.

قال الخليلي : كان أبو حاتم عالماً باختلاف الصحابة وفقه التابعين ومن بعدهم ، سمعت جدّي وجماعة سمعوا علي بن إبراهيم القطان يقول : ما رأيت مثل أبي حاتم ، ولا أفضل منه <sup>(٧)</sup>.

(٥) تهذيب الكمال ( ٢٤ / ٣٨٥ )

(٦) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٥٠ )

(٧) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٥٠ )

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٧٣ )

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٧٤ )

(٣) تهذيب الكمال ( ٢٤ - ٣٨٥ )

(٤) تهذيب الكمال ( ٢٤ / ٣٨٥ )



وعن الحسن بن الحسين الدارستيني قال : سمعت أبا حاتم يقول : قال  
 لى أبو زرعة : ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك ، فقلت له : إن عبد  
 الرحمن ابنى لحريص ، فقال : « من أشبه أباه فما ظلم » .

قال الرقاع : فسألت عبد الرحمن عن إتفاق كثرة السماع له وسؤالاته  
 لأبيه ، فقال : ربما كان يأكل وأقرأ عليه ويمشي وأقرأ عليه ، ويدخل الخلاء  
 وأقرأ ، ويدخل البيت فى طلب شيء وأقرأ عليه <sup>(١)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ٣ / ٢٥٠ - ٢٥١ ) .

## ٢ - اتباعه للسنّة رحمه الله

قال الذهبي : وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي : وجدت في كتاب أبي حاتم بن محمد بن إدريس الحنظلي مما سمع منه يقول : مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ، والتمسك بمذاهب أهل الأثر مثل الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، ولزوم الكتاب والسنة ، ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [ الشورى : ١١ ] وأن الإيمان يزيد وينقص ، ونؤمن بعذاب القبر ، وبالحوض وبالمسائلة في القبر وبالشفاعة ، وترحم على جميع الصحابة (١).

وقال أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن شعيب الغازي الطبري ، إذا رأيت رازياً خراسانياً يحبُّ أبا حاتم وأبا زرعة فاعلم أنه صاحب سنّة (٢).

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٦٠ ) .

(٢) تهذيب الكمال ( ٢٤ / ٣٨٩ ) .

## ٤ - سعة علمه رحمه الله

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : قلت على باب أبي الوليد الطيالسي : من أغرب عليّ حديثاً غريباً مستنداً صحيحاً لم أسمع به فله على درهم يتصدق به - وقد حضر على باب أبي الوليد خلق من الخلق أبو زرعة فمن دونه ، وإنما كان مرادى أن يلقي عليّ ما لم أسمع به ، فيقولون هو عند قلان فأذهب فأسمع ، وكان مرادى أن أستخرج منهم ما ليس عندي ، فما تهباً لأحد منهم أن يغرب عليّ حديثاً <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الرحمن قال : سمعت أبي يقول : قدم محمد بن يحيى النيسابوري الري فالتقيت عليه ثلاثة عشر حديثاً من حديث الزهري فلم يعرف منها إلا ثلاثة أحاديث ، وسائر ذلك لم يكن عنده ، ولم يعرفها <sup>(٢)</sup> .

ومحمد بن يحيى الذهلي شهد له مشايخه وأهل عصره في معرفة حديث الزهري ، ومع ذلك فأغرب عليه أبو حاتم <sup>(٣)</sup> .

وقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول : جرى بيني وبين أبي زرعة يوماً تمييز الحديث ومعرفة ، فجعل يذكر أحاديث ويذكر عللها ، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها وخطأ الشيخ ، فقال لي : يا أبا حاتم قل من يفهم هذا ، ما أعز هذا إذا رفعت هذا من واحد واثنين فما أقل من تجد من يحسن هذا ، وربما أشك في شيء أو يتخالجني شك في حديث فإلى أن ألتقي معك لا أجد من يشفيني منه ، قال أبي : وكذلك كان أمري <sup>(٤)</sup> .

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ( ١ / ٣٥٥ ) .

(٢) الجرح والتعديل ( ١ / ٣٥٨ ) .

(٣) انظر هامش التهذيب ( ٢٤ / ٣٩١ ) .

(٤) تاريخ بغداد ( ٢ / ٧٦ ) .

وقال أحمد بن سلمة التينابورى : ما رأيت بعد إسحاق ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث من أبي حاتم الرازى ولا أعلم بمعانيه <sup>(١)</sup>.

وقال ابن عدى : سمعت القاسم بن صفوان سمعت أبا حاتم يقول : أروع من رأيت أربعة : آدم ، وأحمد بن حنبل ، وثابت بن محمد الزاهد ، وأبو زرعة الرازى .

قال القاسم : فذكرته لعثمان بن خرّاذ فقال : أنا أقول : أحفظ من رأيت أربعة : محمد بن المنهال الضرير ، وإبراهيم بن عرعرة ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم <sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الرحمن قال : سمعت أبي يقول : كان محمد بن يزيد الأسفاطى قد ولع بالتفسير وتحفظه فقال يوماً : ما تحفظون فى قوله تعالى ﴿ فَتَنَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [ ق : ٣٦ ] فبقى أصحاب الحديث ينظر بعضهم إلى بعض فقلت : حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : ضربوا فى البلاد ( فاستحسن ) <sup>(٣)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٥١ )

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٥١ )

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٥٥ )

## ٥ - رحلاته رحمه الله وهمته في الطلب

قال عبد الرحمن سمعت أبي يقول : أول سنة خرجت في طلب الحديث ، أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ، لم أزل أحصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته ، ما كانت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فمالاً أحصى كم مرة ، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة ، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشياً ، ومن مصر إلى الرملة ماشياً ، ومن الرملة إلى بيت المقدس ، ومن الرملة إلى عسقلان ، ومن الرملة إلى طبرية ومن طبرية إلى دمشق ، ومن دمشق إلى حمص ، ومن حمص إلى أنطاكية ، ومن أنطاكية إلى طرسوس ، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص وكان بقي على شيء من حديث أبي اليمان ، فسمعت ، ثم خرجت من حمص إلى بيسان ، ومن بيسان إلى الرقة ، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد ، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل ، ومن النيل إلى الكوفة ، كل ذلك ماشياً ، هذا في سفرى الأول ، وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين خرجت من الرى سنة ثلاث عشرة ومائتين قدمنا الكوفة في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة والمقرئ حى بمكة ، وجاءنا نعيه ونحن بالكوفة ، ورجعت سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وخرجت المرة الثانية سنة اثنين وأربعين ورجعت سنة خمس وأربعين أقمت ثلاث سنين <sup>(١)</sup> .

وقال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : بقيت في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطعت نفقتي وبقيت بلا نفقة ، ومضيت أطوف مع صديق لى إلى المشيخة ، وأسمع إلى المساء ، فانصرف

رفيقي ورجعت إلى بيتي ، فجعلت أشرب الماء من الجوع ثم أصبحت فغدا  
 على رفيقي ، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد ،  
 وانصرفت جائعاً ، فلما كان الغد غدا على فقال : مُرُّبنا إلى المشايخ ، قلت :  
 أنا ضعيف لا يمكنني . قال : ما ضعفك ؟ قلت : لا أكتملك ( أمرى قد )  
 مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً فقال : قد بقي معي دينار فنصفه لك ،  
 ونجعل النصف الآخر في الكراء ، فخرجنا من البصرة ، وأخذت منه النصف  
 دينار (١)

## ٦ - تشدده رحمه الله في توثيق الرجال

قال الذهبي رحمه الله : إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله : فإنه لا يوثق إلا رجلاً صحيح الحديث ، وإذا لين رجلاً أو قال فيه : لا يحتج به فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه ، فإن وثقه أحد فلا تبين على تجريح أبي حاتم فإنه متعنت في الرجال ، قد قال في طائفة من رجال « الصحاح » ليس بحجة ليس بقوى ، أو نحو ذلك ، وآخر من حدث عنه هو محمد بن إسماعيل بن موسى الرازي ، عاش إلى بعد سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة <sup>(١)</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح : محمد بن أبي عدي البصري من شيوخ أحمد قال عمرو بن علي : أحسن عبد الرحمن بن مهدي الثناء عليه . وقال أبو حاتم والنسائي وابن سعد ، ثقة ، وفي الميزان أن أبا حاتم قال : لا يحتج به فينظر في ذلك وأبو حاتم عنده عنت <sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٦٠ ) .

(٢) هدى الساري ( ٤٤١ ) .

## ٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

### شيوخه :

قال الحافظ : روى عن محمد بن عبد الله الأنصارى ، وعثمان بن الهيثم ، وعفان بن مسلم ، وأبى نعيم ، وعبيد الله بن موسى ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث وعبد الله بن صالح العجلي ، وأبى توبة الربيع بن نافع ، وآدم بن أبى إياس ، وأبى اليمان ، وسعيد بن أبى مريم وأبى مسهر ، والأصمعى ، وأبى غسان النهدي ، ومحمد بن يزيد بن سنان ، وهوذة بن خالد ، ويحيى بن صالح الوحاظى ، وعمرو بن الربيع بن طارق وعمر بن حفص بن غياث ، وطبقتهم وخلق ممن بعدهم <sup>(١)</sup>.

قال الحافظ : ويتعذر استقصاء مشايخه فقد قال الخليلي : قال لى أبو حاتم اللبان الحافظ : قد جمعت من روى عنه أبو حاتم الرازى قبلغوا قريباً من ثلاثة آلاف <sup>(٢)</sup>.

### تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه ولده الحافظ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم ، ويونس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان المؤذن شيخاه ، وأبو زرعة الرازى رفيقه وقربته ، وأبو زرعة الدمشقى ، وإبراهيم الحربى وأحمد الرمادى ، وموسى بن إسحاق الأنصارى ، وأبو بكر بن أبى الدنيا ، وأبو عبد الله البخارى - فيما قيل - وأبو داود وأبو عبد الرحمن النسائى فى « سنتيهما » ،

(١) تهذيب التهذيب ( ٢٨ / ٣ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ٢٤٨ / ١٣ ) .



وابن صاعد وأبو عوانه الإسفرائيني ، وحاجب بن أركين ، ومحمد بن إبراهيم  
الكتاني ، وزكريا بن أحمد البختي والقاضي المحاملي ، ومحمد بن مخلد  
القطار ، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان ، وأبو عمرو محمد بن أحمد بن  
حكيم وسليمان بن يزيد القامي ، والقاسم بن صفوان وأبو بشر الدولابي وأبو  
حامد بن حسنويه ، وخلق كثير .<sup>(١)</sup>

## ٨ - من أقواله وأشعاره رحمه الله

عن أبي عبد الله أحمد بن القاسم القاضي قال : حاتم ابن أبي حاتم الرازي قال : سمعت أبي يقول : اكتب أحسن ما تسمع ، واحفظ أحسن ما تكتب وذاكر بأحسن ما تحفظ <sup>(١)</sup> .

وعن محمد بن هارون الرازي قال أنشدنا أبو حاتم الرازي :

تفكرت في الدنيا فأبصرت رشدها

وذلت بالتقوى من الله خدّها

أسأت بها ظناً فأخلفت وعدّها

وأصبحت مولاهم وقد كنت عدّها <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٢ / ٧٧ )

(٢) تاريخ بغداد ( ٢ / ٧٧ )

## ٩ - وفاته رحمه الله

قال أبو سعيد بن يونس : قدم مصر قديماً وكتب بها ، وكتب عنه ،  
وكانت وفاته بالرّى سنة خمس وسبعين ومئتين .  
وقال أحمد بن محمود بن صبيح ، وأبو الحسن ابن المنادى وأبو حاتم بن  
حيّان وأبو نعيم الحافظ : مات سنة سبع وسبعين ومئتين .  
زاد ابن صبيح : بالرّى .  
وزاد ابن المنادى : في شعبان <sup>(١)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ٢٤ / ٣٩٠ ) .



من أعلام السلف

٣٨

أبو عيسى الترمذی



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**اسمه :** محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحّاك السُّلَمي الترمذی الإمام العالم البارِع مصنف الجامع .  
 والترمذی نسبة إلى ترمذ مدينته التي نشأ بها شمال إيران .  
**مولده :** قال الذهبي : ولد في حدود سنة عشر ومئتين <sup>(١)</sup> .  
**صفته :** اختلف فيه قليل : ولد أعمى ، والصحيح أنه أضر في كبره بعد رحلته وكتابته العلم <sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧١ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧٠ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحاكم : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخاري فلم يخلف بخرسان مثل أبي عيسى في العلم ، والحفظ ، والورع ، والزهد ، بكي حتى عمى ، وبقي ضريراً سنين<sup>(١)</sup>

وذكره ابن حبان في « الثقات » وقال : كان ممن جمع وصف وحفظ وذاكبر<sup>(٢)</sup> . وقال الذهبي : جامع قاضي له إمامته وحفظه وفقهه ، ولكن يترخص في قبول الأحاديث ، ولا يشدد ، ونفسه في التضعيف رخو<sup>(٣)</sup>

وقال الحافظ العالم أبو سعيد الإدريسي : « أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف الجامع والتواريخ والعلل تصنيف رجل عالم متقن ، وكان يضرب به المثل في الحفظ<sup>(٤)</sup> »

وقال المزى : أبو عيسى الترمذى الضرب الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات ، أحد الأئمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به المسلمين<sup>(٥)</sup>

وقال الذهبي في الميزان : الحافظ العلم صاحب الجامع ، ثقة ، مجمع عليه ولا التفات إلى قول أبي محمد بن حزم فيه في الفرائض من كتاب الإيصال : إنه مجهول فإنه ما عرفه ولا درى بوجود الجامع ولا العلل له<sup>(٦)</sup>

وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب : « وأما أبو محمد بن حزم فإنه نادى على نفسه بعدم الإطلاع فقال في كتاب الفرائض من الإيصال : محمد بن عيسى بن سورة مجهول . ولا يقولن قائل : « لعله ما عرف الترمذى

(١) تذكرة الحافظ ( ٢ / ٦٣٤ ) . (٤) شروط الأئمة الستة ص ( ٢٠ ) .

(٢) الثقات ( ٩ / ١٥٣ ) . (٥) تهذيب الكمال ( ٢٦ / ٢٥٠ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧٦ ) . (٦) ميزان الاعتدال ( ٥ / ١٢٤ ) .



ولا اطلع على حفظه ولا تصانيفه ، فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلقي من المشهورين من الثقات الحفاظ ، كأبي القاسم البغوى ، وإسماعيل بن محمد الصفار ، وأبي العباس الأصم وغيرهم ، والعجب أن الحافظ ابن الفرضي ذكره في كتابه المؤتلف والمختلف ، ونبه على قدره فكيف فات ابن حزم الوقوف عليه فيه <sup>(١)</sup> .

قال العلامة أحمد شاكر : وأنا أظن أن هذا تحامل من الحافظ ابن حجر على ابن حزم ، ولعله لم يعرف الترمذی ولا كتابه ، بل لعل الحافظ الذهبي أخطأ نظره حين نقل ما نقل من كتاب الإيصال ، وما أظن ابن حجر رأى كتاب الإيصال ونقل منه ، وإنما أرجح أنه نقل من الذهبي والله أعلم <sup>(٢)</sup> .

وقال : أبو الفضل البيهقي : سمعت نصر بن محمد الشيركوهي يقول : سمعت محمد بن عيسى الترمذی يقول : قال لي محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي <sup>(٣)</sup> .

قال العلامة أحمد شاكر : وهذه شهادة عظيمة من شيخه إمام المسلمين ، وأمير المؤمنين في الحديث في عصره <sup>(٤)</sup> .

قال الشيخ نور الدين عند : وما أفاد الترمذی الرسوخ في علم الحديث عنايته بلقى الأئمة الكبار الذين إليهم المنتهى في حفظ الحديث ودرايته ، وأخذ عنهم ، فأكمل تحصيله وتعمقه ، وبرز نبوغه ، فتقدم إلى محراب الإمامة في الحديث غير منازع ولا ممانع .

لقى الإمام مسلم بن الحجاج وأخذ عنه ، لكنه لم يخرج عنه إلا حديثاً

(١) تهذيب التهذيب ( ٩ / ٣٤٤ ) .

(٢) مقدمة أحمد شاكر لجامع الترمذی ( ١ / ٨٦ ) .

(٣) تهذيب التهذيب ( ٩ / ٣٤٥ ) .

(٤) مقدمة أحمد شاكر لجامع الترمذی ( ١ / ٨٧ ) .

واحداً ، وهو حديث أبي هريرة « احصوا هلال شعبان لرمضان » .  
 ولقى أيضاً الإمام أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني وروى له في  
 جامعه ، وأفاد في علل الحديث والرجال وفنون الحديث من الإمام عبد الله بن  
 عبد الرحمن الدرامي ، وأبي زرعة الرازي كما ذكر في آخر جامعه ، ولكن  
 التأثير الكبير والإفادة العظيمة تمت للترمذي على الإمام أمير المؤمنين في  
 الحديث محمد بن إسحاق البخاري ، فقد لازمه الترمذي طويلاً ، وأخذ عنه  
 العلم الكثير حتى تخرج على يديه وعرف به .  
 ولم تقتصر إفادته على الحديث وعلومه بل إنه أفاد منه فقه الحديث كما  
 قال الذهبي : « وتفقه في الحديث بالبخاري » وحسبك بالبخاري فقيهاً في  
 الحديث ، غوّاصاً على خفايا فقهه والاستنباط منه <sup>(١)</sup>

(١) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعة وبين الصحيحين ( ١٦ / ١٧ )

## ٣ - فضائل جامعہ

عن أبي علي منصور بن عبد الله الخالدي قال : قال أبو عيسى صنفت هذا الكتاب وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخرسان ، فرضوا به ، ومن كان هذا الكتاب يعني « الجامع » في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم .

قال الذهبي : في الجامع علم نافع وفوائد غزيرة ، ورؤوس المسائل وهو أحد أصول الإسلام ، لولا ما كدّره بأحاديث واهية بعضها موضوع ، وكثير منها في الفضائل <sup>(١)</sup> .

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي ( المتوفى سنة ١٠٧٠هـ ) .  
في شروط الأئمة الستة : سمعت الإمام أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري بهراة ، وجرى بين يديه ذكر أبي عيسى الترمذی وكتابه فقال : « كتابه عندى أنفع من كتاب البخارى ومسلم ، لأن كتابى البخارى ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم ، وكتاب أبى عيسى قد شرح أحاديثه وبينها يصل إلى فائدته كل أحد من الناس <sup>(٢)</sup> .  
وقال ابن الأثير :

« كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأقلها تكراراً ، وفيه ما ليس فى غيره من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب ، وفيه جرح وتعديل ، وفى آخره كتاب العلل ، قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها » .  
وقال الشيخ إبراهيم الباجورى فى شرحه على الشمائل :

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧٣ ) .

(٢) شروط الأئمة الستة ( ١٩ ) .

« وناهيك بجامعه الصحيح ، الجامع للفوائد الحديثية والفقهية ، والمذاهب السلفية ، والخلفية ، فهو كافٍ للمجتهد مغني للمقلد <sup>(١)</sup> .

وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله : وللقاضي أبو بكر بن العربي في أول شرحه على الترمذى الذى سماه « عارضة الأحوذى » فصل نفيس فى مدح كتاب الترمذى ووصفه ، ولكن طابعه حرفه حتى لا يكاد يفهم ، وسأنقله هنا بشئ من الاختصار والتصرف لنصل إلى المراد منه ، قال : « اعلموا أنار الله أفقدتكم أن كتاب الجعفى <sup>(٢)</sup> . هو الأصل الثانى فى هذا الباب والموطأ هو الأول واللباب وعليهما بناء الجميع كالقشيري والترمذى فمن دونهما وليس فيهم مثل كتاب أبى عيسى حلاوة مقطع ونفاضة متزغ ، وعذوبة مشرع وفيه أربعة عشر علماً وذلك أقرب إلى العمل وأسلم : أسند ، وصحح ، وضعف وعدد الطرق ، وجرح وعدل وأسمى وأكنى ، ووصل وقطع ، وأوضح المعمول به والمتروك وبين اختلاف العلماء فى الرد والقبول لآثاره ، وذكر اختلافهم فى تأويله ، وكل علم من هذه العلوم أصل فى باب ، وفرد فى نصابه ، فالقارئ له لا يزال فى رياض موقنة ، وعلوم متفقة ومتسقة ، وهذا شئ لا يعمه إلا العلم الغزير والتوفيق الكثير والفراغ والتدبير <sup>(٣)</sup> .

(١) نقلاً عن « الإمام الترمذى وجامعه » لنور الدين عتر ( ٥٤ ) .

(٢) وهو صحيح البخارى .

(٣) أى الإمام مسلم .

(٤) مقدمة أحمد شاكر لتحقيق جامع الترمذى ( ١ / ٨٩ ، ٩٠ ) .

## ٤ - ما قيل في تسمية الكتاب وطريقة الترمذی في تصنيفه

قال العلامة نور الدين عتر :

قد وجدنا له عدة أسماء أطلقت عليه وهي :

- ١ - صحيح الترمذی وهو إطلاق الخطيب كما ذكر السيوطی .
- ٢ - الجامع الصحيح وهو إطلاق الحاكم ، ونحن نجد بعض حديثه صحيحاً وبعضه حسناً ، ومنه دون ذلك ، وهو ينص على هذه الدرجات صراحة ، إذا فقي كل من هاتين التسميتين ضرب من التجوز .
- ٣ - الجامع الكبير ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة وهو قليل الاستعمال .

٤ - السنن وهو اسم مشهور للكتاب ويكثر نسبته إلى مؤلفه تمييزاً له من بقية السنن ووجه هذه التسمية اشتماله على أحاديث الأحكام مرتبة على ترتيب أبواب الفقه ، وما كان كذلك سمي سنناً ، ولكن الكتاب فيه الأحكام وغيرها ، ففى هذه التسمية تجوز ، بتسمية الكل ببعض أجزائه .

٥ - الجامع وهو أشهر وأكثر استعمالاً ، واشتهر إطلاقه منسوباً إلى مؤلفه ، فيقال جامع الترمذی ، ووجه تسميته بذلك أن الجامع عند المحدثين ما كان مستوعباً لنماذج فنون الحديث الثمانية .

السير ، الآداب ، والتفسير ، والعقائد ، والفتن ، والأحكام والأشراط والمناقب .

فسمى الكتاب جامعاً لوجد هذه الأبواب فيه .

ثم بين منهجه في التصنيف فقال :

فأبو عيسى يترجم للمسألة ، يورد فيها حديثاً أو أكثر ، ثم يتبع ذلك بآراء

الفقهاء في المسألة ، وعملهم بحديثه ، ويتكلم على درجة الأحاديث ،  
تصحيحاً ، وتحسيناً ، وتضعيفاً ، ويأتي بذلك واضحاً مبيناً ، ويتلکم فی الرجال  
والأسانيد وما تشتمل عليه الأسانيد من علل ، ويذكر ما للحديث من طرق ، ثم  
إن كانت هناك أحاديث أخرى تناسب الترجمة فإنه يشير إليها بقوله : « وفي  
الباب عن فلان وفلان من الصحابة » ونمثل لك من كتابه بما يوضح وصفنا  
هذا :

قال الترمذی فی الطهارة : ( باب المسح علی الخفين للمسافر والمقيم ) :  
حدثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي عن  
عمرو بن ميمون عن عبد الله الجدلي عن خزيمة بن ثابت عن النبي ﷺ أنه  
سئل عن المسح على الخفين فقال : للمسافر ثلاثة ، وللمقيم يوم .  
وذكر عن يحيى بن معين أنه صحح حديث خزيمة في المسح وأبو عبد الله  
الجدلي اسمه عبد بن عبد ويقال عبد الرحمن بن عبد .  
قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن علي وأبي  
بكره وأبي هريرة وصفوان بن عسال .

ثم ساق الترمذی بسنده حديث صفوان بن عسال .  
ثم قال : قال محمد بن إسماعيل : أحسن شيء في هذا الباب حديث  
صفوان بن عسال .

ثم قال أبو عيسى : وهو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي ﷺ والتابعين  
ومن بعدهم من الفقهاء مثل سفيان الثوري ، وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد  
وإسحاق قالوا : يمسح المقيم يوماً وليلة ، والمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وقد روى  
عن بعض أهل العلم أنهم لم يوقتوا في المسح على الخفين ، وهو قول مالك  
بن أنس (١)

(١) باختصار وتصرف من « الإمام الترمذی والموازنة بين جامعة وبين الصحيحة » ( ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ) .

## ٥ - تساهله رحمه الله في التصحيح

تقدم قول الذهبي رحمه الله : ولكنه يترخص في قبول الأحاديث ولا يشدد ، ونفسه في التضعيف رخو<sup>(١)</sup> .

وانتقد الذهبي رحمه الله في أكثر من ترجمة في كتابه ميزان الاعتدال .. تصحيح الترمذی أو تحسينه وبين أنه لا يعتمد قوله في ذلك إذا انفرد وفي الحديث علة تمنع من القول بصحته<sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ ابن رجب في « شرح العلل » واعلم أن الترمذی رحمه الله خرج في كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو مانزل عن درجة الصحيح ، وكان فيه بعض ضعف والحديث الغريب ، والفرائب التي خرجها فيها بعض الكبائر ولا سيما في كتاب الفضائل ولكنه يبين ذلك غالباً ، ولا يسكت عنه ، ولا أعلمه خرج عن متهم بالكذب متفق على إتهامه حديثاً باسناد مفرد إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من طرق ، أو مختلفاً في إسناده وفي بعض طرقه متهم ، وعلى هذا الوجه خرج حديث محمد بن سعيد المصلوب ، ومحمد بن السائب الكلبي ، نعم قد يخرج عن سبيح الحفظ ، وعمن غلب على حديثه الوهم ، ويبين ذلك غالباً ، ولا يسكتب عنه .

ويخرج حديث الثقة الضابط ، ومن يهم قليلاً ، ومن يهم كثيراً ، ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه نادراً ، ويبين ذلك ولا يسكت عنه<sup>(٣)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧٦ ) .

(٢) انظر هامش سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧٦ ) .

(٣) شرح علل الترمذی ( ٢٢٩ ، ٢٣٠ ) ج عالم الكتب بتحقيق صبحي السامرائي .

## ٦ - شرط الترمذى رحمه الله فى جامعه

لم يصرح أحد من أصحاب الكتب الستة بشرط فى كتابه ، وقد توجد لبعضهم عبارات يفهم منها شيئاً من شروطهم فى كتبهم ، فالأصل فى معرفة شرط الكتاب دراسته ، ومطالعة أصوله واستقراؤها .

قال الدكتور عتر : أما شرط أبى عيسى الترمذى فقد تحدث الترمذى عن أحاديث فى كتابه بما يستأنس به لمعرفة شرطه قال فى علل الجامع : « جميع ما فى هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به ، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين ... إلخ » .

فأفاد أنه بنى اختيار حديث الكتاب على عمل العلماء به فى الجملة ، فكل حديث استدلل به مستدل أو احتج به عالم فهو من شرطه ، وهو شرط فسيح جداً لكن الترمذى لا ينزل إلى الواهى أو الموضوع ، لأن الأئمة لا يحتجون بالواهى ولا بالموضوع ، وقد دل الاستقراء على أن شرطه هو أن يخرج أحاديث الطبقة الرابعة من الرواة فمن فوقهم ورجال الطبقة الرابعة قوم لم تكثروا ممارستهم لحديث شيوخهم ، ولم يسلّموا أيضاً من غائلة الجرح <sup>(١)</sup> .

قال الحازمى فى شروط الأئمة الخمسة :

« ثم اعلم أن لهؤلاء الأئمة مذهباً فى كيفية استنباط مخارج الحديث ، نشير إليها على سبيل الإيجاز ، وذلك أن مذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوى العدل فى مشايخه وفيمن زوى عنهم وهم ثقات أيضاً ، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمه إخراجه ، وعن بعضهم مدخول لا يصلح إخراجه إلا فى الشواهد والمتابعات ، وهذا باب فيه غموض ، وطريقة معرفة الرواه

(١) الإمام الترمذى والموازنة بين جامعه وبين الصحيح ( ٥٥ ، ٥٦ ) .



عن رواية الأصل ، ومراتب مداركهم ، وتوضح ذلك بمثال وهو أن نعلم مثلاً أن أصحاب الزهري على طبقات خمس لكل طبقة منها مزية على التي تليها :

**الطبقة الأولى :** قوم جمعوا بين العدالة التامة والإتقان والحفظ وطول الملازمة لشيخهم الزهري حتى كان فيهم من يزامله في السفر ويلازمه في الحضر ، وهم الغاية في الصحة ، وهم غاية مقصد البخاري .

**الطبقة الثانية :** شاركت الأولى في العدالة ، غير أنها لم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة ، فلم تمارس حديثه ، وكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى ، وهم شرط مسلم .

**الطبقة الثالثة :** جماعة نزموا الزهري مثل أهل الطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح ، فهم بين الرد والقبول ، وهم شرط أبي داود والنسائي .

**والطبقة الرابعة :** قوم شاركوا أهل الطبقة الثالثة في الجرح والتعديل ، وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهري ، لأنهم لم يصحبوا الزهري كثيراً وهم شرط أبي عيسى ، وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داود ، لأن الحديث إذا كان ضعيفاً فإنه يبين ضعفه ، وينبه عليه ، فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ، ويكون إعتماده على ما صبح عند الجماعة ، وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن ، فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبي داود .

**والطبقة الخامسة :** نفر من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يخرج الحديث على الأبواب أن يخرج حديثهم إلا على سبيل الاعتبار والاستشهاد عند أبي داود ، فأما عند الشيخين فلا <sup>(١)</sup> انتهى .

## ٧ - رتبة جامع الترمذى

قال الدكتور عتر ما ملخصه :

وبمعرفة شروط الأئمة الثلاثة نجد الترمذى :

أ - يشترك فى شرطه مع الشيخين فيخرج فى كتابه حديث الطبقة الأولى والثالية وهما شرط البخارى ، ومن شرط مسلم أيضاً ومن حديث الطبقة الثالثة التى يخرج مسلم عن بعض رجالها .

ب - ويفترق كتاب الترمذى عن كتاب البخارى ومسلم حيث ينزل فيكثر من حديث الطبقة الثالثة ويروى لرجالها على اختلاف أحوالهم ، ويروى أيضاً حديث الطبقة الرابعة فينزل عنهما درجة أخرى ، إذن فكتاب الترمذى دون الصحيحين فى الصحة ، وفوقه كتاب مسلم وفوقهما كتاب البخارى ولكن هل يأتى كتاب الترمذى عقب الصحيحين فى المرتبة فيكون ثالثهما ؟ أو أن كتاب أبى داود هو الثالث والترمذى رابعهما ؟

الذى نراه أن كتاب أبى عيسى ثالث الكتب الستة تالى الصحيحين فى المرتبة ، من حيث الصحة ، وذلك لأن شرطه أقوى من شرط أبى داود ، كما نص الإمام الحازمى على ذلك فى كلمته التى نقلناها فى طبقات الرواة . ولكن الحازمى قدم سنن أبى داود إلى الرتبة الثالثة ، وأخر جامع الترمذى إلى الرابعة ، وعلل ذلك باشتماله على حديث الطبقة الرابعة فقال : وعلى الجملة فكتابه مشتمل على هذا الفن فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود .

وقال الذهبى فيما نقله عنه السيوطى : انحطت رتبة جامع الترمذى عن سنن أبى داود والنسائى : لإخراجه حديث المصلوب والكلبى وأمثالهما . وهذا يعنى من الكذابين أو من أنهم بالكذب .

وهذا الذى اعتذر به الحازمى والذهبى موجود فى كتابه أبى داود ، فإنه يخرج أحاديث الطبقة الرابعة وأخرج عن جماعة من أمثال المصلوب والكلبى أيضاً ، بل إنه فوق ذلك قد سكت عن حديثهم ولم ينبه عليه .

قال الحافظ ابن رجب فى شرح علل جامع الترمذى : وقد شاركه أبو داود فى التخرىج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كإسحاق بن أبى فروة وغيره .

وإسحاق الذى ذكره ابن رجب قال فيه البخارى فى التاريخ الكبير : تركوه وروى ابن أبى حاتم عن أحمد بن حنبل أنه قال : « لا تحل الراوية عندى عن إسحاق بن أبى فروة ، وعن يحيى بن معين أنه قال فيه : كذاب ، وعن أبى حاتم : متروك . أ. هـ .

وقال ابن حجر : متروك من الرابعة .

فقد تساوى الكتابان من حيث التخرىج عن الرجال ، وبقي امتياز الترمذى بما ذكره الحازمى من أبلغية الشرط ، وتقدمه على أبى داود لأنه ينبه على هؤلاء الضعفاء ، ولا يسكت عنهم ، فوق أنه يروى عنهم ما رواه عن غيرهم ممن فوقهم كما سيأتى بيانه فى بحث الرجال ، وقد سكت أبو داود عن حديث جماعة منهم ، فمن الإنصاف إذا أن لا تنزل رتبة الترمذى عن الثالثة <sup>(١)</sup> .

(١) الإمام الترمذى وموازنته بين جامعه والصحيحين ( ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ) .

## ٨ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الذهبي : حدث عن قتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن عمرو السواق البلخي ، ومحمود بن غيلان ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، وأحمد بن منيع ، وأبي مصعب الزهري ، وبشر بن معاذ العقدي ، والحسن بن أحمد بن أبي شعيب ، وأبي عمار الحسين بن حريث ، والمعمّر عبد الله بن معاوية الجمحي ، وعبد الجبار بن العلاء ، وأبي كريب ، وعلي بن حجر ، وعلي ابن سعيد بن مسروق الكندي ، وعمرو بن علي الفلاس ، وعمران ابن موسى القزاز ، ومحمد بن أبان المستملي ، ومحمد بن حميد الرازي ، ومحمد بن عبد الأعلى ، ومحمد بن رافع ، ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، ومحمد ابن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ومحمد بن يحيى العدني ، ونصر بن علي ، وهارون الحمالي ، وهناد بن السري ، وأبي همام الوليد بن شجاع ، ويحيى بن حبيب بن عربي ، ويحيى بن درست البصري ، ويحيى بن طلحة اليربوعي ، ويوسف بن حماد المعني ، وإسحاق بن موسى الخطمي وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وسويد بن نصر المروزي .

فأقدم ما عنده حديث مالك ، والحمادين ، والليث ، وقيس بن الربيع ، وينزل حتى إنه أكثر عن البخاري وأصحاب هشام بن عمار ونحوه<sup>(١)</sup> .

تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه أبو بكر أحمد بن إسماعيل السمرقندي ، وأبو

حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزي ، وأحمد بن علي بن حسنويه المقرئ ، وأحمد بن يوسف النسفي ، وأسد بن حمدويه النسفي ، والحسين بن يوسف الفريري ، وحماد بن شاكر الوراق ، وداود بن نصر بن سهيل البزدوي ، والربيع بن حيان الباهلي ، وعبد الله بن نصر أخو البزدوي ، وعبد بن محمد ابن محمود النسفي ، وعلي بن عمر بن كنزيم السمرقندي ، والفضل بن عمار الصرّام ، وأبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب ، راوي « الجامع » وأبو جعفر محمد بن سفيان بن نصر الأمين ، ومحمد بن محمد بن يحيى الهروي القزّاب ، ومحمد بن محمود بن عنبّر النسفي ، ومحمد بن مكّي بن نوح النسفي ، ومسّيح بن أبي موسى الكاجري ، ومكحول بن الفضل النسفي ، ومكّي بن نوح ، ونصر بن محمد بن سبرة ، والنهشم بن كليب الشاشي الحافظ راوي الشمائل عنه وآخرون .

وقد كتب عنه شيخه أبو عبد الله البخاري ، فقال الترمذی في حديثه عطية عن أبي سعيد « يا علي : لا يحل لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك »<sup>(١)</sup> سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٢٧١ ، ٢٧٢ ) ، والحديث في سنن الترمذی ( ٣٧٢٧ ) .  
من حديث عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف ومع ذلك قال الترمذی هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال النسوي : إنما حسنه الترمذی بشواهد وانظر هامش السيد ( ١٣ / ٢٧٢ ) .

## ٩ - مؤلفاته رحمه الله

قال العلامة أحمد شاكر :

وصفه العلماء فيما مضى بأنه « صاحب التصانيف » وسموا كتباً من مؤلفاته ولكننا لم نر منها إلا كتابين ( الجامع الصحيح ) وكتاب ( الشمائل ) وهو كتاب نفيس معروف مشهور ولعل باقى كتبه فقد فيما فقد من نفائس المؤلفات ، وكنوز الأئمة العلماء ، وفى التهذيب ، ولأبى عيسى كتاب الزهد مفرد لم يقع لنا ، وكتاب الأسماء والكنى وهذا بيان مؤلفاته كما ظهر لنا من أقوال العلماء :

١ - الجامع الصحيح .

٢ - الشمائل .

٣ - الملل<sup>(١)</sup> .

٤ - التاريخ .

٥ - الزهد .

٦ - الأسماء والكنى .

ولعل له كتباً أخرى لم يصل إلينا خبرها حين أكتب هذا<sup>(٢)</sup> .

(١) وهو خلاف الملل الذى فى آخر جامع الصحيح .

(٢) مقدمة أحمد شاكر للجامع ( ١ / ٩٠ ، ٩١ ) .

## ١٠ - وفاته رحمه الله

قال المزی : قال الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفری :  
 مات أبو عيسى الترمذی الحافظ بالترمذ ليلة الإثنين لثلاث عشرة ليلة مضت  
 من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين<sup>(١)</sup>

(١) تهذيب الكمال ( ٢٦ / ٢٥٢ )





من أعلام السلف

٣٩

إبراهيم الحري  
إبراهيم بن إسحاق



## ١ - اسمه ومولده

**الاسم :** إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحرابي .

**مولده :** قال الذهبي : مولده في سنة ثمان وتسعين ومائة .

عن أبي إسحاق إبراهيم بن حبشي قال سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم المروزي قال : أمي تغلبية وكان أخوا لي نصاري أكثرهم . فقلت له لم سميت إبراهيم الحرابي فقال : صحبت قوماً من الكرخ على الحديث وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحرية فسموني الحرابي بذلك <sup>(١)</sup> .

وقال ياقوت : وقيل لم سميت إبراهيم الحرابي فقال صحبت قوماً من الحرية فسموني الحرابي بذلك <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٢٨ ) .

(٢) معجم الأبناء ( ١ / ١١٣ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال الخطيب البغدادي : كان إماماً في العلم ، رأساً في الزهد عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله قيماً بالأدب ، جماعة للغة<sup>(١)</sup>

وعن أبي الحسن الدارقطني قال : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحرابي إمام مصنف عالم بكل شيء ، بارع في كل علم صدوق<sup>(٢)</sup>

وقال أبو علي الحسين بن فهم - وذكر إبراهيم الحرابي - والله يا أبا محمد لا ترى عينك مثل أبي إسحاق أيام الدنيا ولقد رأيت وجلست الناس من صنوف أهل العلم والحدق بكل فن منه ، فما رأيت رجلاً أكمل في ذلك كله من أبي إسحاق رحمه الله<sup>(٣)</sup>

وروى المخلص عن أبيه قال : كان إسماعيل القاضي يشتهي أن يلتقي إبراهيم فالتقيا يوماً وتذاكرا فلما افترق سئل إبراهيم عن إسماعيل فقال : إسماعيل جبل نفخ فيه الروح وقال إسماعيل : ما رأيت مثل إبراهيم

قال الذهبي : إسماعيل هو ابن إسحاق القاضي عالم العراق<sup>(٤)</sup> ويروي أن إبراهيم لما صنف غريب الحديث وهو كتاب نفيس كامل في معناه قال ثعلب : ما لإبراهيم وغريب الحديث ؟ رجل محدث ، ثم حضر مجلسه ، فلما حضر المجلس سجد ثعلب وقال : ما ظننت أن على وجه الأرض مثل هذا الرجل<sup>(٥)</sup>

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٥٧ )

(٥) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦١ )

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٢٨ )

(٢) تاريخ بغداد ( ٦ / ٤٠ )

(٣) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٥ )

قال ابن بشكوال في أخبار إبراهيم الحربي : نقلت من كتاب ابن عتاب كان إبراهيم الحربي ، رجلاً صالحاً من أهل العلم ، بلغه أن قوماً من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حنبل فوقفهم على ذلك فأقروا به فقال : ظلمتموني بتفضيلكم لي على رجل لا أشبهه ولا ألحق به في حال من أحواله فأقسم بالله لا أسمعكم شيئاً من العلم أبداً ، فلا تأتونني بعد يومكم<sup>(١)</sup> .

وقال المسعودي : كانت وفاة الحربي المحدث الفقيه في الجانب الغربي وله نيّف وثمانون سنة .... وكان صدوقاً عالماً فصيحاً ، جواداً عفيفاً ، زاهداً ، عابداً ناسكاً وكان مع ذلك ضاحك السن ظريف الطبع ... ولم يكن معه تكبر ولا تجبر ( و ) ربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين في وقته وظريفهم وزاهدهم وناسكهم ومسندهم في الحديث وكان يتفقه لأهل العراق وكان له مجلس في المسجد الجامع الغربي يوم الجمعة<sup>(٢)</sup> .

وقال القفطي في تاريخ النحاة له : كان إبراهيم الحربي رأساً في الزهد ، عارفاً بالمناقب ، بصيراً بالحديث ، حافظاً له ... له في اللغة كتاب : « غريب الحديث وهو من أنفس الكتب وأكبرها في هذا النوع »<sup>(٣)</sup> .

وقال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضي يقول : لا نعلم ببغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب والفقه والحديث والزهد . قال الذهبي : يريد من اجتمع فيه هذه الأمور الأربعة<sup>(٤)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦٥ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦٥ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦٨ ) .

وحدّث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبي يقول لي :  
 امض إلى إبراهيم الحرّبي يُلَقِّ عليك الفرائض قال : ولما مات سعد بن  
 أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحرّبي إلى عبد الله ، فقام إليه عبد الله فقال :  
 تقوم إليّ ؟ فقال : لم لا أقوم إليك ، والله لو رآك أبي لقام إليك . قال والله لو  
 رأى ابن عينة أباك لقام إليه <sup>(١)</sup>  
 وقال أبو عمر الزاهد وابن المنادي : سمعت ثعلباً يقول : ما فقدت إبراهيم  
 الحرّبي من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة <sup>(٢)</sup>

(١) معجم الأدباء ( ١ / ١٢٠ ) .  
 (٢) معجم الأدباء ( ١ / ١١٨ ) .

## ٢ - زهده رحمه الله

قال أبو عبد الرحمن السلمي : سألت الدراقطني عن إبراهيم الحربي فقال : كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه <sup>(١)</sup>.

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان - ويعرف بابن أسد - قال : سمعت إبراهيم بن إسحاق يقول : أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجرم مع القدر لم يتهنأ بعيثه وكان يقول : كان يكون قميصي أنظف قميص وإزاري أوسخ إزار ، ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط ، وفرد عقبي مقطوع ، وفرد عقبي الآخر صحيح ، أمشي بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذلك الجانب ، لا أحدث نفسي أن أصلحها ، وما شكوت إلى أمي ولا إلى إخوتي ، ولا إلى امرأتي ، ولا إلى بناتي قط حمي وجدتها ، الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه ، ولا يغم عياله . كان بي شقيقة خمساً وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحداً ، وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة ، وإن جاءتنى امرأتي أو إحدى بناتي به أكلته ولا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى ، والآن أكل نصف رغيف ، وأربع عشرة تمر ، إن كان برنياً أو نيّفاً وعشرين إن دقلا ، ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهراً ، فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف ، ودخلت إلى الحمام واشترت لهم صابوناً بدانقين ، فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دنانق ونصف <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي القاسم بن بكير قال : سمعت إبراهيم الحربي يقول : ما كنا

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦٠ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٦ / ١٠ ، ٣١ ) .

نعرف من هذه الأطبحة شيئاً ، وكنت أجيء من عشي إلى عشي وقد هيات لي أمي باذنجان مشوية ، أو لعقة بن - أي شحم وسمن - أو باقة فجل . وقال عمر سمعت أبا علي الخياط المعروف بالميت يقول : كنت يوماً جالساً مع إبراهيم علي باب دارة ، فلما أن أصبحنا قال لي : يا أبا علي قم إلى شغلك ، فإن عندي فجلة قد أكلت البارحة خضرها ، أقوم أنغدي بجزرتها<sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٠ ، ٣١ ) .



## ٤ - ورعه وعفته رحمه الله

حدث أبو عثمان الرازي قال : جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربى بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين أن يفرق ذلك فردّه ، وانصرف الرسول ثم عاد فقال : إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك . فقال له : عافاك الله ، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه ، فلا تشغلها بتفرقه ، قل لأمر المؤمنين إن تركتنا وإلا نحولنا من جوارك <sup>(١)</sup> .

وحدث أبو القاسم الجبلى قال : أعتل إبراهيم بن إسحاق الحربى حتى أشرف على الموت فدخلت عليه يوماً فقال : يا أبا القاسم إني في أمر عظيم مع ابنتي ثم قال لها قومي واخرجي إلى عمك كلميه فقالت لى ياعم : نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، والشهر والدهر مالنا طعام إلى كسر وملح وربما عذمنا الملح ، وبالأمس قد وجه إلينا المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذ منها شيئاً وهو عليل فالتفت الحربى إليها وتبسم وقال : يا بنية خفت الفقر ؟ فقالت : نعم . فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية فنظرت ، فإذا كتب . فقال لها : هناك اثنا عشر ألف جزء لغة ، وغريب كتبه بخطى ، فإذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبعينه بدرهم ، فما كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقيراً <sup>(٢)</sup> .

وحدث أبو بكر الشافعى قال : قال إبراهيم الحربى : ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة ، فإني وقفت على يقال ، فوزنت له قيراطاً إلا فلساً ، فسألنى عن مسألة فأجبتة فقال للغلام : أعط بقيراط ولا تنقصه

(١) معجم الأدباء ( ١ / ١١٧ ) .

(٢) معجم الأدباء ( ١ / ١١٧ ، ١١٨ ) .

شيئاً ، فزادني فلساً .<sup>(١)</sup>

وروى المخلص عن أبيه أن المعتضد بعث إلى إبراهيم الحربي بمال فردده عليه  
أوحش ردّ وقال : ردها إلى من أخذتها منه ، وهو محتاج إلى فلس ، وكان لا  
يغسل ثوبه إلا في كلّ أربعة أشهر مرّة ، وقد زلق مرّة في الطين ، فلقد كنت  
أرى عليه أثر الطين في ثوبه إلى أن غسله<sup>(٢)</sup>

(١) معجم الأدباء ( ١ / ١٩٩ ) .  
(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦٢ ) .

## ٥ - طرفاً من أخباره ودرر من أقواله

قال أحمد بن سلمان القطيعي : ضقت إضاقة فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبشه ما أنا فيه ، فقال لي : لا يضيق صدرك ؛ فإن الله من وراء المعونه ، وإنني ضقت مرة حتى انتهى أمرى إلى الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم فقالت لي الزوجة هب إنني وإياك نصبر فكيف نصنع بهاتين الصبيتين ؟ فهات شيئاً من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه فضننت بذلك . وقلت : اقترض لهما شيئاً وأنظرني بقية اليوم والليلة ، وكان لي بيت في دهليز دارى فيه كتبى ، فكنت أجلس فيه للنسخ وللنظر ، فلما كان في تلك الليلة إذا داق يدق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : رجل من الجيران . فقلت : ادخل فقال اطفئ السراج حتى أدخل فكبيت على السراج شيئاً وقلت ادخل ، فدخل وترك إلى جانبي شيئاً ، وانصرف فكشفت عن السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة ، وفيه أنواع من الطعام وكاغد فيه خمسمائة درهم ، فدعوت الزوجة وقلت : أنبهى الصبيان حتى يأكلوا . ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم ، وكان وقت مجئ الحاج من خرسان ، فجلست على بابى من غد تلك الليلة ، وإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقاً وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي فأنتهى إلى . فقلت : أنا إبراهيم الحربي ، فحط الجملين ، وقال : هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خرسان : فقلت : من هو ؟ فقال : قد استخلفنى أن لا أقول من هو <sup>(١)</sup> .

وعن أبى عمران الأشيب قال : قال رجل لإبراهيم الحربي : كيف قويت على جميع هذه الكتب ؟ قال : فغضب وقلت : بحلمى ودمى <sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٢ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٣ ) .

قال محمد مَخْلَد العطار : سمعت إبراهيم الحربي يقول : لا أعلم عصابة خيراً من أصحاب الحديث ، إنما يغدو أحدهم ومعه محبرة ، فيقول : كيف فعل النبي ﷺ ، وكيف صلى ، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يفلح <sup>(١)</sup> .

وعن أبي الحسن بن قريش قال : حضرت إبراهيم الحربي - وجاءه يوسف القاضي ومعه ابنه عمر - فقال له : يا أبا إسحاق : لو جئناك على مقدار واجب حقك لكنت أوقاتنا كلها عندك . فقال : ليس كل غيبة جفوة ، ولا كل لقاء مودة ، وإنما هو تقارب القلوب <sup>(٢)</sup> .

قال أبو ذر الهروي : سمعت أبا طاهر المخلص سمعت أبي : سمعت إبراهيم الحربي وكان وعدنا أن يحمل علينا مسألة في الاسم والمسمى وكان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرة ، وكان إبراهيم مقلداً ، وكانت له غرفة يصعد فيشرف منها على الناس فيها كوة إلى الشارع ، فلما اجتمع الناس أشرف عليها ، فقال لهم : قد كنت وعدتكم أن أملئ عليكم في الاسم والمسمى ، ثم نظرت فإذا لم يتقدمني في الكلام فيها إمام يقتدى به ، فرأيت الكلام فيه بدعة فقام الناس وانصرفوا فلما كان يوم الجمعة أتاه رجل ، وكان إبراهيم لا يقعد إلا وحده فسأله عن هذه المسألة فقال : ألم تحضر مجلسنا بالأمس ؟ قال : بلى فقال : أتعرف العلم كله ؟ قال : لا . قال : فاجعل هذا مما لم تعرف <sup>(٣)</sup> .

قال أبو الحسين العكي : سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده من تعدون الغريب في زمانكم ؟ فقال رجل : الغريب من نأى عن وطنه وقال آخر :

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٥٨ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٥٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦ ) .

الغريب من فارق أحبابه .

فقال إبراهيم الغريب : في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين . إذا أمر بمعروف آزره ، وإذا نهى عن منكر أعانوه ، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه ، ثم ماتوا وتركوه <sup>(١)</sup> .

وقال مقاتل بن بunan المعكي : حضرت مع أبي وأخى عند أبي إسحاق -  
يعنى إبراهيم الحربى - فقال إبراهيم لأبى هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم . قال :  
احذر لا يروئك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم <sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٣ / ٣٦١ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٦ / ٣٧ ) .

## ٦ - شيوخه وتلامذته

### شيوخه :

قال الخطيب البغدادي : سمع أبا نعيم الفضل بن دكين ، وعفان بن مسلم ، وعبد الله بن صالح العجلي ، وموسى بن إسماعيل التبوذكي ، وأبا عمر الحوضي ، ومسدداً ، وعبيد الله بن محمد بن عائشة ، وعمرو بن مرزوق ، وسعيد بن سليمان الواسطي ، وعلي بن الجعد ، وخلف بن هشام وعاصم بن علي ، ومحمد بن مقاتل المروزي ، وأحمد بن يونس ، ومحمد بن يكار بن الريان ، وقتيبة بن سعيد ، ويحيى بن الحماني ، وأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبي شيبة ، وعبيد الله القواريري ، وخلقاً من أمثالهم<sup>(١)</sup>.

### تلامذته :

قال الخطيب البغدادي : روى عنه موسى بن هارون الخافظ ، ويحيى بن صاعد ، وأبو بكر بن أبي داود ، والحسين المحاملي ، ومحمد بن مخلد ، وأبو بكر بن الأنباري النحوي ، وإبراهيم بن حيش بن دينار ، وعثمان بن عبدويه ، وعبيد الله بن أحمد بن بكير ، وأبو عمرو بن السماك . وأحمد بن سلمان النجاد ، وأبو عمر الزاهد - صاحب ثعلب - ، وأبو سهل بن زياد ، ومحمد ابن علي بن علوان المقرئ ، والقاضي أبو الحسين بن الأشثاني ، ومحمد بن عبد الله الشافعي ، وعمر بن جعفر بن مسلم ، وأبو بكر بن مالك القطيعي ، وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٢٧ ، ٢٨ ) .

(٢) تاريخ بغداد ( ٦ / ٢٨ ) .

## ٧ - وفاته رحمه الله

قال الخطيب البغدادي رحمه الله :

مات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين .

ثم روى بسنده عن إسماعيل بن علي الخطيب قال : ومات أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي يوم الإثنين لتسع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ، في شارع باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جداً ، وكان يوماً في عقب مطر ووحل ، ودفن في بيته رحمه الله <sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ بغداد ( ٦ / ٤٠ ) .





من أعلام السلف

٤٠

أبو عبد الرحمن النسائي  
أحمد بن شعيب الخرساني



## ١ - اسمه ومولده وصفته

**الاسم** : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخرساني النسائي أبو عبد الرحمن ، والنسائي نسبة إلى نسا ، وهي بلدة بخرخسان . ويجوز أن يقال : نسوي .

قال في معجم البلدان : كان سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خرخسان قصدوها فبلغ ذلك أهلها فهربوا ، ولم يتخلف بها غير النساء ، فقالوا : هؤلاء نساء والنساء لا يقتلن فتنسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن ، فتركوا ومضوا ، فسموا بذلك نساء ، والنسبة الصحيحة إليها نسائي ، وقيل : نسوي أيضاً ، وكان من الواجب كسر النون <sup>(١)</sup> .

**مولده** : قال الذهبي : ولد بنسأ في سنة خمس عشرة ومئتين <sup>(٢)</sup> .

وقيل : ولد سنة ٢١٤ هـ ، وأصل الخلاف هو ما نقل عن تلميذه أبي سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر قوله : رأيت بخطي في مسوحتى أن مولده بنسأ سنة ٢١٥ ، وقيل : ٢١٤ وذكر في الوافي بالوفيات للصفدي ( ٦ / ٤١٦ ) أنه ولد سنة ٢٢٥ قال الحافظ السخاوي : وهو غلط جزماً إما من الناسخ أو غيره <sup>(٣)</sup> .

**صفته** : قال الذهبي : وكان نضر الوجه مع كبر السن ، يؤثر لباس البرود النوبية ، والخضر ، ويكثر الاستمتاع ، له أربع زوجات ، فكان يقسم لهن ، ولا يخلو مع ذلك من سرية ، وكان يكثر أكل الديوك تشتري له

(١) نقلاً عن مقدمة شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة المعنى في شرح المجتبى لمحمد بن علي بن آدم الأديبي ( ١٣ / ١ - ١٤ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٢٥ ) .

(٣) ذخيرة المعنى ( ١٤ / ١ ) .

وتسمن وتخضى .

وقال مرة بعض الطلبة : ما أظن أبا عبد الرحمن إلا أنه يشرب النبيذ للنُّصرة  
التي في وجهه <sup>(١)</sup> .

وقال الذهبي : كذلك : وكان شيخاً مهيباً ، مليح الوجه ، ظاهر الدم ،  
حسن الشيبة <sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٢٨ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٢٧ ) .

## ٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول : سألت أبا عبد الرحمن النسائي ، وكان من أئمة المسلمين : مانقول في بقية ... فذكر كلاماً .

وقال أيضاً : أخبرنا أبو علي الحافظ أخبرنا أبو عبد الرحمن النسائي الإمام في الحديث بلا مدافعة .

وقال أيضاً : سمعت أبا علي الحافظ غير مرة يذكر أربعة من أئمة المسلمين رآهم فيبدأ بأبي عبد الرحمن .

وقال في موضع آخر : سمعت أبا علي الحافظ يقول : رأيت من أئمة الحديث أربعة في وطني وأسفاري اثنان منهم بنيسابور : محمد بن إسحاق ، وإبراهيم بن أبي طالب ، وأبو عبد الرحمن النسائي بمصر ، وعبدان بالأهواز .

وقال أيضاً : سمعت جعفر بن محمد بن الحارث يقول : سمعت مأمون المصري الحافظ يقول : خرجنا مع أبي عبد الرحمن إلى طرطوس سنة الفداء فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام ، واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، ومحمد بن إبراهيم مريع ، وأبو الأذان وكييلجة ، وغيرهم فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ فأجمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي ، فكتبوا كلهم بانتخابه <sup>(١)</sup> .

وقال الدراقطني : أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره <sup>(٢)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ١ / ٣٣٣ ، ٣٣٤ ) .

(٢) طبقات الشافعية ( ١٥ / ٣ ) .

وقال أيضاً : كان ابن الحداد أبو بكر كثير الحديث ولم يحدث عن غير النسائي وقال : رضيت به حجة فيما بيني وبين الله <sup>(١)</sup> .

وقال ابن السبكي : سمعت شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ وسألته : أيهما أحفظ : مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح أو النسائي ؟ فقال : النسائي ثم ذكرت ذلك للشيخ الإمام الوالد تغمده الله برحمته : فوافق عليه <sup>(٢)</sup> .

وقال الذهبي : وكان من بحور العلم مع الفهم ، والإتقان ، والبصر ، ونقد الرجال ، وحسن التأليف .

جال في طلب العلم في خراسان ، والحجاز ، ومصر ، والعراق ، والجزيرة ، والشام ، والثغور ، ثم استوطن مصر ، ورحل الحفاظ إليه ، ولم يبق له نظير في هذا الشأن <sup>(٣)</sup> .

وقال الحاكم : سمعت أبا الحسين محمد بن المظفر الحافظ يقول : سمعت مشايخنا بمصر يعترفون لأبي عبد الرحمن النسائي بالتقدم ، والإمامة ، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ، ومواظبته على الحج والاجتهاد وأنه خرج إلى الفداء مع والي مصر ، فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين والمشركين واحترازه عن مجالسة السلطان الذي خرج معه والانبساط بالمأكل والمشروب في رحله ، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد - رحمه الله - بدمشق من جهة الخوارج <sup>(٤)</sup> .

(١) طبقات الشافعية ( ٣ / ١٦ ) .

(٢) طبقات الشافعية ( ٣ / ١٦ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٢٧ ) .

(٤) تهذيب الكمال ( ٦ / ٣٣٤ ) ، تذكرة الحافظ ( ٢ / ٧٠٠ ) وسير أعلام النبلاء

( ١٣٢ ، ١٣١ / ١٤ ) .

وقال الذهبي أيضاً : لم يكن أحدٌ في رأس الثلاث مئة أحفظ من النسائي ، هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم ، ومن أبي داود ، ومن أبي عيسى ، وهو جارٍ في مضممار البخاري وأبي زرعة إلا أن فيه قليل تشيع ، وانحراف على خصوم الإمام علي ، ك معاوية وعمر ، والله يسامحه <sup>(١)</sup> .

وقال ابن الأثير : كان شافعيًا له مناسك على مذهب الشافعي ، وكان ورعاً متحريراً ، قيل : إنه أتى الحارث بن مسكين في زى أنكره عليه قلنسوه وقباء ، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان ، فخاف أن يكون عيناً عليه فمنعه ، فكان يجيء فيقعد خلف الباب ، ويسمع ولذلك ما قال : حدثنا الحارث ، وإنما يقول : قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع <sup>(٢)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٣٣ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٣٠ ) .

### ٣ - تشدده رحمه الله في نقد الرجال

قال الحافظ ابن طاهر : سألت سعد بن علي الزنجاني عن رجل فوثقه  
فقلت : قد ضعفه النسائي . فقال : يابني إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في  
الرجال ، أشد من شرط البخاري ومسلم .  
قال الذهبي : صدق فإنه لئن جماعة من رجال صحيح البخاري  
ومسلم <sup>(١)</sup> .

وعن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق قال : قال لي أبو عبد الله بن  
منده : الذين أخرجوا الصحيح ، وميزوا الثابت من المعلول ، والخطأ من الصواب  
أربعة : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وأبو عبد الرحمن النسائي <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي الصوفي : سألت أبا  
الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ فقلت : إذا حدث محمد بن إسحاق  
بن خزيمة ، وأحمد بن شعيب النسائي حديثاً من تقدم منهما ؟ قال :  
النسائي ، لأنه أسند ، علي أني لا أقدم علي النسائي أحد ، وإن كان ابن  
خزيمة إماماً ثبتاً معدوم النظر <sup>(٣)</sup> .

قال وقال : سمعت أبا طالب الحافظ يقول : من يصبر علي ما يصبر عليه  
أبو عبد الرحمن النسائي ، كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمه ترجمة فما  
حدث بها ، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة .

وقال حمزة بن يوسف السهمي : وسئل - يعني الدارقطني - إذا حدث

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٣١ ) .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٣٥ ) .

(٣) تهذيب الكمال ( ١ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ ) .



أبو عبد الرحمن النسائي وابن خزيمة بحديث أيما تقدمه ؟ فقال : أبو عبد الرحمن ، فإنه لم يكن مثله ، ولا أقدم عليه أحداً ، ولم يكن في الورع مثله ، لم يحدث بما حدث ابن لهيعة وكان عنده عالياً عن قتيبة <sup>(١)</sup> .

(١) تهذيب الكمال ( ١ / ٣٣٥ ) .

## ٤ - شرط النسائي في سننه الكبرى والمجتبى

ذكر أبو عمر وابن الصلاح في مقدمته عن أبي عبد الله بن منده أنه سمع محمد بن سعد الباوردي بمصر يقول : كان من مذهب أبي عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه .

قال ابن منده : ومثله أبو داود وإلى ذلك أشار العراقي في ألفيته حيث قال :  
والنسائي يخرج من لم يجمعوا عليه تركاً مذهب متسع  
وقوله : مذهب متسع أي أنه لم يرد به إجماعاً خاص ، وذلك أن الحافظ ابن حجر رحمه الله قال : إن ذلك إجماع خاص ، وذلك أن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط ، فمن الأولى : شعبة والثوري ، وشعبة أشدهما ومن الثانية : يحيى القطان وابن مهدي ، ويحيى أشدهما ، ومن الثالثة : ابن معين وأحمد ، وابن معين أشدهما .

فقال النسائي : لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه ، فإذا وثقه ابن مهدي ، وضعفه يحيى القطان مثلاً لا يترك ، لما عرف من تشدد يحيى ، ومن هو مثله في النقد ، فإذا تقرر ذلك ظهر أن الذي يتبادر إلى الذهن من أن مذهب النسائي في الرجال مذهب متسع ليس كذلك ، فكم من رجل أخرج له أبو داود والترمذي تجنب النسائي إخراج حديث ، بل تجنب إخراج حديث جماعة من رجالى الصحيحين .

وقال أحمد بن محبوب الرملي : سمعت النسائي يقول : لما عزمْتُ على جمع السنن استخبرت الله تعالى في الرواية عن شيوخ كان في القلب منهم بعض الشيء ، فوقع الخيرة على تركتهم ، فتركت جملة من الحديث كنت أعلو فيها عنهم .

وقال الحسين المعافى : إذا نظرت إلى ما يخرج به أهل الحديث فما خرج به النسائي أقرب إلى الصحة مما خرج به غيره .

وقال الإمام أبو عبد الله بن رشيد : كتاب النسائي أبدع الكتب المصنفة في السنن تصنيفاً ، وأحسنها ترصيفاً وكان كتابه نجماً بين طريقى البخارى ومسلم ، مع حظ كثير من بيان العلل .

وقال محمد بن معاوية الأحمر : الراوى عن النسائي قال النسائي : كتاب السنن كله صحيح ، وبعضه معلول ، إلا أنه لم يبين علته ، والمنتخب المسمى بالاجتبى صحيح كله ، وذكر بعضهم أن النسائي لما صنف السنن الكبرى أهذه إلى أمير الرملة ، فقال له الأمير : أكل ما فى هذا صحيح ؟ قال : لا . قال : فجرد الصحيح منه فصنف المجتبى .

وهو بالباء الموحدة . قال الزركشى فى تخريج الرافعى : ويقال بالنون أيضاً . وقال الزركشى فى نكته على ابن الصلاح : تسمية الكتب الثلاثة صحاحاً إما باعتبار الأغلب لأن غالبها الصحاح والحسان وهى ملحقة بالصحاح والضعيف منها ربما إلتحق بالحسن ، فإطلاق الصحة عليها من باب التغليب .

وكتب محقق عمل اليوم والليلة : فبهذا يظهر أن النسائي أخرج أحاديث الثقات فقط ، والآخرون نصّ على ضعفهم ، كما يظهر من خلال سننه ، فإذا تتبعناها وجدنا أنه يتوخى إخراج أقوى ما فى الباب من الأحاديث ، ويعتمد العدالة والضبط فى الحديث بقطع النظر عن المعتقد والإتجاه المذهبى ، فقد روى عن الجوزجاني مثلاً وفيه انحراف عن على وأهل الكوفة ، وهو - يعنى النسائي - مبال إلى التشيع كما تقدم ، وأخرج عن عمر بن سعيد بن أبى وقاص المدني وهو الذى كان أميراً على الجيش الذى قتل الحسين بن على

رضى الله عنهما ، وكذلك وثق أسد بن وداعة ، وهو ناصبي شديد النصب ، كما روى عن الأجلح في اليوم والليلة وكان مسرفاً في التشيع ، وروى عن شمر بن عطية الأسدي في اليوم والليلة وكان عثمانيّاً ، وروايته عن الشيعة من الحفاظ الضابطين ولو كانوا مسرفين فكثيرة ، خصوصاً في مسند علي ، كما يتبين لنا من خلال كتب الرجال ، لأن المسند لم نره <sup>(١)</sup>

(١) باختصار من ذخيرة المعنى ( ١ / ٢٣ - ٢٩ )

## ٥ - شيوخه وتلامذته

## شيوخه :

قال ابن السبكي : سمع قتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهويه ، وهشام بن عمار ، وعيسى بن حماد ، والحسين بن منصور السلمى النيسابورى ، وعمرو ابن زرارة . ومحمد بن نصر المروزي ، وسويد بن نصر ، وأبا كريب ، ومحمد ابن رافع ، وعلى بن حجر ، وأبا يزيد الجرمي ، ويونس بن عبد الأعلى ، وخلقا سواهم بخرسان والعراق والشام ومصر والحجاز والجزيرة<sup>(١)</sup> .

## تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابنه عبد الكريم ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني ، وأبو الحسن بن الخضر الأسيوطي ، والحسن بن رشيق العسكري ، وأبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكتاني الحافظ ، وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية ، ومحمد بن معاوية بن الأحمر ، ومحمد بن قاسم الأندلسي ، وعلى بن أبي جعفر الطحاوي ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن المهندس ، هؤلاء رواه كتاب السنن عنه ، وأبو بشر الدولابي ، وهو من أقرانه ، وأبو عوانة في صحيحه ، وأبو جعفر الطحاوي ، وأبو بكر بن الحداد الفقيه ، وأبو جعفر العقيلي ، وأبو علي بن هارون ، وأبو علي النيسابوري الحافظ وأُم لا يحصون .<sup>(٢)</sup>

(١) طبقات الشافعية ( ١٥ / ٣ ) .

(٢) تهذيب التهذيب ( ١ / ٣٢ ) .

## ٦ - مصنفاته رحمه الله

### ١ - الخصائص :

قال الوزير ابن خزيمة : سمعت محمد بن موسى المأموني صاحب النسائي قال : سمعت قوماً ينكرون على أبي عبد الرحمن النسائي كتاب «الخصائص» لعلي رضي الله عنه ، وتركه تصنيف فضائل الشيخين ، فذكرت له ذلك فقال : دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير ، فصنفت كتاب «الخصائص» رجوت أن يهديهم الله تعالى . ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الصحابة ، فقبل له وأنا أسمع : ألا تخرج فضائل معاوية رضي الله عنه ؟ فقال : أي شيء أخرج ؟ حديث : «اللهم لا تشعب بطنه» فسكت السائل . قال الذهبي : لعل أن يقال : هذه منقبة لمعاوية لقوله ﷺ : «اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة» <sup>(١)</sup> .

والظاهر والله أعلم أن الإمام النسائي لا يقصد الطعن في معاوية رضي الله عنه ، ولكنه أنكر على أهل الشام شدة محبتهم وإطرائهم لمعاوية رضي الله عنه ، وتنقصهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما أشار إلى ذلك ما رواه أبو عبد الله بن منده عن حمزة العقبي المصري وغيره أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق ، فسئل بها عن معاوية وما جاء في فضائله ، فقال لا يرضى رأساً برأس حتى يفضل .

فالذي أنكره النسائي تفضيلهم لمعاوية على علي رضي الله عنهما ، ولا شك في أن علي أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فهو

رابع الأمة في الفضل والخلافة .

وقال الحافظ أبو القاسم : هذه الحكاية لا تدل على سوء إعتقاد أبي عبد الرحمن في معاوية بن أبي سفيان وإنما تدل على الكف في ذكره بكل حال .  
ثم روى بإسناده عن أبي الحسن علي بن محمد القاسبي قال : سمعت أبا علي الحسن بن أبي هلال يقول : سئل رسول الله ﷺ فقال : إنما الإسلام كدار لها باب ، فباب الإسلام الصحابة ، فمن آذى الصحابة ، إنما أراد الإسلام ، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار . قال : فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة <sup>(١)</sup> .

### ٢ - السنن الكبرى :

وهو مطبوع بتحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، وطبع دار الكتب العلمية قال المحقق وهو يحتوى على بضع وعشرين كتاباً لم يحتوها كتاب المجتبى ، وفي الكتب المشتركة بين الكبرى والمجتبى يوجد سقط من المجتبى ضمنه النسائي في السنن الكبرى ، غير أن هذه القاعدة ليست مطلقاً ، فقد تضمن المجتبى تعليقات وأحاديث ليست في السنن الكبرى .

### ٣ - المجتبى :

وهو المشهور بسنن النسائي ، وأشهر شروحه شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشيته السندی ط . دار الكتب العلمية ، وهناك شروح لم تكتمل بعد كذخيرة العقبى للشيخ محمد بن علي بن آدم ، وطبع دار المعراج الدولية وبذل الإحسان لأخيها الفاضل الشيخ أبو إسحاق الحويني وطبع مكتبة التربية .

(١) تهذيب الكمال ( ١ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ ) .

#### ٤ - تفسير النساء :

وهو مطبوع بتحقيق صبرى عبد الخالق الشافعى ، وسيد عباس الحلیمى ،  
وطبع مؤسسة الكتب الثقافية .

وله كتب أخرى ذكرها فؤاد سركين فى تاريخ التراث : فمن ذلك  
الضعفاء والمتروكين .

وتسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل  
المدينة ، وتسميه من لم يرو عنه غير رجل واحد .  
وعمل اليوم والليلة وكتاب الجمعة <sup>(١)</sup> .  
وبعضها مطبوع متداول ، والله أعلم .

(١) انظر تاريخ التراث ( ٢ / ٢٦٦ ، ٢٦٧ ) .



## ٧ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي رحمه الله : روى أبو عبد الله بن منده عن حمزة العقبي المصري وغيره أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق ، فسئل بها عند معاوية وما جاء في فضائله ، فقال : لا يرضى رأس برأس حتى يفضل ؟ قال : فما زالوا يدفعون في حُضْنِهِ حتى أخرج من المسجد ، ثم حمل إلى مكة فتوفي بها ، كذا قال : وصوابه إلى الرملة .

قال الدارقطني : خرج حاجاً ، فامتحن بدمشق ، وأدرك الشهادة فقال : أحملوني إلى مكة فحمل فتوفي بها ، وهو مدفون بين الصفات والمروة ، وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاثة مائة قال : وكان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرجال .

وقال أبو سعيد يونس في « تاريخه » كان أبو عبد الرحمن النسائي سنة اثنين وثلاث مائة ، وتوفي بفلسطين في يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من صفر .

قال الذهبي : وهذا أصح فإن ابن يونس حافظ يقظ وقد أخذ عن النسائي فهو به عارف <sup>(١)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٤ / ١٣٢ ، ١٣٣ ) .

# المراجع

## فهرس المراجع

- ١ - الإمام الترمذى والموازنة بين جامعہ وبين الصحيحين لنور الدين غفر ، ط . مطبعة لجنة التألف والترجمة والنشر .
- ٢ - الإمام على بن المدينى ومنهجه فى نقد الرجال لإكرام الله إمداد الحق ، ط . دار البشائر .
- ٣ - الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث لابن كثير .
- ٤ - البداية والنهاية لابن كثير . ط . دار الفكر .
- ٥ - تاريخ الأدب العربى لبركلمان ط . دار المعارف .
- ٦ - تاريخ الإسلام للذهبي بتحقيق د . عبد السلام تدمرى ط . دار الكتاب العربى .
- ٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ط . دار الكتب العلمية .
- ٨ - تاريخ التراث لفؤاد سزكين ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٩ - تاريخ دمشق لابن عساكر مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ١٠ - تاريخ الخلفاء للسيوطى . ط . المكتبة التجارية .
- ١١ - تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ط . المكتبة العلمية بالمدينة .
- ١٢ - تذكرة الحفاظ للذهبي . دار الفكر العربى .
- ١٣ - تصدير لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية برئاسة محمد محيى الدين عبد الحميد لصحيح البخارى ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

- ١٤ - تقريب التهذيب بتحقيق عوامه ط . دار الرشيد .
- ١٥ - تهذيب الأسماء واللغات للنووى ط . دار الكتب العلمية .
- ١٦ - تهذيب الكمال لجمال الدين المزي ط . الرسالة .
- ١٧ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ط . دار الفكر .
- ١٨ - الثقات لابن حبان ط . مؤسسة الكتب الثقافية .
- ١٩ - جامع الأصول لابن كثير ط . دار الفكر .
- ٢٠ - الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ط . دار الكتب العلمية .
- ٢١ - حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهاني ط . مكتبة السعادة .
- ٢٢ - خلاصة القول المفهم على تراجم رجال جامع الإمام مسلم لمحمد الأثيوبي .
- ٢٣ - الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان لابن حجر التميمي .
- ٢٤ - ذخيرة العقبى شرح سنن النسائي لعلی بن آدم الأثيوبي ط . دار المعراج .
- ٢٥ - الرسالة للإمام الشافعى بتحقيق وتقديم أحمد شاكر .
- ٢٦ - سنن ابن ماجه بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط . المكتبة العلمية .
- ٢٧ - سنن الترمذی بتحقيق شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوه ط . دار الحديث .
- ٢٨ - سنن النسائي بشرح السيوطی وحاشية السندی ط . دار الكتب العلمية .
- ٢٩ - سير أعلام النبلاء للذهبي ط . الرسالة .
- ٣٠ - سيرة الإمام أحمد لصالح بن أحمد بتحقيق فؤاد عبد المنعم ط . دار الدعوة .

- ٣١ - سيرة الإمام البخارى لعبد السلام المباكفورى ط . إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية بالهند .
- ٣٢ - سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ط . دار الكتب العلمية .
- ٣٣ - شرح علل الترمذى لابن رجب بتحقيق صبحى السمرائى ط . عالم الكتب .
- ٣٤ - شروط الأئمة الخمسة ، علق عليها محمد زاهد الكوثرى ، مكتبة عاطف .
- ٣٥ - شروط الأئمة الستة علق عليها محمد زاهد الكوثرى ، مكتبة عاطف .
- ٣٦ - صحيح مسلم بشرح النووى ط . مؤسسة قرطبة .
- ٣٧ - صفة الصفوة لابن الجوزى ط . مكتبة التوعية الإسلامية .
- ٣٨ - طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد ط . دار صادر .
- ٣٩ - طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكى ط . عيسى الحلبي .
- ٤٠ - عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذى لابن العربى ط . الوحي .
- ٤١ - عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق أبادى ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٤٢ - العبر للذهبي ط . دار الكتب العلمية .
- ٤٣ - فتح البارى شرح صحيح البخارى ط . المكتبة السلفية .
- ٤٤ - قاعدة فى الجرح والتعديل لإنتاج السبكى بتحقيق أبى غدة - مكتبة الرشيد .
- ٤٥ - كتاب الزهد ويليهِ كتاب الرقائق لابن المبارك بتحقيق أبى عبد الرحمن الأعظمى ط . دار الكتب العلمية .

- ٤٦ - الكامل لابن الأثير ط . دار الكتاب العربي .
- ٤٧ - مستدرك الحاكم ط . دار المعرفة .
- ٤٨ - مسند الإمام أحمد ط . المكتب الإسلامي .
- ٤٩ - مقدمة شرح القسطلاني لصحيح البخاري لعطية عبد الرحيم عطية ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- ٥٠ - معجم الأدباء لياقوت الحموي ط . دار الفكر .
- ٥١ - مناقب الشافعي للبيهقي بتحقيق السيد أحمد صقر ط . دار التراث .
- ٥٢ - مناقب الشافعي للرازي .
- ٥٣ - موطأ مالك بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط . عيسى الحلبي .
- ٥٤ - ميزان الاعتدال للذهبي ، ط . دار الفكر العربي .
- ٥٥ - المجروحين لابن حبان بتحقيق محمود إبراهيم زايد ، ط . دار الوعي بحلب .
- ٥٦ - المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعلیمی ط . مطبعة المدني .
- ٥٧ - هدى الساري لابن حجر العسقلاني ط . المكتبة السلفية .

# الفهارس

## فهرس الموضوعات الجزء الثاني

رقم الصفحة

الموضوع

- ٢١ - ابن المبارك : ..... ٥
- ١ - اسمه ومولده وموطنه . ..... ٧
- ٢ - اجتماع خصال الخير فيه . ..... ٩
- ٣ - طلبه للعلم ونباهة خاطره . ..... ١١
- ٤ - عبادته وخشيته . ..... ١٣
- ٥ - زهده وورعه . ..... ١٦
- ٦ - أدبه وأكرمه . ..... ١٨
- ٧ - تواضعه وفراره من الشهرة . ..... ٢١
- ٨ - جهاده وشجاعته . ..... ٢٣
- ٩ - ثناء العلماء عليه . ..... ٢٦
- ١٠ - من أقواله وأشعاره . ..... ٢٩
- ١١ - شيوخه وتلاميذه . ..... ٣٣
- ١٢ - مؤلفاته رحمه الله . ..... ٣٦
- ١٣ - وفاته رحمه الله . ..... ٣٧
- ٢٢ - عابد الحرمين الفضيل بن عياض : ..... ٣٩
- بين يدي الترجمة ..... ٤١



- ٤٢ ..... ١ - اسمه ومولده .
- ٤٣ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٤٥ ..... ٣ - عبادته وخشيته رحمه الله .
- ٤٧ ..... ٤ - اتباعه للسنة وذمه للبدع والمبتدعين .
- ٤٨ ..... ٥ - شيوخه وتلامذته .
- ٤٩ ..... ٦ - درر من أقواله .
- ٥٢ ..... ٧ - وفاته رحمه الله .

## ٢٣ - وكيع بن الجراح :

- ٥٥ ..... ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٥٦ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٥٩ ..... ٣ - عبادته .
- ٦٠ ..... ٤ - حفظه .
- ٦١ ..... ٥ - أدبه وكرمه .
- ٦٢ ..... ٦ - محنته .
- ٦٤ ..... ٧ - اتباعه للسنة .
- ٦٥ ..... ٨ - درر من أقواله .
- ٦٧ ..... ٩ - شيوخه وتلامذته .
- ٦٩ ..... ١٠ - وفاته رحمه الله .

## ٢٤ - سفيان بن عيينة :

- ٧٣ ..... ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٧٤ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٧٦ ..... ٣ - سمعة علمه .
- ٧٧ ..... ٤ - اتباعه للسنة .

- ٧٨ - ٥ - زهده وأقواله في الزهد .
- ٧٩ - ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ٨١ - ٧ - درر من أقواله .
- ٨٣ - ٨ - وفاته رحمه الله .
- ٨٥ - ٢٥ - عبد الرحمن بن مهدي :
- ٨٧ - ١ - اسمه ومولده .
- ٨٨ - ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٩٠ - ٣ - عبادته .
- ٩١ - ٤ - حفظه وضبطه وثبته .
- ٩٣ - ٥ - اتباعه للسنّة .
- ٩٥ - ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ٩٦ - ٧ - درر من أقواله .
- ٩٨ - ٨ - وفاته رحمه الله .
- ٩٩ - ٢٦ - يحيى بن سعيد القطان :
- ١٠١ - ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ١٠٢ - ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ١٠٤ - ٣ - عبادته رحمه الله .
- ١٠٥ - ٤ - تشدده في نقد الرجال .
- ١٠٦ - ٥ - حفظه وثبته .
- ١٠٧ - ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ١٠٨ - ٧ - درر من أقواله .
- ١٠٩ - ٨ - وفاته رحمه الله .

٢٦ - ناصر الحق والسنة محمد بن إدريس الشافعي :.....

- ١ - اسمه ونسبه ومولده ونشأته وصفته رحمه الله . ..... ١١٣
- ٢ - ابتداء طلبه للعلم ونبوغه فيه . ..... ١١٥
- ٣ - ثناء العلماء عليه . ..... ١١٨
- ٤ - عبادته وزهده . ..... ١٢٢
- ٥ - مخاؤه وجوده . ..... ١٢٥
- ٦ - اتباعه للسنة وذمه لأهل البدع . ..... ١٢٨
- ٧ - فقهه رحمه الله . ..... ١٣٠
- ٨ - براعته في التصنيف وبركة مصنفاته . ..... ١٣٢
- ٩ - شيوخه وتلامذته . ..... ١٣٤
- ١٠ - كتبه رحمه الله . ..... ١٣٥
- ١١ - درر من أقواله وتنف من أشعاره . ..... ١٣٧
- ١٢ - وصيته رحمه الله . ..... ١٤١
- ١٣ - مرضه ووفاته رحمه الله . ..... ١٤٣

٢٨ - يزيد بن هارون الواسطي :.....

- ١ - اسمه ومولده وصفته . ..... ١٤٩
- ٢ - ثناء العلماء عليه . ..... ١٥٠
- ٣ - حفظه رحمه الله . ..... ١٥٢
- ٤ - عبادته رحمه الله . ..... ١٥٤
- ٥ - اتباعه للسنة . ..... ١٥٥
- ٦ - تنف من أخباره . ..... ١٥٦
- ٧ - شيوخه وتلامذته . ..... ١٥٧
- ٨ - وفاته رحمه الله . ..... ١٥٨

٢٩ - أبو عبيد القاسم بن سلام :

- ١ - اسمه ومولده وصفته . ١٥٩
- ٢ - ثناء العلماء عليه . ١٦١
- ٣ - قصته مع أمير خراسان . ١٦٢
- ٤ - عبادته واتباعه للسنة . ١٦٥
- ٥ - كتبه رحمه الله . ١٦٧
- ٦ - توقيره لأهل العلم . ١٦٩
- ٧ - من أقواله . ١٧٠
- ٨ - شيوخه وتلامذته . ١٧١
- ٩ - وفاته رحمه الله . ١٧٢

٣٠ - يحيى بن معين :

- ١ - اسمه ومولده وصفته . ١٧٥
- ٢ - ثناء العلماء عليه . ١٧٧
- ٣ - مهارته في معرفة الخطأ . ١٧٨
- ٤ - شيوخه وتلامذته . ١٨١
- ٥ - درر من أقواله . ١٨٢
- ٦ - وفاته رحمه الله . ١٨٣

٣١ - علي بن المديني :

- ١ - اسمه ومولده . ١٨٧
- ٢ - ثناء العلماء عليه . ١٨٩
- ٣ - براعته في معرفة العلل . ١٩٠
- ٤ - حفظه رحمه الله . ١٩٣
- ٥ - موقفه من المحنة . ١٩٥

- ١٩٨ ..... ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ١٩٩ ..... ٧ - مصنفاته .
- ٢٠٠ ..... ٨ - وفاته رحمه الله .
- ٢٠١ ..... ٣٢ - إسحاق بن راهويه :
- ٢٠٣ ..... ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٢٠٤ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٢٠٦ ..... ٣ - علمه وحفظه .
- ٢٠٨ ..... ٤ - خشيته وصدعه بالحق .
- ٢٠٩ ..... ٥ - مناظرته للشافعي رحمه الله .
- ٢١١ ..... ٦ - أتباعه للسنة .
- ٢١٢ ..... ٧ - شيوخه وتلامذته .
- ٢١٤ ..... ٨ - وفاته رحمه الله .
- ٢١٥ ..... ٣٣ - أحمد بن حنبل إمام أهل السنة :
- ٢١٧ ..... بين يدي الترجمة .
- ٢٢٠ ..... ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٢٢٢ ..... ٢ - ابتداء طلبه للعلم .
- ٢٢٤ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٢٢٧ ..... ٤ - زهده .
- ٢٣٠ ..... ٥ - ورعه .
- ٢٣٢ ..... ٦ - آدابه وأخلاقه .
- ٢٣٤ ..... ٧ - تمسكه بالسنن .
- ٢٣٥ ..... ٨ - محتسبه .
- ٢٤٥ ..... ٩ - شيوخه وتلامذته .

- ١٠ - مؤلفاته ..... ٢٤٧
- ١١ - نتف من أقواله ودرر من أشعاره ..... ٢٤٩
- ١٢ - مرضه ووفاته رحمه الله ..... ٢٥١
- ٢٤ - محمد بن إسماعيل البخارى شيخ المحدثين ..... ٢٥٥
- ١ - اسمه ومولده وصفته ..... ٢٥٧
- ٢ - مولده وموطنه ..... ٢٥٩
- ٣ - ابتداء طلبه للعلم وعلو همته فى الطلب ..... ٢٦٠
- ٤ - رحلاته للأمصار ..... ٢٦٢
- ٥ - شيوخه رحمهم الله وطبقاتهم ..... ٢٦٥
- ٦ - زهده وورعه ..... ٢٦٨
- ٧ - عبادته رحمه الله ..... ٢٧٠
- ٨ - كرمه وسماحة نفسه وحسن خلقه ..... ٢٧٢
- ٩ - قوة حفظه ونباهة خاطره وسيلان ذهنه ..... ٢٧٤
- ١٠ - تمسكه بالسنن النبوية ..... ٢٧٧
- ١١ - براعته فى معرفة العلل ..... ٢٨٠
- ١٢ - فقهه رحمه الله ..... ٢٨٢
- ١٣ - احتياظه فى جرح الرواة ..... ٢٨٤
- ١٤ - مكانة الإمام البخارى ومحبة فى قلوب المسلمين ..... ٢٨٦
- ١٥ - ثناء العلماء عليه : ..... ٢٨٨
- أ - ثناء شيوخه ..... ٢٨٨
- ب - ثناء أقرانه ..... ٢٨٩
- ج - ثناء المتأخرين ..... ٢٩١
- ١٦ - تلامذة إمام المحدثين ..... ٢٩٤

- ٢٩٨ ..... ١٧ - مؤلفات شيخ المحدثين .
- ٣٠١ ..... ١٨ - فتنه البخارى ووفاته .
- ٣٠٥ ..... ٣٥ - مسلم بن الحجاج :
- ٣٠٧ ..... ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٣٠٨ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٣١٠ ..... ٣ - أهمية صحيحه الجامع .
- ٣١٦ ..... ٤ - دقته وشده تخريجه فى الصحيح الجامع .
- ..... ٥ - الجواب على من عاب على مسلم إخراجاه
- ٣١٨ ..... عن جماعة ممن تكلم فيهم بالضعف .
- ٣٢٠ ..... ٦ - بين صحيح البخارى وصحيح مسلم .
- ٣٢٤ ..... ٧ - شيوخه وتلامذته .
- ٣٢٦ ..... ٨ - آثاره رحمه الله .
- ٣٢٧ ..... ٩ - وفاته رحمه الله .
- ٣٢٩ ..... ٣٦ - أبو داود السجستاني :
- ٣٣١ ..... ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٣٣٢ ..... ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٣٣٤ ..... ٣ - فضائل سنن أبى داود .
- ٣٣٥ ..... ٤ - شرط أبى داود .
- ٣٣٩ ..... ٥ - شيوخه وتلامذته .
- ٣٤١ ..... ٦ - آثاره رحمه الله .
- ٣٤٢ ..... ٧ - تف من أخباره .
- ٣٤٣ ..... ٨ - وفاته رحمه الله .

٣٧ - أبو حاتم الرازي :

- ١ - اسمه ومولده وموطنه . ٣٤٥
- ٢ - ثناء العلماء عليه . ٣٤٧
- ٣ - اتباعه للسنة رحمه الله . ٣٤٨
- ٤ - سعة علمه . ٣٥٠
- ٥ - رحلاته وهمته في الطلب . ٣٥١
- ٦ - تشدده في توثيق الرجال . ٣٥٢
- ٧ - شيوخه وتلامذته . ٣٥٥
- ٨ - من أقواله وأشعاره . ٣٥٦
- ٩ - وفاته رحمه الله . ٣٥٨

٣٨ - أبو عيسى الترمذي :

- ١ - اسمه ومولده وصفته . ٣٦١
- ٢ - ثناء العلماء عليه . ٣٦٣
- ٣ - فضائل جامع . ٣٦٤
- ٤ - ما قيل في تسمية الكتاب وطريقة الترمذي في تصنيفه . ٣٦٧
- ٥ - تساهله رحمه الله في التصحيح . ٣٦٩
- ٦ - شرط الترمذي في جامع . ٣٧١
- ٧ - مرتبة جامع الترمذي . ٣٧٢
- ٨ - شيوخه وتلامذته . ٣٧٤
- ٩ - مؤلفاته رحمه الله . ٣٧٦
- ١٠ - وفاته رحمه الله . ٣٧٨

٣٩ - إبراهيم الحري :

- ١ - اسمه ومولده وصفته . ٣٨١



- ٢ - ثناء العلماء عليه ..... ٣٨٤
- ٣ - زهــــــــــــده ..... ٣٨٧
- ٤ - ورعه وعفته ..... ٣٨٩
- ٥ - طرف من أخباره ودرر من أقواله ..... ٣٩١
- ٦ - شيوخه وتلامذته ..... ٣٩٤
- ٧ - وفاته رحمه الله ..... ٣٩٥
- ٤٠ - أبو عبد الرحمن النسائي : ..... ٣٩٦
- ١ - اسمه ومولده وصفته ..... ٣٩٩
- ٢ - ثناء العلماء عليه ..... ٤٠١
- ٣ - تشدده في نقد الرجال ..... ٤٠٤
- ٤ - شرط النسائي في سننه الكبرى والمجتبى ..... ٤٠٦
- ٥ - شيوخه وتلامذته ..... ٤٠٩
- ٦ - مصنفاته رحمه الله ..... ٤١٠
- ٧ - وفاته رحمه الله ..... ٤١٣
- المراجــــــــع ..... ٤١٤
- الفهــــــــــــــــارس ..... ٤١٩